

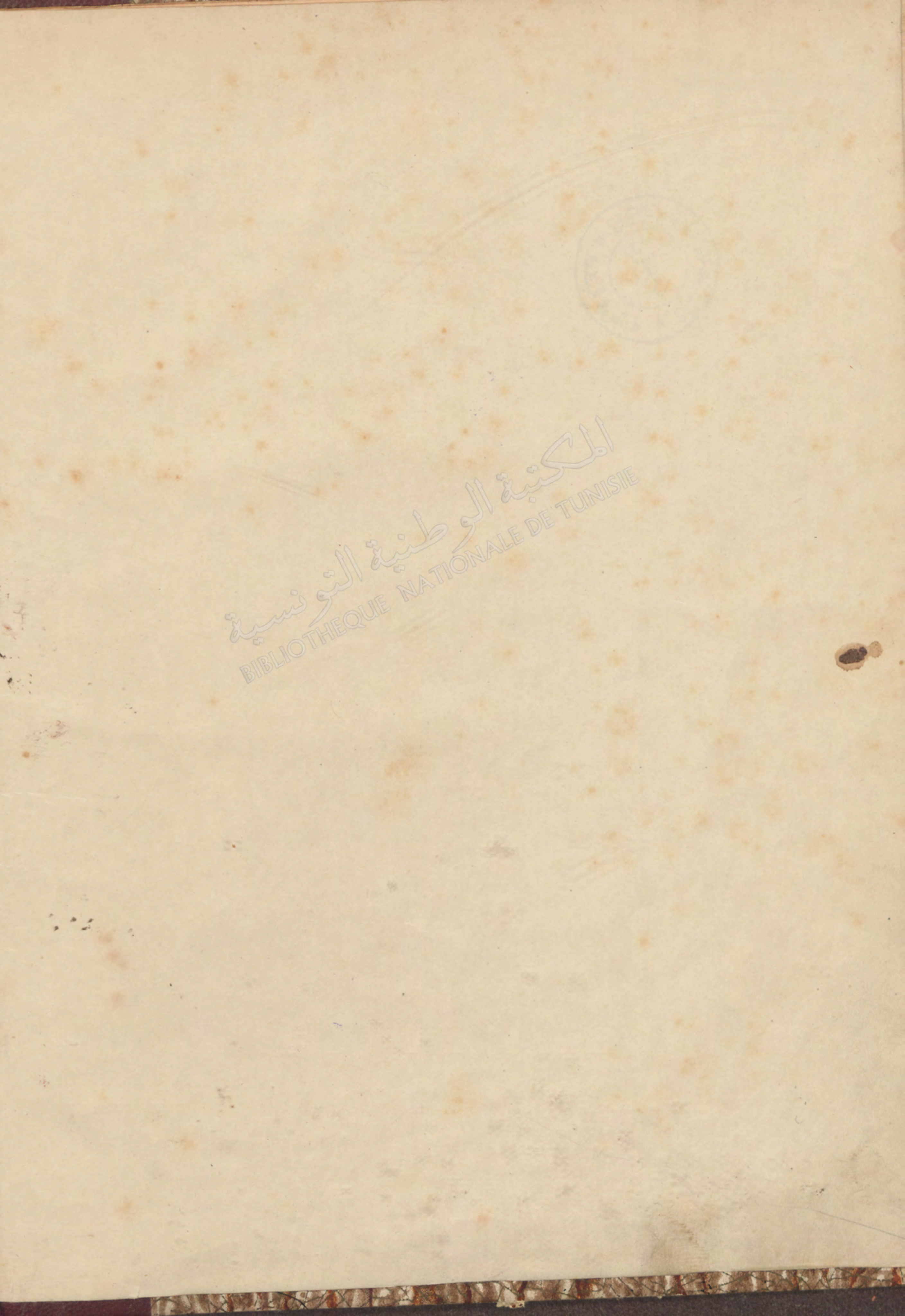
تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب و السودان

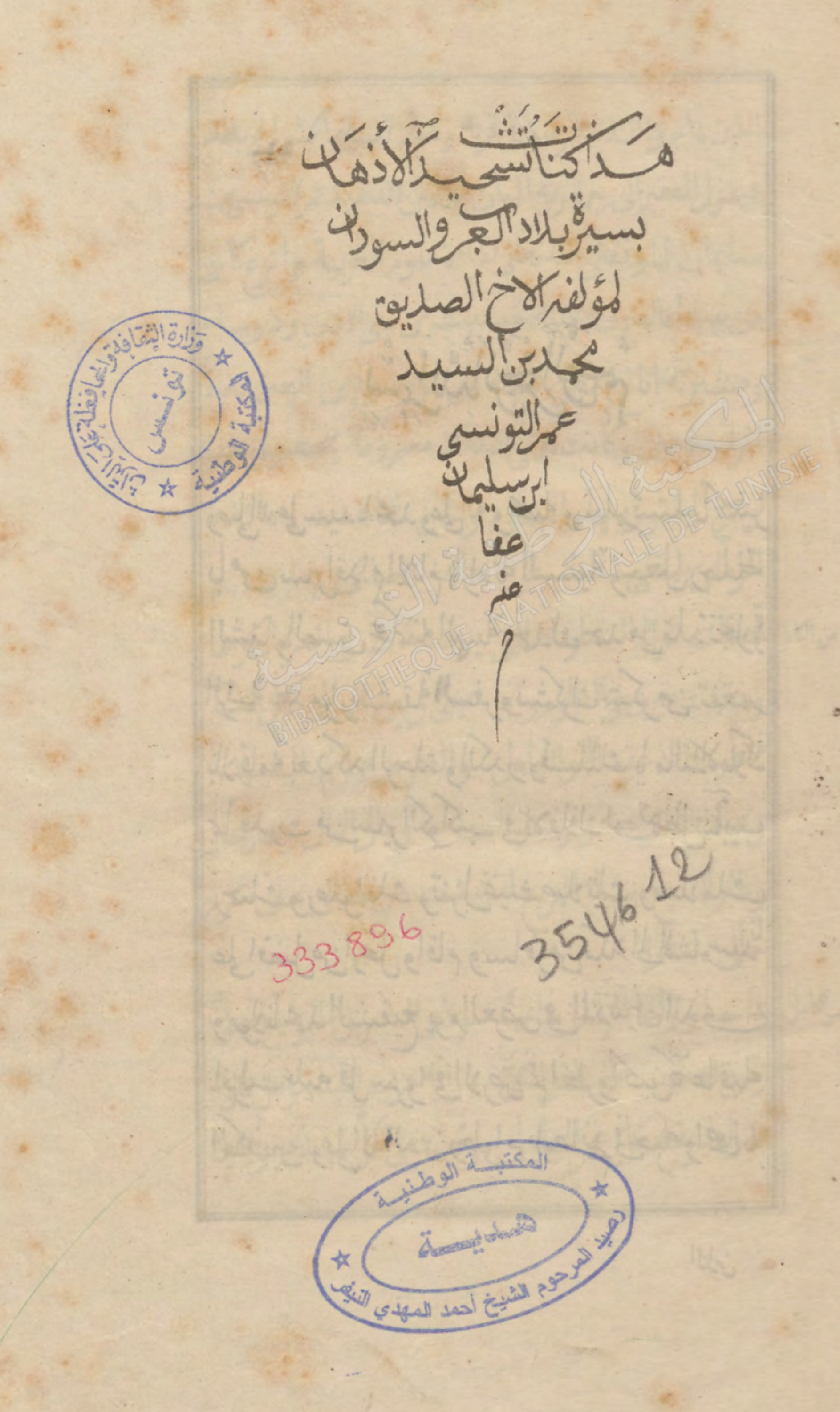
Voyage au Darfour ou l’aiguisement de l’esprit, par le voyage au Soudan et parmi les arabes du centre de l’Afrique par le cheykh Mohammed Ibn Omar el-Tounsy

Autographié et publié par Mr. Perron

المؤلف : محمد بن السيد عمر التونسي بن سليمان (1789-1857)
تاريخ النشر : 1850
الناشر : Imprimerie lithographique de kaeppelin
مكان النشر : باريس
اللغة : العربية
الوصف المادي للوثيقة : 331 ص. ؛ صور ؛ 27 سم.
الموضوع : الجغرافيا والرحلات
تصنيف ديوي العشري : 910
المفاتيح : إفريقيا، تاريخ، بلاد السودان، دارفور، أدب الرحلات، المكتبة الوطنية التونسية، الخلدونية الرقمية، الانسانيات الرقمية.







هذا كتاب تشحيذ الأذهان
بسيرة بلاد العرب والسودان
لمؤلفه الأخ الصديق
محمد بن السيد
عمر التونسي
ابن سليمان
عفا
عنه
م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
يا من سير اقدام الانام بارادته السنية وجعل رحلة
الشتا والصيف بحكمته البهية نحمدك حمد من تلذذ بحلاوة
الراحة بعد مرار مشقة السفر ونشكرك شكر من تنعم
بالاقامة بعد كد الرحلة والكدر ونسئلك يا مالك الاملاك
بما قدرت من سير الكواكب فى الافلاك ان تهطل شآبيب
رحمتك ورضوانك وتنزل غيث صلاتك وسلامك
على افضل من ارتحل واقام وسافر من مكة الى الشام سيدنا
ومولانا محمد الشفيع يوم العرض فى المذنبين الذى
انزلت عليه قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة
المكذبين وعلى اله الذين رحلوا من اوطانهم فى حبه واصحابه

سيروا

الذين

الذين هاجروا للمدينة رغبة فى قربه وسلم تسليما كثيرا وبعد
فيقول الفقير الى رحمة ربه المنان محمد بن السيد عمر التونسى بن
سليمان لما وفقنى الله تعالى لقراءة علوم العربية واترع كاسى
من بينها بالفنون الادبية حسبت من بنى الادب وذويه
وعشيرته اناخ الدهر بكلكله على ما بيدى من العين فغادره
اثرا بعد عين وكانت همتى اذ ذاك مصروفة بتحصيل العلوم
وجمع المنثور منها والمنظوم وحين شاهدت معاندة
الزمان لمقتى تمثلت بقول العلامة الصفتى

من الكامل

هبطت ثريا الشاردات لهمتى وصعدت فى العرفان كل سماء
وفقهت غيرى فى العلوم وانما بينى وبين الجاهلين كل تناء
فعجبت اذ عقد اللواء الجاهل والفقر عم عمائم الفقهاء

وصفرت الراحة وقرعت الساحة ومال المال وحال الحال
وغار المنبع ونبا المربع انشدت من مقالى على شرح
حالى شعرا

من الكامل

ما حيلتى ولذا الزمان متاعب يوذى الشريف وللوضيع يصون
زمن له حرب على اهل التقى بازايه حرب البسوس يهون
فتراه يرفع كل غمر جاهل ويسيئ كل مهذب ويهين

وتمثلت بقول القائل

من الهزج

تبيت الأُسْد في الغابات جوعا ولحم الضان يلقى للكلاب
وخنزير ينام على حرير وذى علم ينام على التراب

ثم ناجتني القرونة ان اسئل من بعض الناس المعونة فتذكرت ان ليس كل احمر لحمة ولا كل ابيض شحمة وربما يُريق الانسان ماء وجهه ولا يحظى بقصده وان اراقة ماء الحياة دون اراقة ماء المحيا سيما اذا وقع التعس والنكس وكان الطلب من نحس قال الشاعر

مجزو الرجز

لقلعُ ضرسٍ وضنك حبس ونزعُ نفسٍ وورد رمسِ
ولفع نار وحمل عار وبيع دار بربع فلس
وقود قرد وفرط برد ودبغ جلد بغير شمس
ونقد الف وضيق خسف وضرب الف بالف قلس
اهون من وقفة لحرٍّ يرجوا نوالا بباب نحس

وقفة

لا سيما وقد وجد على بعض الاحجار بقلم قدرة العزيز الجبار كل من كد يمينك وعرق جبينك وان ضعف يقينك اسئل الله يعينك فدخلت في خدمة من تزينت بلطائفه صفحات الايام ونارت بعوارفه حوالك الظلام ظل الله الظليل على

البلاد

البلاد والامصار حامى ذمار الاسلام وقامع الفجار من انام الانام
فى وارف حلمه واحانه واذاقهم حلاوة الامن بنجدته وامانه
ملكٌ ماجدٌ حليم كريم   جوده ناسخ لكل الوجود
ناشر العدل وهو للجور طاو   واقف فى الاحكام عند الحدود
صالح الفعل صادق القول واف   بوفا العهد منجز للوعود
همه القطع للفساد واصلا ح جميع البلاد والتمهيد
نحن من روض امن دولته فى   خفض عيش به وظل مديد
ايها المالك الذى يحتمى عن   حدّ اوصافه العلا بحدود
انت من حصن ربنا فى امان   من جيوش العدا وكيد الحسود
الا وهو فاتح الحرمين الشريفين بجيشه المنصور ومالك الاقطار
الشامية بابراهيم البطل الغضنفر المشهور امير المومنين
الحاج محمد على باشا ولى النعم اعلا الله سرادق عز دولته وابد
ملكه بمجده وصولته وكان اول خدمتى بوظيفة واعظ فى الالاى
الثامن من المشاة وسافرت معه الى المورة وكابدت المشقات
وكنت قبل ذلك سافرت الى بلاد السودان ورايت فيها من
العجايب ما اذا سُطِّر يكون كزهر بستان ثم استخدمت فى
مدرسة ابى زعبل لتصحيح الكتب الطبية وخُصّصتُ منها

واصابه

من الخفيف

عيون

بتصحيح كتب الاجزاجية ومكثت على ذلك حتى اجتمعت
بابرع اهل زمانه حذاقة وفهما واذكى اهل عصره صناعة
وعلما معلم الكيميا الحكيم پيرون الفرنساوى وقرأ علىّ كتاب
كليله ودمنه باللغة العربية فذكرت له بعض ما عاينته فى
اسفارى من العجايب البهية فحملنى على ان ازين وجه الدفتر
بايضاح ما شاهدته من العجايب واخبّره بما حصل لى في
تلك الاسفار من الغرايب فامتثلت امره لما له علىّ من اليد
البيضا ورايت ان ذلك اجمل بى ايضا لقول صاحب المقصورة

من الرجز

انما المرء حديثٌ بعده   فكن حديثا حسنا لمن وعى

فشرعت فى ابراز فرايدها من صدف الاذهان وكشف
حجاب خرايدها الحسان الى العيان وضممت لذلك من
النوادر ما سمعته من الثقات او نقلته من الكتب على سبيل
الاستطراد للمناسبات لتكون هذه الرحلة روضة يانعة
الازهار لمن تامل فيها وحديقة دانية الثمار لمن تصفح معانيها
ولم آل جهدا فى ايضاح معانيها للمتاملين ولم اتعمق فى غريب
اللغة ليسهل فهمها على السامعين ورتبتها على مقدمة ومقصد
وخاتمة وفى كل منها ابواب كما من الفهرسة وسميتها تشحيذ

الاذهان

الاذهان بسيرة بلاد العرب و السودان والله اسئل ان ينشر
عليها حلة القبول ويقيها شر حاسد يطعن فيما فيها من
المقول وكم من عائب قولا صحيحا وافته من الذهن السقيم على
انى وان اتْقنتها وهذبتها وفى احسن قالب سبكتها لا
اقول انها عارية عن الخلل بريئة من الزلل لانى انما انا بشر من
الانسان محل للخطاء والزلل والنسيان لكن انما اتعوذ من
غمر يرمقها بعين الحسد وينددِ بانها من الخرافات عند كل
احد وهَبْنى قلت هذا الصبح ليل أَتَعْمى المعالمون عن الضياء
فرحم الله امراء رأى الزلل فستره وشاهد الخلل فجبره ان تجد
عيبا فسد الخللا جل من لاعيب فيه وعلا وبالله استمد
التوفيق الى اقوم طريق وهو حسبى ونعم الوكيل نعم المولى
ونعم النصير **المقدمة** وفيها ثلاثة ابواب **الباب**
الاول فى السبب الباعث لرحلتى لبلاد السودان حكى
لى والدى عليه سحائب الرحمة والرضوان ان جده كان
من عظماء اهل تونس وكيلا من طرف سلطان المغرب
المولى الاكمل الملك المظفر العادل المرحوم الشريف محمد
الحسنى فاجتمع له بذلك مال جزيل حتى صار من اغنى اهل

زمانه ولما مات كان قد خلف من الولد ثلاثة بنين فتنازعوا
تراث ابيهم وباعوا دارهم التى كانت تاويهم وسكن كل منهم
على حدته باولاده وزوجته فاتفق ان اباه كان من اهل العلم
جيد الخط ينسخ الكتاب فيبيعه بضعف مايبيع به غيره وكان
يعرف صباغة الثياب بالالوان فكان ارفه اخوته معاشا واحسنهم
ارتياشا فاتفق له انه اشتاق لروية البيت الحرام وزيارة قبر
نبيه عليه السلام فباع بعض عقار كان له وتأهب للسفر واشترى
معه احرمة وطرابيش واعطاه الناس اموالا كثيرة يتجر لهم فيها
لما يعلمون من صدقه وامانته حتى انه وسق من السفينة
جانبا عظيما وحين توجه ودعه اخوانه حتى وصل الى السفينة
فركبها واقلعت بهم بريح طيبة ثم اختلفت الرياح على السفينة
حتى انهم اخذوا طريقا غير طريقهم وذلك انهم جاوا على طريق
رودس وبيناهم امنين مطمئنين اذ هبّ عليهم قاصف ريح
وكانوا اذ ذاك بجانب رودس فتلاطمت عليهم امواج البحر
وبُدّل الصفو بالكدر على حد قول الشاعر شعر

من البسيط

حسّنتَ ظنك بالايام مذ حسُنَت ولم تخف سوء ما ياتى به القدرُ
وسالمتك الليالى واغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وكان

وكان بسفينتهم خلل فلما تلاطمت عليها الامواج وسطت
عليها سطوة الحجاج تحلل تركيبها وفسد ترتيبها وتفرقت
اجزاؤها وانفصلت افلاذها وغرق من فيها ولم ينج الا القليل
من راكبيها وكان ممن نجى معهم جدي المذكور فخلص بعد غص
الريق الى البلد المذكور

من الطويل

اذا سلمت هام الرجال من الردى ... فما المال الا مثل قص الاظافر

فمكث في رودس مدة ونفعه فيها هميان كان في وسطه فيه
بعض ذهب فكان ينفق منه مدة اقامته ثم اشترى زادا
وركب في سفينة الى ثغر اسكندرية وكان ذلك ابان الحج
والذهاب الى العج والثج فتوجه في الحال من غير اهمال الى ان
وصل الى تلك البقاع وبلغ ماموله جهد ما استطاع وكان
لسان حاله يقول قبل بلوغ المامول

من الرجز

ابرك الايام يوم قيل لي ... هذه طَيْبَةُ هذي الكُثُبْ
هذه روضة طه المصطفى ... هذه الزرقا اليكم فاشربوا
والياء في هذي بدل عن الهاء ولما قضى ما وجب عليه وتملى
بزيارة الحبيب وصاحبيه افاق من دهشته وفاء الى
سكينته وافتكر في ضياع ماله وتشتت حاله وافتضح من

دخوله الى تونس ذا عسر وفاقه بعدان كان ذا يسر وافاقه
وكيف يصبر بعد الرفاهية على الكد اويراه على هذه الحالة
اهل البلد ولما تذكر ما قد حدث انشد على وجه الجد لا
العبث

من الطويل

سأضربُ في الافاق شرقا بغربها ... واكسب مالا او اموت غريبا
فان تلفت نفسى فلله ردها ... وان سلمت كان الرجوع قريبا

ومن المعلوم انه يسهل على المرء ان يعيش في تعب ونصب
وكد في بلد لا يعرفه فيه احد خصوصا في هذا الزمن الذى
يكرم به اليهودى لماله ويهان الشريف لفقره وسوء حاله ورحم
الله القائل

من الرجز

يغدو الفقير وكل شيء ضده ... والارض تغلق دونه ابوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب ... ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رات ذا ثروة ... مالت اليه وحركتْ اذنابها
واذا رات يوما فقيرا عاريا ... نبحت عليه وكشرت انيابها

ولذا قال الامام على كرم الله وجهه الفقر داء لا دواء له ان اذعته
فضحنى وان كتمته قتلنى وقد قيل اذا افتقر الانسان خوّنه
من كان يامنه واساء فيه الظن من كان يحسنه وابعده من

كان

كان يقربه ومله من كان يحبه شعر

من البسيط

ان قل مالى فلا خلّ يساعدنى   وان غنيت فكل الناس خلّانى

وليت الانسان اذا افتقر يترك هو وشانه ولا يحتقر لا والله بل يكذّب فى المقال وان كان صوابا ويهان وان لم يكن عابا

شعر

من الكامل

من كان يملك درهمين تعلمت   شفتاه انواع الكلام فقالا

وتقدم الاخوان فاستمعوا له   ورايته بين الورى مختالا

لولا دراهمه التى فى كيسه   لرايته اسوء البرية حالا

ان الغنى اذا تكلم بالخطا   قالوا صدقت وما نطقت محالا

واذا الفقير اصاب قالوا كلهم   اخطات يا هذا وقلت ضلالا

ان الدراهم فى المواطن كلها   تكسو الرجال مهابة وجمالا

وهى اللسان لمن اراد فصاحة   وهى السلاح لمن اراد قتالا

واذا كان كذلك فالموت خير لذوى الاحساب من ان تلتصق ايديهم بالتراب شعر

من مجزوء الرجز

الموت خير للفتى   من ان يعيش بغير مال

والموت خير للكريم   من التضرع والسوال

ولما علم النبى صلى الله عليه وسلم ان الفقير يهان بعد

الاكرام ويذل بعد العز والاحترام قال اكرموا عزيز قوم ذل وغنى
قوم افتقر لكن كل ذلك بحسب ما سطر في ام الكتاب وقدره
في علمه العزيز الوهاب والا فكم من فقير اسعفته الاقدار
وكم من غني اصبح لا يملك ربع دينار ومن ذلك ما حكي ان
الوزير المهلبي كان في اول امره فقيرا لا يملك نقيرا واتفق انه
سافر راجلا من بغداد الى مكة في قافلة وقد اضر به الجوع واحرمه
الهجوع فانشد يقول

من الهزج

الا موتا يباع فاشتريه   فهذا العيش ما لا خير فيه
الا رحم المهيمن روح عبد   تصدق بالوفاة على اخيه

فسمعه احد التجار فاعطاه رغيفا ودرهما ثم تغيرت الاحوال
فترقى المهلبي الوزارة وافتقر التاجر حتى صار لا يملك قوت يومه
وبلغه ان المهلبي ترقى للوزارة فذهب اليه وكتب له في رقعة
ما صورته

من الهزج

الا قل للوزير فدته نفسي   مقالا مذكرا ما قد نسيه
اتذكر اذ تقول لضنك عيش   الا موتا يباع فاشتريه

وارسلها له مع بعض خدمه فلما قراها بكى واستعبر وتذكر ما قد
سلف وامر له بعمل وسبعمائة درهم وكتب له على رقعة مثل الذين

ينفقون

ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة الآية فعلم من ذلك انه ينبغي اكرام من افتقر بعد غناه وذل بعد ان بلغ في العز منتهاه واذا عنّت للانسان حاجة واراد يسئل فيها الناس فان كان عاقلا لا يسئل الا من كان ذا فضل ومروة ولا يسئل من تموّل بعد فقره وعز بعد ذله قال الشاعر

من الطويل

سل الفضل اهل الفضل قدما ولا تسل غنيا ربي في الفقر ثم تمولا

ثم ان المال تميل الى صاحبه القلوب وتنضم عليه ازرار الجيوب به تتم الارادات وتقضى جميع الحاجات ولقد اجاد الحريري في مدح الدينار حيث قال

من مشطور الرجز

أكرِمْ به اصفر راقت صفرتُهْ جوّاب افاقٍ ترامت سفرتُهْ
مأثورةٌ سُمعتُه وشهرتُهْ قد أُودِعتْ سِرَّ الغنى أَسرَّتُهْ
وقارنتْ نُجحَ المساعي خطرتُهْ وحُبِّبَتْ الى الانام غُرّتُهْ
وان تفانت او توانت عترتُهْ ياحبّذا نضارُه ونُضْرَتُهْ
وحبّذا مَغْنَاتُهُ ونُصْرَتُهْ كم آمرٍ به استتبّتْ إمرتُهْ
ومُترَفٍ لولاه دامت حسرتُهْ وجيشِ همٍّ هزمَتْهُ كَرّتُهْ
وبدرِ تِمٍّ انزلتْهُ بدرتُهْ ومستشيطٍ تتلظى جمرتُهْ

كأعاص القلوب بقرنه يبرصول من حوبة
نصرته

اسر نجواه فلانت شرته   وكم اسير اسلمته أسرته
انقذه حتى صفت مسرته   وحق مولى ابدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته

ولقد شوهد ان الالكن اذا استغنى يصير فصيحا والاعمش اذا تمول يعود بصره صحيحا ومصداق ذلك انى رايت فى سفرتى هذه رجلا يسمى محمد المكنى وكان خادما على باب يوسف باشا صاحب طرابلس الغرب وكان اعمش العينين مسلق الجفنين ترشح دموعه ويقل هجوعه ودام كذلك الى ان تولى حاكما على اقليم فزان فبرى عمشه ونبت رمشه وذهب وجعه وبطل دمعه وصار اجل اهل عصره واوجه اهل قطره قلت ولعل الامراض انما تعتري الفقراء لما يرونه من الذل والمسكنة والعرى والمسغبة فيهتمون لضيق معاشهم وعدم ارتياشهم فتتشوش اذهانهم وتسقم ابدانهم والغنى ليس كذلك نعم وان كانت له هموم لكنها من جهة اخرى شعر

من الطويل

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره   فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة   وان اقبلت كانت كثيرا همومها

لكن الغنى اذا بذل الدينار يبلغ الاوطار ومن ذلك ما حكى

ان على

ان علي باشا الاول صاحب تونس كان قبل ولايته فارّا بالجزاير
مستجيرا لحاكمها ان يمده بعساكر لياخذها من ابن عمه حسين
باشا وكان صاحب الجزائر يعده بذلك والاخبار ترد على
حسين باشا بذلك فكان يغتم اذا سمع شيئا من ذلك لما
يعلم مما يطرا عليه من انحطاط شانه وذهاب ملكه وسلطانه
فاتفق ان ورد عليه خبر اقلقه واهمه واحزنه واغمه فركب
وهو ضيق الصدر كثير الفكر وشق في وسط تونس بموكبه
وكان احد وزرائه محاذيا له يتحدث معه فراه على تلك الحالة
فساله عن سبب تغيره فاخبره بما سمع من الخبر فقال الوزير
ايد الله مولانا ونصره اهتم بامر لا اصل له على اني اقول انك ما
دمت موجودا لا تقوم له قائمة والتفت عن يمينه وكانا بمحل
يسمى سوق البلاط فراى ساق شجرة يابسا ملقى على الارض
فقال له ان كان هذا الساق يعود شجرةً خضرا يملك علي
باشا تونس ويصير حاكما عليها واراد بذلك الطمئنان صاحبه
فما مرّت الايام قلائل حتى جاء علي باشا بجيش كثيف من الجزائر
وقتل حسين باشا واستوزر الوزير المذكور مدة حتى تمهدت
له الامور فاتفق انه ركب يوما في موكبه ودخل تونس والوزير

المذكور محاذيا له كما كان محاذيا لحسين باشا فتماديا في سيرهما حتى
وصلا الى سوق البلاط فالتفت علي باشا فراى ساق الشجرة ملقى
بمكانه فقال للوزير ان عاد هذا الساق شجرة خضرا يعود علي
باشا حاكما على تونس وكان بعض اعداء الوزير القى اليه ذلك
فاسره في نفسه الى ذلك الوقت ثم اعرض عنه ولم يحادثه بعد
ذلك فعلم الوزير انه مقتول لا محالة لما يعلم من اخلاق علي
باشا لانه كان سفّاكا للدما حتى انه كان يقتل على الهفوة الصغيرة
فضلا عن مثل هذه وتماديا على ذلك حتى وصل الباشا الى محل
سلطنته وايوان ابّهته فتقدم اليه الوزير قبل ان يامر فيه بامر
وقال ايد الله مولانا ان ابن عمك حسين باشا حين سمع بقدومك
اودع عندي اموالا جمة خباتُها في محل لا يعرفه غيري وانا محقق
انك قاتلي واخاف ان انا مُتُّ وهي بمكانها لا ينتفع بها مولاي فان
راى سيدنا ان يسرّحني لآتيه بها فليفعل ففرح علي باشا وظن
صدقَه وامره بالتوجه وان تصحبه عشرة حوانب والحوانب
في لغة تونس هم القواص بلغة اهل مصر وقبل توجههم قال
للحوانب ان فر منكم قتلتكم اجمعين فتوجهوا معه حتى
وصل لداره فاوقفهم اسفل الدار وصعد ليبعد الحريم عن الطريق

فوقفوا

فوقفوا وحال صعوده لم يكن له هم الا انه قصد خزانة امواله فملا
منها جيوبه ذهبا واخذ معه صندوقا صغيرا يسمى في عرف
اهل تونس بالفنيق مملوءا ذهبا ايضا وصعد على السطح وتسوّر
من دار اخرى وخرج الى الشارع وتوجه الى دار قونصل الانجليز
فدخل عليه واخبره انه مستجير به واعلمه بالقصة واعطاه
الصندوق بما فيه وقال له اريد ان تامر باحدى سفاينك
يتوجه بي في هذه الساعة الى انجلاتيره فكتب له القونصل
في الحال كتابا الى احد قبوداناته ان سافر الى الانجلاتيره حال
حلول جوابنا هذا اليك ولا تتاخر دقيقة واحدة واعطاه
الكتاب ورافقه بترجمانه ونزلا البحر حتى وصلا الى السفينة
فحين قرا مدير السفينة كتاب القونصل اقلع عن المرسى
واطلق مدفعا علامة للقونصل بتوجهه واستبطاه الحواشي
فنادوا يا فلان انزل فقال الحريم انه نزل من وقت صعوده
فكذبوهن وهجموا الدار فلم يروا فيها احدا وعلم علي باشا
بانفلاته فاغتاظ وعرف انها حيلة وتمت عليه فانظر رحمك الله
الى هذه القضية اترى ان هذا الوزير لو لم يبذل هذه الدنانير
اكان يبلغ ما امّنه لا والله بل كان يقتل ويوخذ ماله ولا ينفعه

بشيء لان الدرهم والدينار اذا لم يبذلا لم ينفعا ولا تُقضى
لصاحبهما حاجة بل ان كان واليا عُزِل وان كان تاجرا احتقر
وفي هذا المعنى انشد شيخ مشايخنا العلامة الشيخ محمد الامير
الكبير حين عُزِل خورشيد باشا والي مصر سابقا وتولاها صاحب
السعادة لعدم اعطاء مرتّبات العساكر شعرا

من مجزو الكامل

عزلوك لما قلتَ ما   أُعْطي وولّوا من بذل
اوما علمتَ بانّما   حرْفُ يكُفّ عن العمل

ولقد اجاد ابو القاسم الحريري في ذم الدينار من حيث انه لا ينفع
صاحبه الا اذا فرّ من يده حيث قال

من مجزو الرجز

وشرُّ ما فيه من الخلائق   ان ليس يغني عنك في المضائق
الا اذا فرّ فرار الآبق   واهاً لمن يقذفه من حالق
ومن اذا ناجاه نجوى الوامقِ   قال له قول المحقّ الصادق
لا ارى في وصلك لي ففارقِ

وفي الامثال التونسية اذا وضعتَ الدينار على فم البلا اسكتّه
وفي الامثال المصرية حبيب ماله حبيب ماله اى من احب
ماله وخزنه لا حبيب له ومن هذا القبيل حكاية وقعت
بتونس وهي ان المرحوم الامجد ابو محمد حموده باشا برد الله

ثراه

ثراه كان له وزير يسمى يوسف صاحب الطابع ومعناه المهردار
اى الذى فى يده الخاتم الذى تختم به الاوامر وكان يوسف
المذكور قبل ذلك مملوكا لقايد صفاقس المسمى محمد الجلولى وكان
من الجمال والادب والحيا فنمى خبره الى الباشا فارسل الى الجلولى
يقول له انه قد بلغنى ان عندك مملوكا صفته كذا واسمه يوسف
فاذا وصلك كتابى هذا ارسله صحبة حامله والسلام فلما قرا
الجلولى الكتاب لم يجد بدا من ارساله فلما صار فى حيازة الباشا
اعجبه حسنه وذكاؤه وفطنته وصدقه وامانته واتفق ان
بعض المماليك اتفقوا على قتل الباشا ودخلوا عليه وهو نائم
ووضعوا الشفرة على مذبحه فاستغاث منهم وبخت يوسف
المذكور كان خلاص الباشا منهم على يده فنزل عنده منزلة
عظيمة واحله محل ولده وقلده الولايات العظيمة وصارت
الالوية تخفق على راسه حتى صار يشار اليه بالطرف والبنان
وكان يوسف المذكور سعيد الطالع جيد التدبير مظفرا فى
الحروب ميمون الحركة سخى الكف يجذب القلوب بلطفه حتى ان
الباشا جعله رئيسا على العساكر البرية فى محاربة صراط وهى
محاربة وقعت بين حاكم تونس وصاحب الجزاير فيمن صاحب

الطابع كانت الدائرة على اهل الجزاير واغتنم عسكر تونس اخبية
المعسكر الجزايرى وخيله وابله وسلاحه وأُسر من عسكر الجزاير
فى هذه الواقعة جم غفير ثم صار مدبر الجيوش البرية والبحرية بحلق
الواد وذلك حين قدم أُسطول الجزاير لمحاربة تونس ايضا فكان مقيما
ببرج حلق الواد يدبر امر الجيش والسفن والشوانى والعسس
على الشاطئ وكانت اكابر تونس تاتى اليه لقضاء اشغالهم بحلق
الواد لان زمام الامور كلها بيده وكان من جملة من يحضر ديوانه
محمد الجلولى ابن سيده سابقا لكن كان ياتى بتيه وخفر مع عدم
سلوك طريقة الادب اللائقة بامثاله وكان صاحب الطابع يرى
منه ذلك ويتغافل عنه حتى ان اكابر ديوانه تكلموا معه فى
شأن ذلك وذكروا له امورا كثيرة حتى قالوا انه يراك الى الان
مملوك ابيه وقد صرّح بهذا مرارا فنقم ذلك عليه وتحيل فى
طريق الانتقام منه فاخبر انه يدخل داره راكبا ولا ينزل خارج
الدار كبقية الامرآء وان سايسه ياخذ بغلته ويربطها فى
مربط دوابه فدعى برئيس السياس وقال له قد بلغنى ان
سائس الجلولى يربط بغلته فى مربط دوابى ان بلغنى انه ربطها
فى مربط خيلى بعد اليوم لا تلومنّ الا نفسك فقال سمعا وطاعة

ثم

ثم ان الجلولي جاء ونزل على عادته واخذ سايسه البغلة وربطها
كالعادة والسايس كان غائبا وصعد هو الى مجلس صاحب
الطابع وجلس وبينما هو جالس اذ سمع هيضة وصياحا فنظر
من احد الشبابيك فراى بغلته تركض عائرة وسايسه مضروبا
والدم ينبع من راسه فانزعج ونزل فاخبره سايسه ان كبير
السايس جاء ووجد البغلة مربوطة فاطلقها وضربها فخرجت
عائرة فسمعت بذلك فقلت له لم تطلق بغلة سيدى
فشتمني وشتمته فرددت عليه فضربني وتركني حالي كما
ترى فرجع الجلولي الى صاحب الطابع وهو مغضب وقال له أتطلق
بغلتي ويضرب خادمي وانت موجود فلم يلتفت اليه ولم يرد عليه
جوابا فزاد حنقه وعلم ان الخادم لا يفعل مثل هذا الفعل الا باذن
سيده فنزل وركب من ساعته وتوجه الى الحضرة ودخل على
المرحوم حموده باشا وشكى له جميع ما قد جرى عليه من صاحب
الطابع فما اشكاه ولا التفت اليه فكاد يتميز من الغيظ ونزل
من الحضرة وتوجه لداره كئيبا حزينا لا يدرى ما ذا يصنع فاجتمع
عليه بعض اصحابه وراه على تلك الحالة فساله عن سبب حزنه
فاخبره الخبر فلام عليه فيما صنع لا سيما في شكواه للباشا وقال

له اما تعلم ان صاحب الطابع هو المقبول وكلمته هي المسموعة
اتريد ان تعاديه وتشكوه للباشا ويسمع لك عليه دعوى
بيسما فعلت وساء ما توهمت ادرك نفسك وتلاف امرك والا
حل بك ما يحل بك من التلف وانت المذموم اما سمعت قول الشاعر

من الكامل

واذا العناية صادفت عبد الشرا تمشي على ساداته احكامه

فقال الجلولي والخروج من هذا الامر والحيلة في الخلاص منه قال له صاحبه
اعلم ان المال اذا لم يبذله صاحبه في مثل هذا المهم كان هو وحجارة
الدار سواء والحيلة تحتفل في هدية سنية وتقدمها بين يدي
صاحب الطابع وتتوسل اليه باعز احبابه عليه كحضرة ابن ابي
الضياف وقاسم البواب وصالح ابي غدير واضرابهم وتبذل لهم
من المال ما يرضيهم وينشطهم للشفاعة لان المال لا يطلب
الا لمثل هذا المهم فاخذ الجلولي نصيحته بقبول واحتفل في هدية
عظيمة منها سيف لا يقوم بالحسن جوهره وخاتم من الماس
عظيم لا يقوم ايضا وخنجر مرصع بماس وياقوت وعلبة نشوق
وساعة مرصعتين وعشرة الاف محبوبا واخذ مالا جزيلا غير
هذا وتلطف حتى اجتمع باصحاب صاحب الطابع واخبرهم انه
متوسل بهم اليه ان يتوسلوا له في العفو وبذل لهم ما ارضاهم

وسلمهم

وسلمهم الهدية فاخذوها وذهبوا الى صاحبهم واخبروه ان
الجلولي جاء معتذرا يطلب عفو سعادته واطلعوه على الهدية
وزينوا له امر الصلح والعفو عنه وترك الانتقام منه الا ان عاد
لمثلها فشرهت نفسه الهدية وقبلها وعفا عنه وامرهم باحضاره
وان يبالغوا في وصيته على سلوك طريق الادب وان يترك ما
كان عليه من التكبر ولا يرى لنفسه على غيره فضلا بل يقف على
قدم العبودية لانه هو واحد القواد عندنا على حد سواء وان
عاد الى مثلها لا يلومن الا نفسه فامتثلوا امره واحضروه
وبالغوه في وصيته ثم ادخلوه على صاحب الطابع فلما راه بش
في وجهه وامره بالجلوس واجل مجلسه واعتنى به ولم يفاوضه
في شيء مما كان ثم ان صاحب الطابع كتب الى مخدومه الباشا
واعلمه بما وقع من الجلولي ومنه وان الجلولي استرضاه بهدية
وانه رضي عنه وارسل الهدية صحبة الكتاب فلما وصله الكتاب
قراه واحضر الهدية ونظرها ثم ردها اليه وكتب له ما صورته
قد بلغنا كتابك وفهمنا ما انطوى عليه ووقعت منا الهدية
احسن موقع لكننا راينا كل ما فيها يصلح لك لا لنا فقد رددناها
عليك وسامحناك فيها لانك شاب وتحب الزينة ونحن بمعزل

عن ذلك واما العشرة الاف فاصرفها في مصالح العسكر وقد
رضينا عن الجلولي لرضاك عنه والسلام ولما كان من الغد دخل
الجلولي على الباشا فاعظم ملقاه ورحب به واضاف له عملا على ما
بيده من الاعمال وصار في احسن حال فتامل رحمك الله في
هذه القضية بعين الاعتبار اترى ان الجلولي لو لم يبذل هذا
المال اكان يرجع لحاله الاول لا والله بل توخذ من يده الاعمال وربما
قتل في الحال واذ قد انجر الكلام الى سيرة المرحوم حموده باشا
ووزيره المرحوم يوسف صاحب الطابع فلنذكر نبذة من سيرتهما
لان المقصد ان لا تخلو رحلتنا عن الفوايد الجميلة ولا اجمل من
ذكر الملوك العادلين الذين حسنت سيرتهم فتنعمت بهم
رعيتهم ونبدا بذكر الباشا فنقول هو المولى الاجل الفاضل العادل
الفطن الحازم ابو محمد حموده باشا بن علي باشا بن حسين باشا
ابن علي ولد ليلة السبت الثامنة عشر من ربيع الثاني ١١٧٣ سنة
وبويع له يوم وفاة ابيه ١١٩١ سنة وتوفي ليلة عيد الفطر ١٢٢٩ سنة
كان من الحزم وحسن الراي والعدل بمكان شجاعا مهابا عفيف
النفس عالي الهمة انشا بستان منوبة المشهور الان الذي
اخفى ذكر بستان ابي فهر الذي قال فيه ابو عبد الله محمد الورغي

وقف

من البسيط

وُقِيْ هنا بابي فهر الجميل فقد مضت به دولة التُّنْم العرانين
ترى الحنايا كسطر النخل مدبه بعض لبعض بمحنى العراجين
اوخُرّد نهضت للرقص فاعتنقت كي لا تجيء برقص غير موزون

وسور على تونس السور العظيم وحصنها بالابراج والمدافع وشحن
الابراج بالعسكر ورفع التلال التى كانت بين تونس والبحيرة وقد
كانت مثل الجبال العظيمة مانعة لجودة الهوا يختشى على البلد منها وهي
من مدة دولة بني حفص فاجتهد في نقلها في مدة سبع سنين
حتى ترك محلها مزرعة عظيمة وكشف بذلك غمّة اهل تونس
وانشأ محلا لانشاء المدافع العظيمة وحصن حلق الواد بالابراج
والابنية العجيبة بحيث صار لا تدخله فلوكة الا ويفتح لها باب
وبنى قلعة الكاف واخرج تونس واعمالها من ربقة الرق من
اهل الجزاير الى الحريّة المطلقة وكان مظفرا ميمونا لا يعاديه احد
الا خُذِل فلم تقدر له اهل الجزاير على شيء ومن سعادته انه
استوزر يوسف صاحب الطابع المذكور واطلق يده في جميع
الامور كما قدّمناه فكان يوسف المذكور جيد الراى حسن التدبير
عالى الهمة محبا للعلماء واهل الفضل مجبولا على فعل الخير جوادا مهابا
بنى الجامع المشهور به الان بسوق الحَلْفَاوِيّين بتونس وبنى

بازايه مدرسة عظيمة لطلب العلم ورتّب فيها وفي الجامع
رواتب جليلة منها انه جعل نظر المدرسة لاوحد اهل زمانه
علما وديانة المولى الاجل الاديب البارع سيدى الشيخ ابراهيم
الرياحي شيخنا وشيخ المشايخ الآن بتونس وشرط عليه قراءة
درسين في كل يوم درس في الفقه ودرس في التفسير وزاد الشيخ
من نفسه درسا في الحديث ودرسا في النحو وصرف صاحب الطابع
على بناية الجامع والمدرسة المذكورين مالا جزيلا حتى ان جامعه
الآن في الحسن والاتقان اعظم جامع يوجد بتونس بل يمكن
ان لا يوجد اتقن منه ولا اعجب منه وان كان صغيرا الا فيما لم
نشاهده ولقد رايت عدة جوامع بالقاهرة وبطرابلس الغرب
وبالمورة والحجاز فلم ار اتقن منه اللهم الا ان يقال ان الجامع الأموي
بدمشق او جامع القَرَوِيّين بفاس او جامع اياصوفيا بقسطنطينية
اعظم منه وبنى أمام الجامع سوقا عظيما للتجار وبنى فوقه سراية
عظيمة لجلوسه وانشا عدة مكاتب وموارد في جملة مواضع ولقد
رايت احد الموارد التي انشاها مكتوب عليها تاريخا لشيخنا العلامة
الشيخ ابراهيم الرياحي وصورته

ذا مَوْرِدٌ جاد به   راجي ثواب ربه

من مشطور الرجز

يوسف خوجة الرضى صاحب طابع البهى
فخر العلا حمودة باشا وذا من سيبه
يا واردا ادع وقل تاريخه بشربه
١٢٠٩

وهو على طريقة أيقتش اى طريقة حساب المغاربة قلت وهذا التاريخ اعنى قوله بشربه غير بليغ اى ليس فيه من المعنى شئ حسن واين من تاريخ الاديب البارع المولى الشيخ محمد شهاب الدين المصرى فى السبيل الذى انشاه محمود افندى بالمحروسة الكائن بين الازهر والمقام الحسينى وصورته

من البسيط

يا واردًا سلسبيلًا راق منهلُهُ اشربْ هنيًا فهذا العذبُ مورودُ
وانظر الى حسنه والسعدُ ارَّخهُ سبيله عاطفٌ للخير محمودُ
١٠٧ ١٦٠ ٨٧٠ ٩٨
١٢٣٥

ومن بعض تواريخ اديب زمانه الشيخ على الدرويش فى كسوة البيت الحرام ونصه

من مجزو الرجز

يا نورَ ناظرٍ كسوةٍ يزهو بها خزٌّ وبزٌّ
بُشرى خليلٍ ناظراً فله بها سعدٌ نجزْ
والسعدُ قال مؤرّخا سترٌ لبيت الله عزّْ
٦٦٠ ٤٤٢ ٦٦ ٧٧
١٣٤٥

واين هذا التاريخ من تاريخي الذين نظمتهما للمرحوم السيد محمد المحروقي حين انشنا الزاوية التي تجاه زاوية الشيخ العفيفي بالقرافة الصغرى والمورد الذى انشاه ببركة الرطلي بالمحروسة ونص الاول

من الكامل

انظر لزاوية تكامل حسنها — وصبا اليها لب كل مشوق

وبدت باتقان فاعجز وصفها — ذا النطق بالمفهوم والمنطوق

وقد استضائت بالسيادة ارخوا — مليت بنور السيد المحروقي

٤٨٠ ٢٥٨ ١٠٥ ٣٩٥

١٢٣٨

ونص الثاني

تامل لما شادت يد العز والبها — ترى موردا باللطف والحسن قد زهى

وقد شاده من نسل اكرم مرسل — همام له مجد على ذروة السها

محمد المحروقي انشاه راجيا — ثواب اله حده ماله انتها

ومذ تم قال السعد للشرب ارخوا . — زلال شفاء جيد وهو مشتها

٦٠٨ ٣٨١ ١٧ ١٧ ٧٥٥

١٢٣٨

توفي المرحوم يوسف خوجة صاحب الطابع في شهر صفر سنة ١٢٣٠ ومات قتيلا وطيف بشلوه يجر في الاسواق بعد ان كان البصر يخشى ان يمتد اليه فسبحان المعز المذل ورثاه شيخنا العلامة الشيخ ابراهيم الرياحي بابيات كتبت على قبره وهي هذه

من مجزو الكامل

لله قد وجب الدوام — وسواه نهب للحمام

سيان

29

سيّانِ في تنغيصه عالٍ و منخفض المقامْ
اين الملوك واين من كانت لهم ترعَى الذمامْ
لم يظفروا بسوى الذى عملوه من خير فدامْ
هذا الذى بصنيعه قد رامه هذا الهُمامْ
من فعْل خير عزّان يغنى الانام من الغمامْ
وجوامع ومكاتبٍ وموارِدٍ تسقى الاوامْ
الله يرحم يوسفا ختْمُ الكرام بلا كلامْ
لا غرْوإنْ ارختُه بمماته يتم الكرامْ
٤٨٨ ٤٥٠ ٢٩٢
١٢٣٠

ولنرجع الى ما نحن بصدده ثم ان جدى خرج من مكة المشرفة الى بندر اى مرسى جُدّة ومكث ينسخ الكتب بالاجرة وكان جميل الخط كما قدّمنا فاتفق انه اجتمع في تلك المدة باناس من اهل جزيرة سنّار وتودد اليه بعضهم وارتبطت بينهم صحبة فساله من اى البلاد انت فقال من تونس فساله عن سبب اقامته بجدة فاخبره بقصته وماجرى عليه فقال له السنّارى لا تتوجه معنا الى مدينة سنّار ويحصل لك العزّ والافتخار لان مَكّنا اى ملكنا رجل مبسوط اليد لا يبالى بلجيْنٍ

ولا عسجد يحب الفضل واهله ويحل كلا منهم محله وينيل الاشراف
بما يقدر عليه من الاسعاف وانا ضامن لك ان ذهبت معنا ان
يجبر كسرك ويسد خللك وتصبح ذا مال ونوال ورقيق وجمال
فطمع جدي في نوال الملك المذكور وتوجه معهم يامل الفرح والسرور
وحين وصل معهم الى جزيرة سنار قابلوا به الملك واعلموه انه رجل
من اهل العلم غريب الديار قد انكسرت سفينته وضاع ماكان
حيلته فرحب به واعظم ملقاه وبشّره باليُسرِ وهنّاه وانزله
دار اكرامه وامر له بجزيل انعامه فكان فيما انعم عليه به جارية مكّية
بهية سنية غالية القيمة تسمى حليمة فتسرّاها جدي لجمالها
فجاءت بغلام وجارية مثالها واجرى عليه رزقا فاستقر جدي
بسنّار ونسي اهله بتونس واولاده الصغار وكان حين خروجه
من تونس ترك ثلاثة اولاد مع امهم اكبرهم عمي المرحوم السيد محمد
كان عمره تسع سنين واوسطهم المغفور له والدي وكان
عمره ست سنين واصغرهم عمي المرحوم السيد محمد طاهر وعمره
ثلاثة سنين هكذا سمعت من والدي وجدتي عليهما سحائب
الرحمة والعُهدة عليهما فانحنى عليهم خالهم المولى الاجل الاكمل الامثل
الفقيه المحدّث العالم الفاضل السيد احمد بن العلامة الرُحلي

الرسند

السند السيد سليمان الازهرى صاحب التصانيف العديدة والتاليف
المفيدة كان السيد احمد عالما فاضلا ثقة حجة فى المنقول عرض عليه
منصب القضا بتونس فامتنع منه وكان مشتغلا بالتدريس وولى
وظيفة التدريس بمدرسة على باشا الاول فلازمها وأُصيب فى اخر
امره بدآء أَزْمَنَهُ فكان يقرا الدروس فى داره وتحضره اكابر طَلَبَة
العلم والفضلآء ولم يزل كذلك حتى شب والدى وبلغ مبلغ الرجال
وكان حفظ القران وحضر بعض دروس فى العلم على خاله وغيره وبينما
هو كذلك اذ تحرك شوقه الى الحج فاستشار خاله فى السفر فتحرك شوقه
هو ايضا فتجهزا لِلسفر معا وركبا البحر من تونس الى اسكندرية ومنها
الى مصر ومن مصر توجها الى القُصَيْر وكان ذلك قبل اشهر الحج وبينما
هما سايران فى القافلة اذ عرضت لهما قافلة قادمة من سنار فناداهما
منادٍ يا ايها المغاربة هل فيكم احد من تونس فقال ابى نعم نحن منها
فقال هل تعرفون السيد احمد بن سليمان فقال ابى نعم نعرفه
ومن انت قال انا نسيب احمد قد خرجت من تونس منذ كذا وكذا
وتركت اولادى واهلى ولا ادرى اهم احيآء ام اموات وكان خال ابى
فى شبرية مرخى عليها ستر فسمع ذلك كله فقال لابى يا عُمَر سلم
على ابيك فاكبّ والدى يسلم على ابيه ويقبّل يده واعلمه ان خاله

في المشبرية فجاء جدي وسلم على نسيبه وبعد انقضاء السلام
قال ابي لوالده ايسوغ لك ان تتركنا هذه المدة بدون نفقة ونحن
صغار ولولا ان الله سخر لنا خالنا كنا ضايعين فقال والدي ما حيلتي
والقضاء والقدر يجريان على وفق الارادة العلية مفرد

من الكامل

إنّ المقدَّر كاين لاينمحي ولك الامان من الذي ماقُدِّرا

فقال ابي لوالده الم يانِ لك ان ترجع الى بلدك وتقر اعيننا برويتك
فقال يكون ذلك ان شا الله قال له والدي متى قال انا الآن متوجه
الى القاهرة ابيع ما معي من الرقيق وارجع الى سنار واخذ متاعي
واولادي واتي الى القاهرة وانتما تتوجهان للحج وترجعان الى
القاهرة فنجتمع هناك وكل من سبق صاحبه انتظره هناك ثم
ودعهما وتوجه كل منهم الى سبيله على حد قول الشاعر

من الكامل

لم استتم سلامَهُ لقدومِهِ حتى ابتدأتُ سلامَهُ لوداعِهِ

فتوجه والدي وخاله الى الحج وتوجه جدي الى المحروسة اما جدي
فباع رقيقه وتسوق ورجع الى سنار واما والدي وخاله فتوجها
الى الحجاز ومكثا بالطائف حتى جاء وقت الحج فقدما مكة وحجا وبعد
انقضاء الحج تُوُفِّيَ خاله في مكة المشرفة ودُفِنَ بباب المعلا ثم
رجع والدي الى القاهرة فما وجد اباه فاقام ينتظره مدة فلم يات

وكان

وكان ابى فى هذه المدة يحضر العلوم بالجامع الازهر ولما اعياه الانتظار
توجه الى سنار مع قافلة اتت فلما وصل اليه وجده قارًّا فى داره مغتبطا
باولاده وعياله لا يسئل عن غيرهم ولا يخطر له السفر على بال فساله
عن سبب خُلْف الوعد ولِمَ جعل الهزل مكان الجد فاعتذر بعذر ساقط
لا يجد له لاقط فقال له يا بُنَيَّ ان لى ديونا على بعض الناس ماطلونى فى
دفعها ولا يمكننى الارتحال الا بعد خلاصها على كل حال ليستقيم بها
اَوَدى ويقوى فى السفر عضدى فمكث معه نحو ستة اشهر وبعد
ذلك تجهزت قافلة الى الاقطار المصرية فسال ابى والده فى احد
امرين بان قال له هذه القافلة متوجهة فاما ان تتوجه بنا صحبتها او
تاذن لى بالتوجه معها فابى عليه فيها وقال اما الذهاب فلا سبيل
اليه لما علىَّ فى تونس من الاموال لا سيما وقد أُخبِرتُ بان امك
تزوجت واما الاذن لك فيكون لكن فى قافلة اخرى ان شاء الله
تعالى حتى اجمع لك ما تسافر به من الرقيق والجمال والذهب والاحمال
بحيث انك لا تعود الا مجبور الخاطر فابى والدى المكث واستطال
اللبث وقال انى مشتاق اطلب العلم وفى اقامتى هنا ضياع زمن
بغير فايدة فاختلف رايهما وحصلت بينهما وحشة فخرج والدى
مغضبا وتوجه مع القافلة لا يملك شيا فالحقه والده بعد ثلاثة

ايام بثلاثة جمال واربع جواري وعبدين وعلى الجمال أُهبة السفر من
مؤونة وماء وعلى احد الجمال حمل صمغ فاخذها والدي وسار صحبة
القافلة وبينما هم سائرون اذ ضلوا عن الطريق وادركهم العطش
وطال عليهم الامد فمات الرقيق والجمال ورجع الى مصر فقيرا كما كان

مفرد

من الطويل

اذا اقبلتْ كانت تُقاد بشعرة وان ادبرتْ كانت تقدّ السلاسلا

فمن لطف الله عز وجل مرض خبير القافلة بصداع احرمه الهجوع وعجز
عن شفائه الجموع وبلغ والدي هذا الخبر فكتب رقعة واخذها
الخبير باعتقاد ووضعها محل الالم فبرئ لوقته فاعتقد في والدي
الصلاح وامر ان يُحمل ويحمل له عدل صمغ على ابله فوصل والدي
الى القاهرة بعد غص الريق وباع عدل الصمغ بخمسة وسبعين
فُنْدُقلي ودخل الجامع الازهر لطلب العلم وتزوج والدتي اذ
ذاك ومكث معها نحو سنتين جاءت منه بولد سماه احمد عاش
سنة وثلاثة اشهر ثم مات فحزن عليه وتمثل بقول الشاعر مفرد

من الطويل

لقد خانت الايام فيك فقرّبتْ يوم الردَى من ليلة الميلادِ

وبقول الاخر

من الكامل

عجبًا لمولودٍ قضى من قبلِ أنْ يقضي لايام الصِبا ميقاتا

فكانه

فكانه من نسكه وصلاحه　　وهب الحياة لوالديه وماتا

وبقول التهامي في ولده

من الكامل

يا كوكبا ما كان اقصر عمره　　وكذا تكون كواكب الاسحار

ثم ان والدي توجه الى تونس واخذني وامها معه وكنت اذ ذاك
حملا فلما وصل الى تونس نزل بدار اخيه المرحوم السيد محمد وكان
من مشاهير العلميين بسوق الشواشية اي طرابيشة فولدت
بعد ذلك بخمسة اشهر في الساعة الثالثة من يوم الجمعة منتصف
ذا القعدة سنة ١٢٠٤ ومكث بعد ذلك نحو ثلاث سنين ثم حصلت
بينه وبين اخويه وحشة فقفل بنا الى القاهرة سنة ١٢٠٧ فصار يطلب
العلم في الازهر وتحضر درس العلامة المرحوم الشيخ عرفة الدسوقي
المالكي وشيخ مشايخنا العالم الاوحد المرحوم الشيخ محمد
الامير الكبير وتولى نقيبا برواق لسادة المغاربة وكان في عيش
متوسط وما زال كذلك الى ان دخلت سنة ١٢١١ ورد عليه كتاب
من اخيه لابيه من سنار مع القافلة مضمونه بعد السلام ان
والدنا توفي الى عفو الله تعالى وترك جملة من الكتب فسرقها
منا رجل يسمى باحمد البنزرتي امنّاه على بيتنا لانه ادعى القرابة
لوالدنا وبقينا في حالة تسر العدو وتسيء الصديق فاذا وصلك

كتابي هذا عجل بالقدوم علينا لتاخذنا معك نعيش بما تعيش
به والسلام فلما قرا الكتاب بكى واستعبر واخذته الشفقة
على اخويه فتعجل وسافر اليهما وكنت اذ ذاك ابن سبع سنين
قد ختمت القران بداية ووصلت في العبادة اخر آل عمران
وكان لي اخ عمره اربع سنين وترك لنا نفقة تكفينا ستة اشهر
فمكثنا سنة باعت فيها والدتي اشيا كثيرة من نحاس وحلي
ثم جاء عمي الصغير المسمى بالطاهر فانحنا علينا يربينا وكان قد جاء
للحج والتجارة ومعه ولد كالشمس الضاحية في السماء الصاحية
اسمه محمد وكان اسن مني بنحو سنة ونصف فكان يذهب
معي الى المكتب لقراءة القران حتى سافر به والده الى الحج اخر
سنة ١٢١٢ ثم دخلت الفرانسيس القاهرة وملكوها في اول سنة ١٢١٣
وكان عمي اذ ذاك مع الحجاج فهربت الغز وتمزقوا كل ممزق ودخل
الحجاج فوجدوا الفرنسيس في مصر واعمالها ومكثوا كذلك
الى اول سنة ١٢١٦ جاء الوزير بالعساكر وخرجت الفرانساويين
وكان ابن عمي المذكور قد حفظ القران وابتدا يحضر دروس العلم
وكان من الحياء والادب بمكان فوقعت في تلك السنة امراض
وبائية والمّت بابن عمي المذكور فاخرجته من القصور الى القبور

بل

37

بل للملاعبة مع الحور ولما قُضِي عليه حزنت عليه والدة اشتد الحزن
حتى كاد يهلك اسفًا ويدخل رمسه توجعا ولهفا ورحم الله القائل

من المنسرح
الناس للموت كخيل الطِراد فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقّاد على كفه جواهرٌ يختار منها الجياد

وكره المقام بمصر لخلوها من ولده وفلذة كبده وفي ذلك قلتُ

من الوافر
اذا رحل الحبيب من الديار كرهتُ لبعده تلك الديار

فاراد ان يبرّد نارَه ويوارى أُوارَه بحج بيت الله الحرام ورؤية قبر
نبيه عليه الصلاة والسلام ولله در من قال

من الكامل
نقّل فوادك حيث شئتَ من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

وفي هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام اذا أُصيب احدكم بمصيبة
فليذكر مصيبته بي فانها اعظم المصائب

من الكامل
اصبر لكل مصيبة وتَجلَّدِ واعلم بان المرء غير مخلّد
واذا اصبتَ بفقد من احببتَه فاذكر مصابك بالنبي محمد

فتوجه الى الحجاز وتركنى بمصر لطلب العلم بالازهر وابقى لى نفقة
تكفينا اربعة اشهر ومكث هو اكثر من ذلك فنفذت وضاق
ذرعى لذلك وانا اذ ذاك في شرخ الشباب فبقيت متحيرا لا
ادرى ما اصنع واستنكفتُ ان اترك طلب العلم واتعلم احدى

الصنايع وبينما انا متحير في طلب المعاش وضيق الصدر لعدم الارتياش
اذ بلغني ان قافلة وردت من بلاد السودان من دار فور وكان
قبل ذلك بلغنا ان والدي توجه من سنار اليها صحبة اخيه فلما
استقرت بوكالة الجلابة توجهتُ اليها لاسئل عن ابي اهو حي
يتوقع ام أُودِعَ اللحد البلقع فلقيت على سبيل المصادفة رجلا من
اهل القافلة مسنًّا ذا هيبة ووقار يسمى السيد احمد بدوي
فقبلت يده ووقفت امامه برهةً فسالني بلطف وقال لي ما ذا
تريد قلت اسئل عن رجل غائب لي في بلدكم لعل يعرفه منكم احد
يدلني عليه فقال من هو وما اسمه فقلت اسمه السيد عمر التونسي
وهو رجل من اهل العلم فقال على الخبير به سقطتَ هو صاحبي وانا
اعرف الناس به واري بك شبها له فكن ابنه فقلت انا هو على
تغير حالي وتبلبل بالي فقال يا بني ما يُقعدك عن اللحاق بابيك لترى
عنده ما يهنيك قلت قلة ذات يدي واعتدادي وعددي
فقال ان اباك من اعظم الناس عند السلطان واكرمهم عليه دون
اهل الديوان وان اردت التوجه اليه فانا عليَّ مؤونتك ومركوبك
وراحتك حتى تصل اليه وتقف بين يديه فقلت احق ما تقول
فقال اي وحياة الرسول لان اباك فعل معي معروفا لا اقدر على

مكافاته

مكافاته فيه ولو بذلت جميع ماتملكه يدى وتحويه فقلت انا اطوع
لك من نعلك واتبع لك من ظلك فعاهدته على ذلك واستوثقت
منه هنالك وجعلت اتردد عليه حتى تأهّب وقال لى السفر غدا
فان شئت بت عندنا لنصبح على السفر مبكرين فقلت على
الراس والعين فبتُّ عنده فى الذعيش واهناه واحسن حال
واصفاه الى ان لاح ابن الدكا والتحف الجوُّ بالضيا نهضنا للمكتوبة
فاديناها وابرزنا الحمول واخرجناها وجى ح بالجمال وحمّلت عليها
الاحمال فما ذرّقرت الغزالة الا وقد تم التحميل واخذت العيس فى
الذميل ولازالت كذلك حتى أُنيخت بالفسطاط على شاطى النيل
وابتُدِا فى شحن الفُلْك بها حتى تمت كلها ثم صبرنا حتى صلينا الجمعة
خلف الامام ونزلنا الفلكَ وودعنا مصر بسلام الباب الثانى
من المقدمة لما امتطينا الدهما لهذا السفر العظيم قلنا بسم
الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم ولما اقلعنا عن ساحل
الفسطاط ناويين البعد والنشاط تذكرت متاعب الاسفار وما
يحصل فيها من الاخطار خصوصا لمن كان حاله كحالى فى الفقر المدقع
والعسر المُصقع وتوسوس صدرى وانزعج وبقيت فى مشقة
وحرج لاسيما وقد وجدت نفسى مع غير ابناء جنسى بل بين

اقوام لا أعرف من حديثهم الا القليل ولا ارى فيهم وجها صبيحا
جميل فقلت ودمعي بادى

من الهزج

فجسمك مع ثيابك والمحيا … سوادٌ في سوادٍ في سوادِ

وندمت على تغريري بنفسي مع ابناء حام وتذكرت مابينهم من
العداوة لابناء سام فداخلني من الهلع ما لا اقدر على وصفه حتى
كدت ان اطلب الرجوع الى الربوع ثم ادركتني الطاف الله الخفية
وتذكرت ما مُدِحتْ به الاسفار على السنة البلغاء الادبية خصوصا
ما ورد في الاثر عن خالق البشر سافروا احدث لك رزقا جديدا وانْ
افضل الانام سافر من مكة الى الشام وقد قالت العلماء انّ
السفر يسفر عن اخلاق الرجال وهو المميز للذكور عن ربّات الحجال
وقد قيل ان الدر لو لم ينقل من معدنه لما رُصّعت به التيجان ولو
لم يسير البدر لكان في غاية النقصان قال الشاعر

من الكامل

سافر تنل رتب المكارم والعلا … فالدر سار فصار في التيجان
والبدر لولا سيره في افقه … ماكان الا زايد النقصان

وقال الاخر

من الطويل

تغرّبْ عن الاوطان في طلب العلا … وسافر ففي الاسفار خمس فوايدَ
تفرج همّ واكتساب معيشة … وعلم وآداب وصحبة ماجد

وان قيل في الاسفار ذل وغربة   وتشتيت شمل وارتكاب شدايد
فموت الفتى خير له من حياته   بارض هوان بين واش وحاسد

ولله در الطغراى حيث يقول

من البسيط
ان العلى حدثتني وهي صادقة   فيما تحدث ان العز في النُقَل
لو كان في شرف الماوى بلوغ مُنىً   لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

على اني لو كنت اقمت بالقاهرة في هذا الحال ما كنت ارى فيها الا الوبال وح تمثلت بقول الطغرائي المفضال حيث قال

من البسيط
فيم الاقامة بالزوراء لا سكني   فيها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وبقول الاخر

من البسيط
ارحل بنفسك من ارض تهان بها   ولا تكن من فراق الاهل في حُرَقِ
الم تر التبر تُربا في معادنه   وفي التغرب محمولا على العُنُقِ

فوطّنت نفسي على الاسفار ولو كنت أُكْوَى بالنار وكنا قد اقلعنا بريح طيب ظل معنا يومه وسفينتنا تميس به عجبا وتتمايل بحسنه طربا وقد ملأ شراعها والطال في السير باعها وعلى ذكر السفينة ووصف سيرها تذكرت لغزي الذى كنت سالت فيه العلامة الشيخ مصطفى كسّاب شيخ مدرسة الطب البيطرى التي انشاها صاحب السعادة بازاء مدرسة الطب

البشري بابي زعبل وهو هذا

من الطويل

امولاي يا كساب للعلم والتقى ... ويا بحر عرفان لدى الناس يعذب
سالتك عن شي ثلاثي احرف ... به كلف قلب الشقي معذب
لقد جاء في التنزيل والامر واضح ... ومثلكم يتلوه دوما ويكتب
وايضا له اسم خماسي قد اتى ... مونث لفظ للبرية يعجب
يهيم به المضني وتجري دموعه ... ومادته يشتق منها المهذب
كذاك له اسم شهير لدى الورى ... رباعي حروف وهو منها مركب
مسمى الذي قد قلت يا حبر واحد ... وانت لبيب ليس ذا عنك يحجب
مطية عزمي الآن دهماء قد اتت ... اليك فريد العصر والحل اطلب
واوصافها قد قلت اضحت شهيرة ... كجارية حسناء للب تسلب
تميس متى تكسى ويكثر سعيها ... وان جردت للسعي تخشى وترهب
وتحمل ما يعسر على الناس حمله ... ومحمولة يا قوم منها تعجب
وفي سعيها تمشي على حر ظهرها ... وارجلها للبطش قد تتجنب
تطيع الهوى تخشى اشتداد عصوفه ... ولكن به تزهو وتلهو وتلعب
وحسبك توضيحي فهات جوابه ... فلا زلت يا مفضال للحل تطلب

فاجاب حفظه الله بما نصه

من الطويل

ايا عالما بالعلم منه وبالنهى ... وبالفضل عند العالمين محبب

ومَن حذقه قد شاع شرقا ومغربا ... ومن هو بالشعر المهذّب يُغرِب
ولِم لا وقد جاز القريض بأسره ... وطاوعه ما قد يضل ويعزب
وانّى لقُسّ وامرءِ القيس مثلَه ... كلام يثير العاشقين ويطرب
اتيتَ بشعر كالنسيم لطافةً ... فمن يدّعيه فهو لا شك كاذب
والغزتَ في اسم عمّ في البحر نفعه ... ويحمل اثقالا تكل وتتعب
ونوحُ تولاه وابدع صنعه ... ونُجّي من الطوفان والموج لاعب
وقال اركبوا فيها فبالله مجراها ... كذلك مرساها فلا تترسب
وقد حُلّ لغز التونسي محمد ... امام له العليا تنمى وتنسب
فلا زال يُبدي من نتايج فكره ... نفايس در تَنْبُ عنها المطالب

وقد الغزتُ في لفظ بحر فقلت

من الطويل

الا قُل لتحرير العلوم ومن غدا ... له اللغز طوعا قد يزول نقابُهُ
فديتك ما اسم من ثلاث احرف ... مسماه يسطو بالانام عُبابه
وفي قلبه معنى اتساع لمن اتى ... وان شئت فعلا ماضيا لا تهابه
واول حرف منه ان كنت حاذقا ... فسمٌ بضد البرد وهو انقلابه
بتشويشه تبدو معانٍ ثلاثة ... تامل لها فهو العجيب عجابه
امام علوم والمداد وثالث الـ ... ـمعاني امر لا يسرّ مصابه
وان تحذف الثاني فضد لاسمه ... يصير فلا يعسر عليك جوابه

وقلت ملغزا فى مصباح

من الطويل

الا قل لمن حاز البلاغة والفهما واعطاه رب العرش بين الورى علما
فذاك ابى ما اسم خماسى احرف به النفع يا حبر البرية قد عمّا
صغير كانملة اذا قست جسمه ويملأ بيتا وهو فى حجمه جزما
اذا ما نسيم هب مال صبابة ومهما تقوى مات من وجده حتما
فريد باوصاف حسان سمابها واحسنها ارشاد شخص له امّا
ويمرض مهما طال يا صاح انفه وان قطعت يصحو ولا يذكر الغمّا
ويزهو متى حل البهيم وان راى السغزالة ذرّت نال من ضعفه وهما
ومن اسمه حرفان شى محبب اذا كان من حلو المراشف ألمى
وباقيه فعل ماض كن متفطّنا وفاعله فى الناس يستوجب الذمّا
واوّل حرف منه فاحذف ترى الذى تبقّى رديفا للغداة فكن شهما
وحسبى لقد اوضحت هاتِ جوابه وقد جاء فى التنزيل فانظره قدما

وقلت ملغزا فى السماء

من البسيط

يا من رقى لسماء العلم والحكم وفضله قد غدا ينهل كالديم
بين لنا ما اسم شئ راق منظره وحسنه قد بدا للعُرب والعجم
لكنه ذو ارتفاع لا يحُلّ به الا الذين حبوا من بارى النسم
منه المصابيح تبدو وهى زاهية بها الهداية فى داج لنا بهم

وحسنه الباهر الزاهي نقربه   لانه جاء في التنزيل ذي الحكم
مركب من حروف اربع رسمت   في النظم كن فاهما للنظم والكلم
قد تم ارجو جوابا شافيا حسنا   لا زلت يا حبر في عال من الهمم

وقد تذكرت بهذه الالغاز ما للغزبه خاتمة المحققين الامام ابن حجر الشافعي رحمه الله في لفظة مُدام ونصه

من الهزج

وما شيءٌ حشاهُ فيه داءٌ   واوله واخره سواءُ
اذا ما زال اخره بجمع   يكون الحد فيه كذا المُعناءُ
وان اهملت اوله فنعلٌ   له بالرفع والنصب اعتناءُ

ولنمسك عنان القلم عن جرية في هذا الميدان اذ لو تتبعت ما قلته من الاشعار والالغاز لطال الحال وجلب الملال ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول وعند المساء سكن الهوى وبطل هبوبه وفقد شماله وجنوبه وقد جينا مقابل المنية وكان فيها جماعة من الغز الذين ابتز الله منهم حلة العز فاخذونا بالقوة والقهر واملوا سفينتنا الى جانب البروكات معسكرهم مخيما في عرض البلد على النيل وكانوا مقيمين هناك لنهب السفار المارين فغرموا صاحبنا جملة من المال وبعد الخلاص اقلعنا عنهم في الحال وفي اليوم الثالث حللنا منفلوط فاخذنا منها ما احتجنا اليه ثم اقلعنا حتى دخلنا

بني عَدِي فاقمنا فيها ريثما تاهبتْ القافلة وخرزوا اسقيتهم
وصنعوا زادهم ثم جيء بالمطى فحمّلت احمالها وخرجنا مهمها قفرا
حتى وصلنا الى الخارجة في عشية اليوم الخامس فوجدناها قد
دار بها النخيل دورةَ الخلخال بالساق او التفاف يدي العاشق
على معاطف المعشوق للعناق وفيها من التمر ما تشتهيه الانفس
وتلذ به الاعين مع رُخص الاسعار وحسن تلك الثمار فاقمنا
بها مدة خمسة ايام وفي صبيحة اليوم السادس ارتحلنا وسرنا نحو
يومين وفي اليوم الثالث حللنا بلدة يقال لها أبيريس وهي بلد قد
استولى عليها الخراب من ظلم الحكام وتمزق شمل اهلها بعد الانتظام
ففسد ما به من النخيل وذهب رونقه بعد ان كان جميل فاقمنا
بها يومين حتى افاقت دوابنا وزال عنها العنا ثم سافرنا يومين
ونزلنا في ثالثهما بلدا يقال لها بولاق وهو من الساكن في املاق
قد دُرِستْ معالم اكثرها وتصدع بناء اقومها واشهرها ومن
العجايب ان نخلها في غاية القِصَر وهو حامل للتمر لا يتكلف جانيه
للقيام بل يتناول منه ولو في هيئة النيام فتذكرت باسمها بولاق
مصر المحمية حرسها الله من كل آفة وبلية فانهملت دموعي
وهاج وجدي وولوعي فانشدت اقول شعرا

من الطويل

تذكرت بولاقا ومصر واهلها   واذكرني هذى التي تدعى بولاقا
فبالله يا عيني اسعفيني بادمع   عسى يبرد القلب الذى زاد احراقا

ثم سافرنا مجدين من غير لبس حتى نزلنا عشية النهار على بلد يسمى القَسْ مفرد

من الرجز

وبلْدةٍ ليس بها انيس   الا اليَعافير والا العيسُ

قيل ان هذا البلد كان اعمر من كل بلد فاخنى عليه الذى اخنى على لُبَد وتمزق شمل اهله ولم يبق به احد وليس به من الاشجار الا ما قل وهو بعض اثل وصَبِل فاقمنا فيها يومين وملانا القِرَب وارتحلنا وللمفازة الحقيقية دخلنا فمكثنا خمسة ايام فى مهمه قفرا وبيدا اغبر ليس فيها من الحشايش الا ما قول قليل كما لا يوجد بها شجر يصلح للمقيل وكان يُطبخ لنا فى تلك المدة بما تلتقطه الخدم من بعر الابل الجاف لقلة الوقد الذى يحصل به الاسعاف وفى عشية اليوم الخامس وردنا محلا يقال له الشبّ وهو محل بين غرود من الرمل عليه ريح الوحشة قد هب فارحنا فيه يومين وارتحلنا وللمفازة الثانية دخلنا فقطعناها عنقا وذميلا فى مدة اربعة ايام نزلنا فى ضحى خامسِها ببئر يقال له سَلِيمة وبهذا البئر رسوم ابنية قديمة وهو فى عرض جبل مسمى بهذا الاسم ايضا

فمكثنا فيه يومين حتى قضينا منه غرضا ومن خواص هذا المحل ان
الحالّ به يستانس به ولا يستوحش منه ومن العجايب ان الشبان
من اهل القافلة يصعدون على الجبل الذى هناك ويضربون
الحجارة بعصى صغار كما يضربون الطبول فيسمع لها صوت كالطبل
ولا يعرف سبب ذلك اهو تجاويف فى الحجر او هى موضوعة على خلو
فسبحان من يعلم حقيقة ذلك واخبرنى اهل القافلة ان فى بعض
الليالى واظنهم قالوا فى ليلة كل جمعة يسمع من الجبل اصوات طبول
وكانه عُرُس ولا يعرفون حقيقته ثم ارتحلنا صبيحة اليوم الثالث
بعد ملئ ادوات المآء ودخلنا مفازة سافرنا فيها خمسة ايام وصلنا
فى ضحى سادسها الى محل يقال له لَقِيَّة فوجدنا هناك ابارا محاطة بالرمل
وماؤها عذب زلال وقبل وصولنا لهذا المحل عرضتْ لنا قافلة
صادرة من بئر النطرون المسمى بالزَغَاوِى واهلها من عرب
يقال لهم العمايم فقابلونا بالسلام ثم انصرفوا عنا بسلام فمكثنا
فى لقية يومين وفى صبيحة اليوم الثالث ارتحلنا للزغاوى قاصدين
واذ بهجان اقبل من ناحية دار فور يخبر بوفاة المرحوم الملك العادل
المجيد السلطان عبد الرحمن الرشيد ملك دار فور وما والاها
وسلطان اقصاها وادناها وانه ذاهب الى مصر لتجديد الخاتم

الذى

الذى تختم به الاوامر السلطانية لعدم من يتقنه هناك لابنه
السلطان محمد فضل وذلك لليال مضت من رجب الفرد سنه ١٢١٨
فحزن اهل القافلة على موت سلطانهم وخافوا من وقوع الفتن
فى اوطانهم لانه كان سلطانا عادلا كريما محبا للعلم وذويه مبغضا
للجهل ومن يليه وسنتكلم على عدله واحكامه فيما ياتى بابسط
عبارة ان شاء الله تعالى ثم سافرنا من هناك ثم سافرنا خمسة ايام
الخنا فى سادسها ببئر الزغاوى وهو بئر النطرون وبينه وبين
دارفور مسيرة عشرة ايام كاملة فاقمنا به احدى عشر يوما
نُصْلح شؤوننا ونرتاح وترعى دوابنا لتتقوى على قطع هذه المفازة
الدهماء ونُحرتْ فى اقامتنا تلك عدة جُزُر وفُرِق لحمها على اهل
القافلة واجتمعنا هناك باعراب البادية من دارفور واتونا
بلبن الابل وسمنها فاشترينا منهم ما احتجنا اليه وكانوا اتوا
لهذا البئر لياخذون منه ملحا ونطرونا لدارفور لان النطرون
واكثر الملح لايجلب لها الا من هناك وكنا قبل حلولنا بالزغاوى
ارسلَتْ اهل قافلتنا هجّانا لدارفور باوراق الى الدولة والى اهاليهم
تعلمهم بالمجيئ وانهم قد قفلوا سالمين وكنتُ قد كتبت معهم
كتابا لوالدى ونصه الى حضرة والدى واعز الناس عندى

السيد عمر التونسي ابقاه الله امين بعد تقبيل اياديه الشريفة
اني قد اتيت مع قافلة الخبير فرج الله صحبة السيد احمد بدوي
صاحبكم وحبيبكم وفعل معنا من المعروف من اجل خاطركم
ما لا نقدر على وصفه لسعادتكم والسلام كاتبه ولدكم محمد عمر
ابن سليمان فاخذها الهجان وارتحل من وقته ولم ار في
اسفاري التي سافرتها اهون منها لاني كنت فيها في غاية الراحة
وذلك ان حال خروجنا من بني عدي امر السيد احمد بدوي
عبيده ان يضعوا الخيمة على احدى جمل وان يوطئوها للركوب
تَوطِئةً حسنة ففعلوا واخذ بيدي الى ان سلمني خطام الجمل
وامران ياتوا بزمزمية ملآنة ماءً نَجِيئَتْ وعلقت على الجمل
وقال هذا جملك تركبه مهما اردت وتنزل عنه مهما اردت
وهذه الزمزمية تشرب منها كلما احتجت الى الشرب وكلما
فرغت مر احد العبيد يملاوها لك وامر جميع العبيد والخدمة
بطاعتي في ذلك وكان معه من العبيد الكبار سبعة وعبد
صغير وثمانية من الخدمة ومعه من الجمال ثمانية وستون
جملا قد اعدّ منها ثمانية للماء واربعة للزاد وفي وقت الدخول
الى المفازة كان يعلق على كل جمل قربتين وكان معه من السراري

خمسة وسادستها ابنة عمه السيدة جمال وكانت من اجمل نساء
وكان معه حصان دنقلاوي اسود لا يقوّم بمال لحسنه وعليه
سرج غشاؤه قطيفة خضرا يقوده عبد خاص به وكان السيد
احمد يلاطفني ملاطفة الوالد لولده فكنت اذا نزلت القافلة ربما
نمت من تعب الركوب وهز الجمل وحر الشمس فكان يدثّرني واذا
جيء بالعشاء يوقظني بلطف ويطلب ماء ويغسل وجهي ويدي
ويامرني بالمضمضة لافيق من النوم وياخذ يدي ويضعها في الاناء
وربما اخذ الطعام ووضعه في فيّ ولم يزل هذا دابه معي حتى
وصلنا بالسلامة ثم ارتحلنا من بئر الزغاوي سافرنا عشرة ايام
سفر المجد ناخذ من اول الليل قطعة ومن اخره دلجة حتى وصلنا
ضحى حادي عشرها الى المزروب وهو بئر في اول اعمال دار فور
وقبله بنحو ثلاث ساعات او اربع جاءتنا اعراب بقرب من الماء واللبن
فاستبشرنا بالسلامة ثم نزلنا البئر المذكور فاقمنا فيه يوما وفي
صبيحته ارتحلنا نحو اربع ساعات ووردنا بئرا يقال له السوينة
وهناك قابلنا قايد الولاية وحاكمها وكان يسمى الملك محمد سنجق
وهو قائد الزغاوة وهي قبيلة عظيمة من السودان واهل السودان
يسمون القائد ملكا ومعه جيش كثير اظنه نحو خمسماية فرس

فسلم على اهل القافلة وهناهم بالسلامة فاقمنا في هذا المحل يومين
ثم ارتحلنا وتفرقت الناس فكل اناس اخذوا طريق بلادهم لان
اهل القافلة كلهم ليسوا من بلدة واحدة فاكثرهم من بلدهم المشهور
المسمى كُوبَيه وبعضهم من كَبْكَابِية وبعضهم كالسيد احمد بدوي
صاحبي من سَرْف الدجاج وبعضهم من الشَّعِيرِية وبعضهم من
جَدِيد كَرْيُو وبعضهم من جديد السَّيْل فذهب كل منهم في
مذهبه واخذنا طريق سرف الدجاج فسافرنا سفرا هينا نحو
ثلاثة ايام ونزلنا في رابعها قرب الظهر في ظل جبل بقرب بئر
فَقِلنا هناك وجائت اناس كثيرون يهنوننا بالقدوم وجا هناك
بدوي ابن السيد احمد ومعه عبيد وخدم باطعمة كثيرة فسلم
على والده وهناه بالسلامة وتغدينا واقمنا حتى انهر النهار واخذ
الشمسَ الطفَلُ والاصفرار رُحِّلَتْ الاحملا ورفعت الاثقال فلم يات
المغرب الا ونحن على ظهر مقلّون على الجادّة سائرون فدخلنا
سرف الدجاج بعد العشآء مغرد

من الطويل

فالقَتْ عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافرُ

وبتنا تلك الليلة في مشقة من كثرة المسلّمين وازدحام الداخلين
والخارجين ومع ذلك لم يتهاون السيد احمد بامري ولا شغله

ما هو فيه مني بل افرد لي حجرة وجعل فيها من الفرش والانية ما
احتاج اليه وانا لا اعلم ذلك بل حين طال علي السهر دخلت عليه
وقلت له اين انام فنادى باحد العبيد وقال له أرِ سيدك
حجرته فاخذني وادخلني حجرة رايت فيها سريرا وفرشا وانية بل
وجميع ما احتاج اليه وبت بانعم ليلة حتى اذا اصبحت لبست
ثيابي ودخلت عليه فوجدته جالسا في أُبهة عظيمة بين خدمه
وجواريه واولاده قارًّا سارًّا كانه لم يكن مسا فرا فرحب بي
واكرمني فقبلت يده وجلست معه ثم قال لي ان ابن اخي
السيد احمد الصغير قد صنع في هذا النهار وليمة القدوم والتمس
مني ان تتوجه اليه وتتشرف مجلسه بحضورك فان رايت بك
نشاطا واردت جبر خاطره فذاك اليك وما اريد ان اشق عليك
فقلت سمعا وطاعة لكني لا اعرف منزله فامر احد غلمانه ان يعرفني
منزله فذهبت وحضرت ضيافته فاعظم ملقاي ورحب بي
وكان يوما عظيما ثم ان جميع اهل القافلة صاروا يصنعون
الولايم فتوالت وكل وليمة يدعونني فاحضرها حتى جاء عمي وتوجهت
صحبته الى والدي وذلك اني كنت في ضيافة بعض الاصحاب
واتيت قرب المسآء فدخلت الحجرة المعدة لي فرايت فيها رجلين

وعبدين اما الرجلان فاحدهما اسمر قصير ذو هيئة حسنة
جميل البزة يقرب لونه من لون الحبشة والاخر اسود رث
الهيئة فسلمت عليهما فردا على السلام وجلست متعجبا
كيف دخلا في حجرتي بغير اذني فرايتهما يتغامزان ويقول احدهما
للاخر اهو هو فيقول الاخر نعم هو ولا اعرف على م يقولان ذلك
ثم سالني الرجل الاول وقال لي اانت من هنا فقلت لا انا من
مصر جئت ملتمسا لابي فقال ومن ابوك فقلت ابي السيد عمر
التونسي فقال لي السوداني سلم على عمك السيد احمد زَرُّوق
فسلمت عليه ح وبعد السلام اخرج لي مكتوبا فيه بعد
السلام انه قد جاءنا كتاب من ولدنا السيد محمد اخبرنا فيه
انه قدم صحبتك وفعلت معه من المعروف ما انت اهله
فجزاك الله عنا خيرا وهذه منة لا اكاد اقوم بشكرها وصنيعة
لا اقدر على مكافاتها ومن المعلوم ان المهادات سنة من اول
الزمان وقد قبل الهدية سيد ولد عدنان ولذا قال عليه صلاة
ربنا المنان تهادوا وتحابوا وتذهب الشحناء من قلوبكم وقد ارسلت
لحضرتك صحبة اخي السيد احمد زروق عبدين سداسيين
ومهرا احمر ارجو من سعادتكم قبولهم وهم على قدر مقامي لا

على

55

على قدر مقامك ولله القائل شعرا

من البسيط

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة　اتت له بجراد كان في فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة　ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته　لكان قيمتك الدنيا وما فيها

ومنا السلام عليكم وعلى اولادكم واهل منزلكم ومن يحويه مجلسكم السعيد وقال لي خذ هذا الكتاب واقراه على عمك السيد احمد فذهبت به وقراته عليه واحضرت الهدية فراءها وبارك فيها ثم قال انى قبلتها ووهبتها لابنى هذا يعنيني فالححت عليه انا وعمي في قبولها فابى الا ذلك وقال انى لو افنيت اموالى كلها في مرضاته لما كان ذلك جزاء له بما صنع معى من المعروف فتجاسرت عليه حينئذ وسالته بالله العظيم الا ما اخبرنى عن هذا المعروف الذى صنعه معه فقال لى اعلم يا ولدى ان اعداى وشوا بى الى حضرة السلطان بانى ابيع الاحرارى وزخرفوا له القول حتى استقر في ذهنه ان الامر صحيح فغضب لذلك وقال تاجر مثل هذا في غنائه يفعل هذا الفعل الفقر اولى به فاحضرنى من دارى على غير صورة وحين دخلت عليه وبخنى وقرعنى بالكلام المولم وطلبت تحقيق ما قيل فى فلم اتمكن من ذلك ولا سمع لى قول

بل امر بالقبض عليّ وان توضع الاغلال في عنقي ويضيّق عليّ
في الحبس وكان من لطف الله تعالى ان اباك حاضر بالمجلس
فلم يتجاسر احد يتشفع لي عنده لما قام به من الغضب وحين
راى والدك ذلك تقدم وتنحنح وذكر احاديث في العفو عن
الجاني وتلى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبآء فتبينوا
ثم تشفع فيّ فشفّعه السلطان وامر باطلاقي وبعد ذلك
ظهرت له براءتي ولكن لولم يسخّره الله لي في تلك الساعة
لذهبتْ نفسي واموالي كلها فاي جميل اكبر من هذا واي صنع
اعظم من هذا ومع ذلك كله فاجر ابيك فيما فعله مع على
الله واني طالما كنت اترقب له حاجة تاتي على يدي فاقضيها
له لم يتيسر لي الا هذه الخدمة وعسى ان يكون فيها قضاء
بعض ما وجب علي ولا اظن ذلك ثم اراد عمي ان يسافر صبح
ذلك النهار فابى السيد احمد فمكثنا بعد ذلك ثلاثاً وفي صبيحة
اليوم الرابع دخلت عليه لاودعه فاعطاني خرزا كثيرا يضعنه
نساء السودان في اوساطهن من قبيل الزينة يسمى عندهن
رُقَاد الفاقة ومعناه نوم الراحة واعطاني خرزا اخر غالي الثمن
يجعلنه في اجيادهن وهو على انواع منه ما يسمى بالرّيش وهو

خرز ابيض مستطيل فيه بعض خطوط سمر معروف بهذا الاسم
في مصر ايضا ومنه ما يسمى بالمنصوص وهو خرز اصفر من
كهربان مستدير مفرطح ومنه خرز كروى الشكل احمر غير ناصع
يسمى بالعقيق فاعطاني منها ما يزيد على عقدين وثمنه ينوف
عن ثلاثة روس من الرقيق واعطاني عمامة خضرا من الشاش
جديدةً وسُنبلا ومحْلبا وصندلا كثيرا وهذه الثلاثة من
العطريات يتطيبن بها نساء السودان وقال فرق هذه الاشيا
بين نساء ابيك وذبح لنا شاة وحنّذها وبلغتهم يقال لها نصيص
زوّدنا ها وودعنا وركبنا وكان مع عمي عبد اخر كبير فركبت الفرس
وركب عمي هجينا وركب الرجل حمارا فارها وسعت العبيد امامنا
وسرنا قاصدين محل ابي وكان بمحل يقال له ابو الجدول وبينه
وبين سرف الدجاج ستة ايام سفر فخرجنا من سرف الدجاج ومررنا
بالبلد المسمى بكبكابية وهي بلد اشبه ببلاد ريف مصر الا انها اعمر
منها واخصب لانها آهِلة بالساكن مغتصة بالقاطن واهلها
تجار اغنيا وعندهم من الرقيق ما لا يحصى كثرةً ولهم نخيل وارض
واسع فيها ابار قريبة الما يزرعون بها انواع الخضراوات والبقول
من بامية وملوخية وقرع وباذنجان وفقوس وقثّا وبصل وحلبة

وكمون وفلفل وحب رشاد وكله كما نعهد الا الفلفل فانه حب
رفيع اغلظ من الشعير بقليل وعندهم بعض شجر الليمون الحامض
وبقربهم جبل يقال له مَرّة وهو جبل يشق اقليم الفور من اوله
الى اخره مع الاستقامة وله عدة طرق تصعد الناس منها اليه
ولكل قطعة منه اسم خاص به غير اسم العام والفور يسكنون
في اعلاه ولا يألفون الوهاد بل يرون ان ذلك اصون لهم ولاموالهم
وسياتي لهذا مزيد توضيح وحين مرورنا بكبكابيّة وجدنا سوقها
عامرا فاخذنا منه ما احتجنا اليه ثم توجهنا فسافرنا ثلاثة ايام
في عرض جبل مَرّة وصرنا نبيت ببلاد اقوام مستوحشين يكرهون
الضيوف خصوصا ان كانوا من اولاد العرب فاصابتنا منهم مشقة
عظيمة حتى صرنا لا نبيت عندهم الا كرها عليهم مع ان معنا ازوادنا
ولا نحتاج لهم في شي فكانوا ينفرون منا بالطبع وبعد ذلك خرجنا
الى السهل فبتنا ليلة واحدة بمحل يقال له تَارْنِيَة فاكرمونا هناك
وصنعوا لنا ضيافة عظيمة وفي ضحى اليوم السادس دخلنا البلدة
التي فيها والدي المسماة بحلّة جُولْتُو وهي من جملة حلل ابي الجدول
فراينا على باب دار والدي خيلا وحميرا وخدما واضيافا كانوا عنده
فدخلنا الدار وعرضنا جواري وعبيد يسلمون علينا ويهنونني

بالسلامة

بالسلامة ثم جآء والدى بعد ان ركب اضيافه وسلم عليه فقمت
وقبلت يده ووقفت امامه خدمة له فامرني بالجلوس فجلست
فسالني ما الحرفة التى تعلمتها فقلت له القران وشيا من العلم
فسر لذلك وصنع ثاني يوم مجيى وليمة ذبح فيها عدة شياه
وبقر ودعى الناس فجآء خلق كثير فاكلوا وكان يوم سرور ثم انه بعد
ثلاثة ايام جهزني وعمى السيد احمد الى الاعتاب السلطانية بهديا
من عنده الى حضرة السلطان ووزيره الاعظم اذ ذاك الشيخ محمد
كُرَّا والفقيه مالك الفُوتاوى وهو وكيل ابى وحوايجه التى تعرض
للدولة كلها على يده وهو من قبيلة تسمى الفُلّان واهل دارفور
يسمونها الفَلّاتَه وفلّاتا بالالف فى الاخر اصح والفقيه مالك المذكور
اعظم الوزرآء من اولاد العرب وكان يومئذ السلطان محمد فضل
ابن المرحوم السلطان عبد الرحمن صغيرا وكان زمام الامور كلها
بيد الشيخ محمد كُرَّا ومعناه بالفوراوية الطويل لانه هو الذى
عضد السلطان محمد فضل بعد موت ابيه واجلسه على سرير
ملكه وناب عنه فى الاحكام وتدبير المملكة لصغر سنه وقد شاع
على السنة الناس اهل دارفور انه من عبيد السلطان وليس
كذلك بل هو حر خدم السلطان واغنى فى خدمته وقام بعبآء

الامور حتى ترقى للوزارة العظمى بحسن تدبيره وتصرف في مملكة
دارفور حتى كان لا تعلو على كلمته كلمة غير السلطان وكان رحمه
الله فيه دهآء ومكر وشجاعة واقدام وحيل على الامور حتى ينفذ
اغراضه وستاتى سيرته وسيرة السلطان عبد الرحمن وابنه
السلطان محمد فضل واخيه السلطان محمد تيراب مفصلة
ان شاء الله تعالى فركبنا من ابى الجدول الى تَنْدَلْتِي وهو مقر السلطان
فى اول شعبان سنة ١٢١٨ ويسمى بلغتهم الفاشر وكل محل سكنه
السلطان يسمى عندهم فاشرا فسافرنا يومين سفرا غير شطيط
ودخلناه ضحوة الثالث فوجدنا بلدا يموج بالساكن ويرتج
بالقاطن ما بين راكب وماشى وجالس وغاشى وطبول ترعد
وخيول تركض فدخلنا دار الفقيه مالك فوجدناه جالسا بين
خدم وحشم وارباب الحوايج محتفون به فدخلنا عليه فسلم عليه
عمى فاعظم ملقاه ورحب به فعرّفه عمى بى فسلم علىّ وبش
فى وجهى ورحب بى ثم ان عمى اعطاه الكتاب الذى له والكتب
التى للدولة فقرا كتابه ورحب وافرد لنا محلا وضعنا فيه متاعنا
ثم اخذنا فى الحال الى دار الشيخ محمد كُرّا فراينا دارا على بابها من
الخيل والدواب ما لا يحصى كثرة ودخلنا فرايناه جالسا فى

مجلس

مجلس حفل وارباب الدولة محتفون به فسلم علينا ولم يعلم من
انا ثم سال وقال من هذا فقال له الفقيه مالك هذا ابن الشريف
عمر التونسي العالم المقيم بابي الجدول وقد ارسله صحبة عمه ليسلم
على سعادتك وهذا كتاب ابيه فأخذ الكتاب وفتحه ولما علم ما فيه
صار يلاطفني ويحيّني اكراما لوالدي وقُدِمَتْ له الهدية فقبلها
وامر بادخالها الى خزائنه واقبل يلاطفني بالتحية اكراما لوالدي ثم امر
الفقيه مالك ان يبقينا عنده حتى ياذن لنا في التوجه فبقينا عند
الفقيه مالك ثلاثة ايام ونحن في اكرم ضيافة والذ ايتناس وفي
اليوم الرابع دعانا الشيخ محمد كرا على يد الفقيه مالك وكسا كشميرا
اخضر وجبة خضرا وقفطانا من القطن الهندي وامر لي بجاريتين
وعبد وكتب لابي كتابا قرانه بعد ذلك عند ابي وصورته من
حضرة من اكرمه الكريم ولا يفارقه الخير والنعيم الوزير الاعظم
المتوكل على من يسمع ويرى الاب الشيخ محمد كرا الى حضرة الاستاذ
الاعظم والملاذ الافخم علامة الزمان ونُخَبَة سلالة سيد ولد
عدنان السيد الشريف عمر التونسي دام مجده امين اما بعد
انه قد حضر لدينا نجلكم المكرم صحبة اخيكم المحترم المعظم بما
اهديتموه لنا حسبما هو مشروح في جوابكم ففرحنا غاية الفرح

بامرين الاول اجتماع شملك بقرة عينك والثاني باننا نومل
اقامتك في بلدنا وهذا هو المقصود الاعظم لتحصل لنا البركة
بكم اهل البيت وقد اتحفناه بما صحبه ونرجوان يكون مقبولا
لديكم ولولا ما نحن فيه من الاشغال لكان الامر ابلغ من
ذلك فالمعذرة اليك والامل ان لا تنساني من صالح دعواتك
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم ان الفقيه مالك قدم
لي جارية ناهدا وجوابا قراته بعد ذلك ايضا مضمونه بعد
السلام انه قد ورد علينا كتابكم صحبة نجلكم واخيكم وقدمناهما
الى حضرة الشيخ محمد كرا وقد دخل عليه من السرور ما لا
يعلمه الا الله بقدوم نجلك كما يفصح لك كتابه عن ذلك ونحن
اشد فرحا منه لما بيننا من المودة وما اهداه الشيخ محمد كرا
لنجلك يتلى عليك ويصل بين يديك وها نحن قد اتحفنا
نجلك الكريم بجارية كوعبة مترّبة اراد هنا كاعبة واما قوله متربة
لا معنا له هنا وذلك من جهل الفقيه وهذا اي كاعبة ومتربة
مذكور في القران في وصف الحور واراد الفقيه انه يدّعي عالما
فانه غلط وقال هنا قولا بدون معنى واسمها حميدة عسى
ان تلحظ بالقبول كما هو المامول والسلام فاخذنا جميع

ذلك

ذلك وتوجهنا لوالدي فرحين مسرورين ففرح بقدومنا ثم اقمنا
جميعا مدة شهر رمضان وحين انقضائه توجه ابي الى الفاشر
للسلام وقابل الاب الشيخ محمد كرا وطلب منه الاذن في
التوجه الى تونس ليرى امه واخويه ويجتمع بهم قبل وفاة امه
واعلمه انه سيتركني في بيته وبلاده لان البلد التي كان فيها
اقطاع له اقطعها له المرحوم السلطان عبد الرحمن قبل وفاته
وكان قبل ذلك اقطعه بلادا في المحل المسمى بقرلي فابى والدي
الاقامة فيه لعجمة لسان اهله وعدم معرفتهم العربي فنقله الى
هذه البلد وهذا الاقطاع يشتمل على ثلاثة بلاد حلة جولتو الذي
فيه بيتنا والدبة وام بعوضة فاتفق مع الشيخ محمد كرا ان يتركني
في هذه البلاد اجمع خراجها وانتفع بزرعها فاخذ عليه المواثيق
بالعود واذن له وكتب له عدة اوامر الى العمال الذين بطريقه ان
يعطوه جميع ما يحتاج اليه وان يرسلوا معه جندا يوصله الى المحل
الامن وودعه ورجع الينا مهتما بامر السفر فجهز نفسه في اقرب
وقت وذلك انه باع ما عنده من القطن وكان عنده قطن كثير
ينوف عن مائة قنطار لانه كان زارعا قطعة ارض تزيد عن عشرين
فدانا من افدنة بر مصر قطنا وكانت هذه القطعة يجمع منها وقت

هجوم القطن في كل يوم اربع عشرة ريكة والريكة في عرف اهل
دار فور كالقفة في عرف اهل مصر وهي ربّما لو صبت فيها غلال
يسع نحو خمسة ارباع بالربع المصري فباع كل ذلك وباع مراح
غنم كان عنده وكذا باع البقر والحمير واخذ جواريه وعبيده وما
حصل لي من السيد احمد بدوي ومن الاب الشيخ محمد كرا ولم
يترك لي الا جارية بعينيها بياض تسمى فرحانة وعبدين وامراتيهما
وحمارا وهجينا ضعيفا وترك لي احدى نسائه تسمى زُهرة وامراة
اخيه وكل منها معها بنت وباع مطامير الغلال ولم يُبقِ لي الا
مطمورا واحدا واعطاني وثيقة الاقطاع التي كتبها له المرحوم السلطان
عبد الرحمن حين اقطعه الارض المذكورة ونصها من حضرة السلطان
الاعظم والملاذ الافخم سلطان العرب والعجم ومالك رقاب الامم سلطان
البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين الواثق بعناية الملك
المبدي المعيد السلطان عبد الرحمن الرشيد الى حضرة الملوك
والحكام والشراتي والرمالج واولاد السلاطين والجبايين واهل
دولة السلطان من العرب والسودان اما بعد فان السلطان
المذكور المبرور المؤيد المظفر المنصور تفضل وامدّ بمعونته واعطى
العلامة السيد الشريف عمر التونسي قطعة من الارض كائنة بابي

الجدول

65

الجدول حاوية لثلاث حلل من حلة جولتو والدبة وام بعوضة
بحدودها المعروفة واتخامها الموصوفة حسبما حدده الملك جوهر
للملك خميس عرفان لا يعارضه فيها معارض ولا ينازعه
منازع من اهل المملكة خصوصا جبابي العيش يتصرف فيها
باى نوع من وجوه التصرفات شاء هبة لوجه الله تعالى وطلبا للثواب
في دار المآب والحذر ثم الحذر من الخلاف والتعرض من الخاص
او العام ثم ان والدى حمل اثقاله واخذ رقيقه وسريته واخاه وتوجه
وابقاني في المحلة وفي شهر رجب سنة ١٢١٩ قتل الاب الشيخ محمد كرا
في حرب عظيم وقع بينه وبين السلطان محمد فضل وسببه ان
اعداء الاب الشيخ محمد كرا دخلوا بالفتنة والسعاية بينه وبين
السلطان وقالوا للسلطان ان الاب يريد نزع المملكة من يدك
ويولي عليها اخاه باسي عوض الله فاظلم الجو بينهما واحتال السلطان
وجماعته في القبض عليه فلم يتيسر له ذلك وانعزل الاب بجماعته
في بيت اخر كان له بتندلتي بعيد عن بيت السلطان وارسل له السلطان
ان ياتي اليه فابى فلما لم يجد السلطان وجماعته حيلة للقبض
عليه وامتنع عنهم منعوه الماء فمكث ثلاثة ايام يستقي من
جديد السيل ثم لما اشتد العطش بجماعته قالوا له انا قد

عطشنا وليس عندنا من الدواب والقرب ما ياتي لنا بالماء الذي
يكفينا فارحل بنا الى محل اخر نشرب منه الماء او دبر لنا حيلة
فركب ح هو وعسكره وتوجه للرهد وهو غدير الماء بتندلتي
فوجد عليه حارسا من دولة السلطان مع عسكر كثير يمنع
جماعته وهو الملك محمد دلدن ابن عمة السلطان محمد فضل
فقتله وقتل جماعته قتلا ذريعا وسمع بذلك جماعة السلطان
فخرجوا عليه ونشب الحرب بينهما فانكشفت جماعة السلطان
وكان ظهر يوم الخميس وخاف السلطان على نفسه ففر الى
جديد السيل وكان يوما على السلطان وجماعته لا لهم وما
زال الحرب بينهم حتى امسى المساء فنزل الشيخ محمد كرا بجماعته
في عرض الغدير ونزل جماعة السلطان قبالتهم من الجانب
الاخر حتى اصبح الصباح وكان الاب افتقد بالليل جماعته فوجد
اخاه باسي عوض الله قد قتل في الحرب فحزن لذلك وقال الحزاقاتل
وقد مات اخي واعز الناس عندي وكان قد اخرج معه بابكي
طاهر بن السلطان احمد بكر عم السلطان محمد فضل وبايعه
على السلطنة وتلك حيلة عملها لئلا تنفر منه اهل دارفور لان
من عاداتهم ان لا يتولى عليهم الا من كان من اولاد الملوك من

بيت

67

بيت سلطانتهم ولما علم بقتل اخيه قال لمن حوله انى قد
كرهت الحياة ففى غد اياكم ان تقاتلوا بل ادخلونى فى الحرب
وانجوا انتم بانفسكم فحين نشاع عنه ذلك فرت جميع عساكره
الا باعد ولم يبق معه الا ذووقرابته فى نفر يسير تبلغ عدتهم
الفا او اكثر بقليل فلما اصبح ضربت طبول الحرب وركبت
جماعة السلطان وركب هو ايضا فى جماعته وادخلوه فى
الحرب والتحم القتال وغاص الاب فى جماعة السلطان واخترق
الصفوف حتى لم يبق بينه وبين السلطان احد ولو اراد قتله
لفعل ولكن تذكر معروف ابيه فمنع يده عنه ووقف امامه برهة
وقال له يا ابن الفاعلة انسمع فى كلام الناس ويكون هذا
جزآى معك وخاف السلطان ح على نفسه منه واراد ان
يفر ونادى قد جآء ليقتلنى فانطبقت عليه الناس من
كل جانب وداروا به كالخاتم بالاصبع ولم يجد معينا لا ممسا عدا
فقاتل حسب طاقته وقتل عدة ابطال وجُرح جراحات
غير بالغة فلم يكترث بها وخافوا ان يدركه احد من جماعته
فيتخلص من ايديهم مع ان جماعته كلها انكشفت عنه
وبقى فيهم وحده فصار يقاتلهم نحو ساعة ثم لما عجزوا عنه

عقروا جواده فوقع على الارض فما استطاع النهوض لثقله لانه
كان لابسا درعين من الحديد فتكاثروا وتكالبوا عليه بالرماح
والسيوف حتى قتل رحمة الله عليه ولقد جُرِّد بعد موته فوجد
فيه ما ينوف عن ماية جرح من ضربة سيف وطعنة رمح ورجع ابن
زوجته محمد شِيلْفُوت ظنا منه ان يجده حيا فينقذه من ايديهم
فوجده قد قتل فجرد سيفه وغاص فيهم فقتل منهم عدة ابطال
وهو ينادى يالثارات الشيخ محمد كرا واخيرا تكالبوا عليه وقتل
هو الاخر بعد ان قتل اكثر من عشرين من المعدودين واذ قد
ذكرنا مقتل الاب الشيخ محمد كرا فلنذكر مبدا امره وكيف ترقى
به الحال ونتعرض لسلاطين دارفور حسبما علمنا من ثقاتهم
واخبرني به الجم الغفير من مسنّيهم فاقول ان السلطان
محمد فضل هو ابن السلطان عبد الرحمن بن السلطان احمد بكر
قيل ان السلطان احمد بكر كان له من الولد سبعة بنين وهم
عمر وابو القاسم وريز وريفا وتيراب وطاهر وعبد الرحمن وهو المدعو
باليتيم لان اباه مات وتركه حملا فلما حضرته الوفاة جمع ارباب
دولته وجعل ولاية العهد لجميع اولاده يتولاها كلهم الاكابر
فالاكابر وشرط ان لا يتولى هذا الامر احد من اولادهم الا بعد

انقراضهم

انقراضهم فلما توفى تولى اكبرهم المسمى بعمر فمكث فى الملك سبع
سنين ثم قتل فى حرب كان بينه وبين السلطان جودة سلطان
دار صَلَيح المسماة بدار وَدَاى وبدار بَرْقو ثم تولى بعده اخوه
ابو القاسم فمكث ثمان سنين وقتل فى الحرب مع سلطان
برقو ايضا ثم تولى بعده السلطان محمد تِيراب فكره الحرب واقام
فى بلده آمرا ناهيا سلطانا ثلاثا وثلاثين سنة انما سمى تيراب
ارض الشام لان الفور يسمعون ان ارض الشام مخصبة
وانها من ارض الجنة سيما وفيها المحشر وهى عش الانبياء
فلقبوه بهذا اللقب لصدور الافعال الجميلة منه كما ان
ارض الشام نباتها كلها جميل ومعنى تيراب بلغتهم الحبوب
التى تزرع فى التراب التى يعبر عنها اهل مصر بالتقَاوِى واهل
المغرب بالزريعة ولقبوه بذلك لانه كان رجلا كريما حليما
واسع الصدر جيد التدبير شَفوقا على المساكين وكان انائة
وكان فيه مجونا يحب الزينة وانواع الملاهى وكانت ايامه كلها خصبا
ودعةً ورخاء اسعار الا ان اخر امره كرهته الناس لظلم اولاده
لان له ماينوف عن ثلاثين ولد ذكر غير الاناث فصاروا يركبون
ويجوسون خلال البلاد وكلما سمعوا بشىء جميل اخذوه من

صاحبه ويكلّفون الرعية ما لا تطيق حتى كان فيهم ابن له يقال
له مساعد كان من عتوه وتجبره يابى ان يركب الخيل بل كان
يركب ظهور الادميين فكلما وجد شابا امر بالقبض عليه
وركبه حتى اعياه وربما سافر السفر البعيد لا يركب فيه جوادا
ولا حمارا بل ينتقل على الناس حتى ينتهي سفره واذا لم يجد غريبا
ركب من جماعته وكانت الرعية ترفع شكايتهم لابيهم فكان
لا يشكوهم ولا يقبل منهم بل ربما غضب وقال ان هذا لهو
العجب اقليم مثل هذا لا يتحمل اولادي وكلما عملوا صغيرة يشكون
الي فلما راى الناس ذلك ابطلت الشكوى ورفعت امرها الى
الله عز وجل وكان قد ولى المناصب الجليلة لاقارب ازواجه
فكانت جميع وزرائه اقارب زوجاته وكان اكبر اولاده اسحاق
المسمى بالخليفة كان اسحاق المذكور شجاعا مهابا ذا راي وحزم
الا انه كان فيه نوع ظلم وجور وسبب تسميته بالخليفة
ان اباه جعله خليفة بعده ولقبه بهذا الاسم وجعل له دولة
كدولته ووزراء كوزرائه فكل وزير كبير له ولد كان السلطان
يامره ان ياتي بابنه للخليفة ليكون عنده بمنزلة ابيه عند
السلطان ومكث على ذلك مدة حتى سافر السلطان تيراب

الى

الى كُورْدُفال وابقاه خليفة فى دار فور كما ياتى بيانه ان شاء الله تعالى
وكان السلطان تيراب يحب الخلاعة والانبساط حتى كانت
الشبان تلعب مع البنات امامه اى يرقص البنات والشبان
وهو ينظر اليهم فلما اتفق ان جائت امامه طائفة من البِرْقِد وهم
قبيلة من السودان لهم رقص معلوم يسمى تُنْدُكَّه ومن عاداتهم
اذا تعبوا من الرقص تجلس كل فتاة وشاب معا على حدة فلعبوا
حتى تعبوا وتفرقوا وجلسوا على عادتهم فقال الشاب للفتاة اترضى
ان اكون لك زوجا فقالت نعم ما الذى تعطينى من المهر فقال
لها انا رجل فقير ولا اجد شيا اعز من المقابل لنا هذا واشار الى
السلطان وكان السلطان جالسا على كرسى مقابلا لهما فقالت
الفتاة قد رضيتُ ونظر السلطان لاشارتهما له فدعى بهما فلما
مُثّلا بين يديه سالهما عن ذلك فقال الشاب انى سالت
محبوبتى هذه فى ان تتزوجنى فرضيت وطلبت منى المهر فقلت
لا املك شيأ اعز من هذا المقابل لى واشرت اليك فانبسط
لقوله وقال ارضيتِ بى مهرا لها قال نعم فقال السلطان
اترضينى بالفداء وانا افدى نفسى قالت نعم ارضى فدعا بابيها
وخطبها منه وعقد له عليها وامهرها جاريتين واعطى الرجل

عبدا وامر لهما برزق يعيشان فيه وهذا نهاية مكارم الاخلاق
اذ لا شئ اعظم من جمع بين متحابين في الحلال ومن ذلك ما
حكي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان في ايام خلافته
يطوف في المدينة المنورة بالليل ليقف على احوال الناس ويعلم
مظلومهم من ظالمهم وبينما هو في طوافه اذ سمع جارية تغني
وتقول شعرا

من الكامل

وهويتُهُ من قبل قطع تميمتي   متمايس مثل القضيب الناعم
فكأنّ نورَ البدر يشبه وجهه   يغيب ويبدو من ذواية هاشم

فطرق رضي الله عنه الباب وقال لها من هويت فقالت اليك
عني فقال لا بد وان تُعلميني فقالت له بحق صاحب القبر الا ما
انصرفتَ عني فقال والله لست بزائل من مكاني هذا حتى
تعلميني فتنفست الصعداء وقالت وانا التي قرح الغرام بقلبها
فتنتْ بحب محمد بن القاسم فقال لها احرة انت فقالت لا بل
مملوكة فقال لمن قالت لفلان سمته له فتوجه رضي الله عنه
ولما اصبح سال عن محمد بن القاسم فوجده غازيا بالعراق فارسل
الى مولاها واشتراها منه وارسلها الى محمد بن القاسم بالعراق
وكتب له القصة ثم قال واعلم يا بنيّ انه كم مات بهن سقيم

وعطوب

وعطب بهن سليم ومن ذلك ماحكى ان سليمان بن عبد الملك
ابن مروان كان غيورا على النسآء جدا حتى انه ربما سفك دم من
ظن انه نظر لبعض محاظيه نظر عشق فاتفق له ان احضر مغنيا
في بعض الايام وكان في النهار فاجلس المغني تحت السرير وامره
ان يغني واستلقى على ظهره على السرير وكانت معه جارية تروح عليه
من شدة الحر فاخذه النوم فرفع المغني راسه على حين غفلة فرای
الخليفة قد نام والجارية تروح عليه فتاملها فوجدها كالشمس
في رابعة النهار فافتتن بها ولم يقدر على التكلم خوفا من الخليفة
فانهملت دموعه وهاج ولوعه فاخذ قرطاسا وكتب فيه شعرا

من الرجز

انی رایتك في المنام ضجيعتی … مسترشفا من ريق فيك البارد
وكاننا وكاننا وكاننا … بتنا جميعا في فراش واحد

ثم القاه عليها فاخذته وقراته وكتبت له فيه

من الرجز

خيرا رايتَ وكلما املتَه … ستناله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي … وتحل بين مراشفي وسواعدي
ونكون اول صاحبين تلاقيا … رغم الزمان بلا مخافة حاسد

ورمت القرطاس اليه فالتقفه الخليفة قبل ان يصل اليه فلما قراه
احمرت عيناه وكاد يتميز غيظا وقال ما حملكما على ما صنعتما احب

قديم بينكما ام عشق خامركما فى هذه الساعة فقالا بل والله فى
هذه الساعة ولم يكن لنا به عهد قبل ذلك وانهملت دموعهما
فلما راى منهما ذلك رق لهما وقال للمغنى خذها ولا تعد تقاربنا
انتهى فعاش السلطان تيراب مدة مديدة كما ذكرنا واكثر من
الازواج والسرارى حتى كان له من الولد اكثر من ثلاثين ذكرا راكبين
الخيل غير الاناث والصغار وفى ايامه تلك خدمه الشيخ محمد كرا
وكان غلاما مراهقا فامره ان يكون فى الكُورْكُوا اى اهل الحرب
اى يكون مع الجماعة الذين يحملون الحراب خلف السلطان حين
يركب وحين يجلس للحكم ولا خصوصية للسلطان فى ذلك بل كل
ملك من ملوك الفور وقائد من قوادهم له جماعة يحملون الحراب
خلفه حين يركب او يجلس للحكم مسمون كُورْكُوا ويرون ان ذلك
من تمام نظام المُلْك حفظا للناموس وهيبة للمخدوم فى قلوب
رعاياه فخدم الشيخ محمد كرا فى تلك الخدمة مدة وظهرت منه
علامات النجابة فاحبه السلطان تيراب ونقله الى سُومِينْدُقُلَّهْ
والسوم هو الدار وين هو علامة الاضافة والدُقُلَّهْ هو العيال
ومعناه دُرا العيال والدُرا بلغتهم العربية اسم للمحل او الدار واهل
سُومِينْدُقُلَّهْ هم الامنا على مصالح المخدوم يرسلهم فى اسراره رئيسهم

اعظم

اعظم مقاما بن رئيس كوركوا فاغنى في خدمته حتى ان السلطان
كان لا ينادى فى اكثر حوايجه غيره فحسده بعض اهل الدار فسعى
به الى السلطان قائلا ان محمد كرا خائن غدار وانا اراه يجتمع هو
وفلانة الحظية فى كل ليلة وتاتيه بالطعام الجميل فغضب
السلطان لذلك وهمّ بالبطش به فبلغ الخبر الى كرا فاخذ مدية
واختلى بنفسه في حجرة واستاصل مذاكير نفسه بيده وجاء بها
الى السلطان وكان قريبا منه والقاها بين يديه وقال انما قيل
فىّ ما قيل لمصاحبتى لهذه وها انا قد استاصلتها لئلا يبقى فى
قلب مولاى منى ريب ثم سقط مغشيا عليه فرحمه السلطان
وامر بمداواته فعولج حتى برا ثم ان السلطان امره ان يكون صحبة
الامين على وذجامع احد الوزراء العظما ووصّى عليه الامين المذكور
بان قال له خذ هذا الغلام الى دارك واعتن به واكرمه واياك
ان تتهاون به فانى ارجو ان يخلفك فى منصبك فاخذه الامين
على مضض منه ووضعه فى سوميندقله كما كان عند السلطان
وقد ذكرنا قريبا ان اهل سوميندقله هم الامنا على المصالح المهمة
يرسلهم المخدوم فى اسراره فجلس كرا فى ذلك المحل مدة وكان
لا يغيب عن باب مخدومه وكلما نادى الامين على احد من اهل

سو ميند قله يجيبه محمد كرا بل ربما لم يجد غيره فكان يرسله فى
قضاء مصالحه وكان من عادته ان لا يذهب لقضاء مصلحة الا
نجح واغنى فيها فاحبه الامين قهرا عنه لما راى من كفايته فجعله
ملكا على اهل سو ميند قله وميزه عنهم فصارت جميع الخدمة تحت
يده يأتمرون بامره وحين ولى هذا المنصب اجتهد فى الخدمة زيادة
عما كان عليه ولازم باب مخدومه وكان فى الامين نوع اهمال للامور
منه انه كان ياتيه من الطعام وقت الغداء والعشاء ما ينوف
عن الالف اناء فكان لا يلتفت الى ذلك بل كان ياتيه هو ومن معه ما
يكفيهم والباقى تتوزعه الخدمة بغير ترتيب وكثير من الانية ما يرجع
الى الحريم ملآنا فالتفت محمد كرا الى ذلك ورتبه احسن ترتيب وهو
انه كان يبث الخدمة فى اتباع سيده ينظرون من عنده ضيف منهم
فياتونه بالاخبار ويقولون فلان عنده ضيف وفلان وهلم جرا
فكان اذا احضر الطعام اختار لمخدومه من احسنه ما يكفيه هو ومن
معه ثم يوزع على الخدمة كفايتهم ثم يوزع الباقى على محال الضيوف
كل منها على حسب حاله فى المرتبة والغنى والجاه والعلم ويوصى
الحاملين ان يقولوا ان الامين ارسل لكم هذا ضيافة والامين
لا يعلم شيئا من ذلك فصارت الناس تتشكر الامين وتتمدح به

وحين

وحين ياتون اليه يقولون جزاك الله خيرا ارسلت لنا الضيافة
العظيمة فلا يوجد نظيرك في امناء السلطان ويثنون عليه غيبة
وحضورا فكان الامين يتعجب من ذلك ويقول هولاء يثنون
عليّ ويقولون اني ارسلت لهم الطعام مع اني لم افعل شيأ من
ذلك لانه لا يعلم سببه وبقي متحيرا كيف يعلم سبب ذلك حتى
اتفق له ان كان في الحريم عند المساء وجاء خارجا الى الديوان
فراى محمد كرا يوزّع الاطعمة فلما احس بذلك تربّص واكمن في
محل فسمع الشيخ محمد يقول للخدمة كم في بيت الملك فلان من
الضيوف فقالوا له كذا وكذا فقال احملوا لهم كذا وكذا اناء وقلوا
لهم قد ارسل هذا العشاء الامين حتى وزّع الطعام كله فقال من
هنا جاء العمل فضنّ به واكرمه واعلا رتبته وجعله على الكورايات
في عرفهم هو الذي يحكم على الخيل وجميع الخدمة وهو منصب
جليل عندهم وان كان في عرف غيرهم لم يخرج عن كونه رئيس
السّيّاس واقام محمد كرا في صحبة الامين علي على هذه الحالة
حتى سافر الامين علي الى كُرْدُفَال صحبة السلطان تيراب وسافر
معه الشيخ محمد كرا سبب سفر السلطان محمد تيراب
الى كُرْدُفَال قد حكى لي الثقة العارف بالانساب ان السلطان

سلوك المدعو سليمان الجد الاول لسلاطين دارفور كان له
اخ يقال له المُسَبّع فاقتسم هو واخوه الاقليمين فاخذ السلطان
سليمان اقليم دارفور واخذ المُسَبّع اقليم كردوفال وتعاهدا
ان لا يخون احد منهما صاحبه فبقيا كذلك حتى كان في زمن
السلطان محمد تيراب كان الوالي على كردفال من اولاد المسبع
السلطان هاشم المُسَبّعاوى وكان فيه شهامة وشجاعة واقدام
على الامور الشاقة فاكثر الغزوات على بلاد التُرُوج والعرب البادية
حتى صار ذا مال عظيم وصار عنده من العبيد ما ينوف عن عشرة
الاف عبد حامل للسلاح واجتمعت عليه اوباش الناس من
الدناقلة والشايجية والكبابيش وعرب الرزيقات حتى صار
في جند كثير فطمعت نفسه في تملك دارفور واستشار
ارباب دولته في ذلك فاشاروا عليه ان يبث السرايا اولا على
اطراف البلاد ليُضعفوا اهل مملكة دارفور ثم بعد ذلك يتوجه
اليها فسمع قولهم وبث السرايا على اطراف مملكة دارفور
فقتلت وسبت واغتنمت اموالا عظيمة فارسل السلطان
تيراب الى السلطان هاشم يقول له بعد السلام يا ابن عمي
ارسلت سراياك على اطرف بلادي وانت تعلم ما بيننا من

79

المودة ولم يقع منا ما يخالف المودة مع انك تعلم ان الذين اخذت
اموالهم مسلمون والذين قتلوا موحدون وهذا الفعل لم
يبيحه احد ولا يفعله عاقل فاذا وصلك كتابي هذا فانته والا
سيلقى الباغي مصرعه والسلام فلما وصله الكتاب ما زاد
الا عتوا واستكبارا وبث السرايا ثانيا فعلم السلطان
تيراب انه ان لم يتداركه ويستاصل شافته زاد شره واخرب
البلاد فتجهز وتوجه اليه وهذا هو السبب الظاهر والسبب
الباطن انه يعلم ان الناس غير راضيين عنه ولا يرضون بتولية
احد من اولاده خصوصا مع وجود اولياء عهد السلطان محمد
بكر الذين هم اعمامهم ولا سيما اذا تذكروا ما وقع منه ومن اولاده
من الظلم وهو يريد ان يعهد الى اكبر اولاده المسمى باسحاق الخليفة
كما تقدم فاغتنم الفرصة حين وقع من هاشم ملك كردوفال هذا
الامر واغتاظ في الظاهر واعلن ان هذا الامر لا يقوم به غيره
مع انه لو بعث الامين علي او احد وزرائه لكفاه مونة للسفر
والمشقة ولكن اراد ان يسافر وياخذ معه جميع اولاد السلطان
كبارا وصغارا ويقتحم بهم الحروب حتى يهلكهم ويهلك الوزراء الذين
لا يحبون الولاية لابنه ليتمكن اسحاق من البلاد والاموال والرجال

وينفرد بالذكر ولما كانت هذه نيته جمع جميع اولاد السلطان
والوزراء الكبار وابقى مع الخليفة اولاد الوزراء كل منهم في منصب
والده وارتحل بهم على هذه النية وان كان اخفاها فقد ظهرت
على حد قول القائل....

من الطويل

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

مع انه عومل بخلاف قصده واعقبه الله تعالى بقتل ولده ولم
ينفع تدبيره بشي ورحم الله القائل

من المديد

انّ الطافَ إلهي لم تدع في الكون ضنكا
كلما رمتُ احتيالا لي قالت خلِّ عنكا
سلّم الامر الينا نحن اولى بك منكا

وفي كون الامور دائما تاتي على خلاف المراد قال المتنبي

من البسيط

ما كلما يتمنّى المرءُ يدركه تاتي الرياح بما لا تشتهي السُفُنُ

فلما سمع ملك كرد فال بقدومه فر هو وجماعته واستجار بملك
بسنّار واقام عنده فدخلها بغير حرب وصار يبث السرايا والجند
في اطراف البلاد حتى دوّخها وجبى الاموال واستقامت الاحوال
فمكث على ذلك حتى حال الحول وملت الناس من المقام وسالوه
العود الى بلادهم فغضب لعدم ظفره بما امّل لكنه اخفى ذلك وقال

لهم

لهم كيف ترجعون وقد بلغني ان هاشم استجار بملك سنار والملك
قد جهز له جيشا ويريد القدوم علينا فان رجعنا وجاء بعدنا
ظن انا فررنا منه ونال من البلد مراده وبعد ذلك يغزونا ويحوجنا
الى الرجوع له ثانيا وانا الآن مضمر اني اتوجه اليه قبل ان ياتي ولكن
حتى اتحقق الخبر ومكثوا بعد ذلك مدة فلم يظهر لما قاله اثر فتنكرت
قلوبهم وسائت احوالهم واشتاقوا الى اهلهم وعيالهم وتذاكروا
مع بعضهم في ذلك في خلوة فقال الوزير الامين علي ود برقو وكان
صهر السلطان اي ان السلطان كان متزوجا بابنته ما ذا جعلتم
لي ان قتلته وارحتكم منه وتولون بعده عليكم من شئتم فضمنوا
له مالا عظيما وتعاهدوا معه على ذلك وجعل بينه وبينهم العلامة
صوت الطبل فمهما سمعوا الطبل يكونوا على اهبة مستحضرين
فصبر الامين علي حتى جن الليل ولبس درعين سابغين متينين
ولبس ثيابه عليهما وتقلد بسيفه ودخل دار السلطان وقصد
حجرة ابنته لما يعلم من حب السلطان لها لان السلطان كان
له بها مزيد اعتناء فكثيرا ما كان يجده عندها فلما دخل عليها عرفت
الشر في وجهه وخانه جده ان السلطان لم يكن عندها في تلك
الليلة فسالها عن السلطان فقالت لا اعلم اين هو ولكن ان

اردت بحثتُ لك عنه واعلمه بقدومك فقال لها نعم ما تصنعين
لاني شديد الاحتياج اليه في هذه الليلة وكانت في وقت محادثتها
له رأت طوق الدرع من تحت طوق الثوب فتاكدت الشر وذهبت
الى محل السلطان واعلمته ان اباها جاء طالبا له وانها رائت منه
امورا انكرتها منها انه لابس درعا تحت ثيابه ومتقلد سيفه مع
ان العادة لا يدخلون على السلطان بسيف ابدا ومنها ان في وجهه
علامة الغضب فاحس السلطان بالشر لانه هو الذي كان يلح
عليه بالعود ويبالغ في القول له فامرها ان لا تعود اليه وخرج السلطان
ونادى كبراء العَسس وامرهم بالقبض على من جاء خارجا عن الدار
وان افلت منهم لا يلومون الا انفسهم واخذ هو جماعة منهم حرسا
له متأهّبين باسلحتهم وغاص في لجة داره ودخل في حجر بعض نسائه
واحتاط الحرس بها فجلس الامين علي في انتظار ابنته تعود فلم تعد
اليه بخبر السلطان او ان السلطان ياتي اليه ليبلغ أربه منه فلم
ياته احد بل كان كالباحث عن حتفه بظِلْفه والجادع مارن انفه
بكفه على حد قوله

من مجزو الهزج

الى حتْفي سعى قدَمي ارى قدَمي اراقَ دمي

ولما اعياه الانتظار قام يريد الذهاب الى داره خوفا من ان يطلع

النهار

83

النهار عليه ويفتضح فمشى قليلا حتى اذا قارب العسس نهضوا اليه
وقالوا له ارجع حيث كنت فابى وعرّفهم بنفسه لاجل ان يخلّوا
سبيله فما امكن بل قالوا له نحن مامورون بالقبض عليك ان
لم ترجع الى المحل الذى جئت منه فسبّهم واراد ان يخرج قهرا
عنهم فهجموا عليه ليوثقوه حتى يُصبح فقاتلهم وجرح أُناسا منهم
فتكالبوا عليه وقتلوه ولم يستفد من بغيه الا فناء اجله ولهذا
قال عليه الصلاة والسلام لكل باغ مصرع او كما قال رحمه الله
السيد علي الغراب حيث يقول

من الخفيف

زارع البغي حاصد للندامهْ فاطلب السِلْم ان اردت السلامهْ
لاتثق بالمُنى فما كل باغ نال مايرتجي ووُفّي مرامهْ
ربما كانت الامانى مطايا للمنايا وموردا للندامهْ
ربما خيّلت لراج منالا مثلما خيّلت لرآءٍ منامهْ
رُبَّ ساعٍ ليجتني طِيْبَ عَيْشٍ وهو يجني وليس يدري حمامهْ

واُخبر السلطان رح بموت الامين فقال اجعلوه في رداء وضعوه في
محل حتى يصبح وحين بزغ الفجر امر السلطان باحضار عبيده
كلهم لابسين السلاح فحضروا ورتّبهم على الابواب وامر البوابين
ان يفتحوا الابواب حتى اذا امر بيق احد اغلقوها عليهم وامرهم ان

لا يدعون حواشي القواد يدخلون معهم بل لا يدخل الا الامرآء
فقط ووصى العبيد اذا أُغلقت الابواب تاتي جماعة منهم ويقفون
امامه محيطين بالعالم الذين يكونوا في المجلس ثم امران تضرب
الطبول ضرب حزن وازعاج لان لهم في حال السرور ضربا معروفا
وفي حال الحزن كذلك فضربت الطبول كما امر وجاءت الوزرآء والملوك
على طبقاتهم ظنا منهم ان علي ود برقو فعل ما اتفق معهم عليه فجاؤا
متهيين فحين وصلوا الى باب دار السلطان راوا الامر على غير ما
يعهدون فلم يجدوا بدا من الدخول ودخلت اتباعهم معهم
فمُنعوا وبقوا منفردين عن اتباعهم وجاء العبيد الذين اوصاهم
بالاحاطة بهم فاحاطوا بهم شاكين السلاح مُظهرين الغضب
وخرج السلطان عليهم غارقا في ثياب سود مُتَطَيْلِسًا بكشمير
احمر وهذا نهاية الغضب فجلس السلطان في محله المعد له
وامر باحضار القتيل فأُحضر ملفوفا بالردا فامر بوضعه في وسط
الحلقة وقال اريد منكم ان تعرفوا هذا من هو فبادروا اليه وكشفوا
وجهه فعرفوه ولم يتجاسر احد منهم على التكلم لما قام عنده من
الغضب فقال لهم السلطان هل عرفتم هذا فسكتوا كلهم
فقام رجل منهم ذو دهآء وصهر السلطان ايضا فقال قد عرفناه

وهو

وهو الامين على ود برقو وقد دخل عليك باطلاعنا اجمعين فان
اردت قتلنا فها نحن بين يديك وان عفوت فالامر اليك
فقال السلطان وما حملكم على ذلك قال انك اتيت بنا الى هنا وتعلم
ان لنا في بلادنا اهلا وعيالا واولادا قطعتنا عن رويتهم والتمتع
بمعاشرتهم وليس لنا هنا شغل نعذرك في الاقامة بسببه
ولسنا نراك ناويا اوبةً ولا يطيب لنا عيش الا بمكاننا فاجمل
ما تصنع معنا ان تردنا الى اوطاننا فان قلوبنا انكرت الغربة
وحنّت الى الاوطان

من الطويل

حَنِيني واشواقي لاول تربة　　واول ارض مس جلدي ترابُها

لاسيما وقد ورد عن سيد ولد عدنان حب الوطن من الايمان
فلما سمع مقال ذلك الرجل عرف صدقه وخاف ان بطش باحد منهم
قامت عليه القيامة لانهم معذورون في ذلك فتخلص منهم بان
قال لا تستعجلون موتي فاني ميت لا محالة لاني مريض مرضا لا
يمكنني اطلاعكم عليه وهو الذي يمنعني عن السفر فان عافاني
الله في هذه المدة رجعتُ بكم واياكم ان تفعلوا مثل هذه والسلام
ثم انه بعد ذلك بايام اظهر انه مريض وصار لا يخرج الى الديوان
ولا ينظر في احوال الناس مع انه معافى الجسم ولم يعلم ان من

86

تمارض انقلب الهزل جدا ومرض حقيقة وربما مات وقد قال عليه
افضل الصلاة واتم التسليم لا تمارضوا فتمرضوا فتموتوا فانقلب
عليه الدست وحل به المرض والمقت وايقن انه هالك لامحالة
وكتب ح للخليفة كتابا يقول فيه بعد السلام اعلم يا ولدى
انه قد اعترانى مبادى ما لابد منه ولا محيص عنه فاذا وصلك
كتابى هذا فخلو ولدك خليل على دارفور وعجل بالقدوم عسى
ان تدركنى وبى رمق لعلى ادبر لك شيا ينفعك والسلام وختم
الكتاب وارسله صحبة هجان وطاش الخبر ان السلطان ثقل
عليه المرض وأُرجِف بموته وصارت الناس لا يتحدثون الا بذلك
وكان محمد كرا كثيرا ما يدخل دار السلطان ويجتمع على نسائه وكان
ممن يجتمع عليها إياكُرِى كِنَانة اعظم نساء السلطان صاحبة
الرتبة الجليلة لان كل سلطان يتولى لابد وان يحب احد نسائه
ومن احبها وقلدها امور الحكم فى بيته هى التى تسمى إياكُرِى حقيقة
وهذا اللفظ معناه السيدة الملكية وان قيل لغيرها من نساء
السلطان اياكرى فذلك من قبيل التعظيم لا غير وهذه كنانة
كانت صاحبة راى وتدبير كان السلطان تيراب لا يالو غيرها
الا ايناسا ولهذا قلدها هذا المنصب لان هذا المنصب له

اقطاع

87

اقطاع ومعاليم واموال تُجبى لها منه وتصدر منها اوامر ولها
قواد يضبطون اموالها واحوالها فلما رائت ان السلطان
ميت لا محالة خافت على نفسها وكان لها ولد يسمى حبيب
خافت عليه ايضا فاجتمعت على محمد كرا وقالت له يا محمد هل
لك في حيلة تخلّصني وولدي من هذا الامر قال لها نعم الحيلة انك
تصلين حبلك باليتيم لانه هو صاحب الدولة بعد السلطان
تيراب لان كل الناس راضون عنه فقالت هل لك ان تجعل
بيني وبينه عهدا وتتوثق منه بانه اذا تولى يجعلني اباكرى ويجعل
ولدي حبيب خليفة فقال لها كُرّا افعل ذلك ولكن ما يسُرُّك
ان شاء الله وكانت كنانة تخاف على ولدها حبيب من الخليفة
اسحاق لانه ابن ضرتها وعرفت ان اليتيم لا ولد له فقالت
يربي ولدي فذهب اليه محمد كرا واقرأه سلامها واخبره انها
تريد ان تعينه على التولية بشرط ان يتزوجها ويجعل ولدها
خليفة فعاهده على ذلك فقال محمد كرا وما ذا لي انا ايضا ان كنت
شركما واعنتك بجهدي على التولية ودبرت بحيلتي على قدر طاقتي

من الطويل

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما   تموت الافاعي من سموم العقارب

فقال اليتيم ان فعلت ذلك واغنيت فيه قلدتك منصب

الاب وعاهده على ذلك فرجع اليها محمد كرا واعلمها انه استوثق
منه بما ارادت فاطمانت لذلك وصارت ترسل معه اخبار السلطان
وقتا فوقتا ولما ثقل مرض السلطان تيراب ويئس من مجيء
ولده اسحاق الخليفة احضر الامين علي ود جامع سيد محمد
كرا والامين حسب الله جران والامين ابراهيم ود رماد والاب
الشيخ عبد الله جُثا وامينا اخر نسيت اسمه وقال اعلموا
اني صنعت معكم معروفا وارجو ان تكافئوني عليه بتنفيذ
وصيتي التي اريد ان اوصيكم بها فقالوا سمعا وطاعة فقال
للامين علي اني اوصيك اذا انا مت بان تجمع العساكر كلهم تحت
يدك وتوصلهم الى اسحاق ولدي بدارفور فقال سمعا وطاعة
وقال للامين حسب الله قد جعلتك امينا على خزاين اموالي
اذا انا مت توصلها الى ولدي فقال سمعا وطاعة وقال للامين
ابراهيم ود رماد قد جعلتك امينا على دوابي وخيلي اذا انا مت
توصلها الى ولدي بدارفور وقال للاب قد قلدتك الحريم والعيال
والخدم اذا انا مت توصلها الى ولدي وقال للاخر قد جعلتك
امينا على اسلحتي وملبوساتي واولادي اذا انا مت توصلها
الى ولدي فقبلوا منه ذلك بالسمع والطاعة ودعوا له بالعافية

وبكوا

وبكوا لما هو فيه من المرض لانهم اصهاره ما عدا الاب لانه خصي
ثم ذهبوا الى محلهم وقضى السلطان نحبه وهم غائبون وحين
توفي ارسلت كنانة الى اليتيم بسبحة السلطان ومنديله وخاتمه
وحجابه تعلمه بموته على يد محمد كرا وجاء أولئك الوزراء الذين اوصاهم
فوجدوه قضى عليه فندموا على خروجهم من عنده ودبروا حيلة
واجمعوا امرهم ان يجعلوا السلطان في تخت بعد فتحه والقائما
في امانه وتصبيره يُغطى ويحف بالعساكر ولا يتركون احدا يصل
اليه وكل من سال عليه قيل له مريض حتى يصلوا الى دارفور ويسلموا
كل ذلك الى ولده اسحاق الخليفة والشيخ محمد كرا اخذ الاشيا المذكورة
ثم توجه الى اليتيم وقال له عوضك الله في اخيك خيرا واعطاه الخاتم
والسبحة والمنديل فتحقق موت اخيه واخذ الاشياء وذهب
الى اخيه الاكبر المسمى بريز فحين اعلمه نهض قائما واخذ ريفا
وطاهرا وتوجهوا الى دار السلطان فلم يقدر احد على منعهم
وما زالوا داخلين حتى وصلوا الى المحل الذي فيه الجماعة والسلطان
تيراب مُسَجَّى امامهم وهم يبكون عليه فدخلوا عليهم ولم يخاطبوهم
بل جلسوا حول اخيهم وبكوا حتى فاوا ثم التفتوا الى الجماعة وقال
لهم ريز اما كفاكم ان مدة حياة اخينا كان خيره لكم والآن تريدون

ان تاخذوا ننتلوه ايضا لاجل ان يكون لكم حيا وميتا ها نحن
قد اطّلعنا على موته فافعلوا ما بدا لكم فقد تركناه لكم ثم خرجوا
وتركوهم فاختلف راى الجماعة بعدهم وقالوا قد فسد تدبيرنا
واطلعوا على موت السلطان فلا يمكننا ان ننفذ وصيته الآن
فقال الامين علي ودْجامع لا بد لي من تنفيذ وصيته او اموت
دونها ثم نادى يا محمد كرا اذهب الى محمد ولدي وقل له يجمع عساكري
ويلبسوا دروعهم واسلحتهم وياتون الى باب السلطان فقال
سمعا وطاعة وذهب الى محمد ابن الامين وقال له ان حضرة الامين
يامرك ان تجهز العساكر وتركب معهم وتذهب الى اولاد
السلطان وتكون معينا لهم حتى ياتيك امري فقال الامين محمد
سمعا وطاعة ونادى في العساكر فتاهبوا وركبوا وتوجهوا الى
اولاد السلطان ورجع هو بعد ذلك للامين وقال له قد ذهبتُ
فوجدت سيدي قد اخذ العساكر وتوجه الى اولاد السلطان
فاغتاظ الامين على ذلك وعلم انه لا يقدر على تنفيذ وصية السلطان
تيرب وخاف من الايمان والعهود فاخرج علبة صغيرة كانت
معه وفتحها واستف منها شيا مما كان فيها فوقع ميتا ولما مات
انخذل الباقون وتفرق رايهم وهذه اقوى مكيدة عملها محمد كرا

في الامين وولده وبسببها وقعت العداوة بينه وبين الامين
محمد بن الامين علي المذكور ثم ان الجماعة تفرقوا وذهب كل منهم
الى جيشه وهاجت الناس وماجت وعلموا انه لا بد للدولة
من سلطان يقوم بامرهم ويجمع كلمتهم وكانت اولاد السلطان
احمد بكر الذين هم اخوان المتوفي جالسين هم واتباعهم على حدة واولاد
اخوانهم واتباعهم على حدة والرعايا على حدة فنهضت جماعة
من المدبرين ودعوا بالقاضي والعلماء وارسلوهم الى اولاد
السلطان بكر لانهم هم الكبراء واولياء العهد من ابيهم وقالوا
لهم قلوا لهم بعد السلام اعلموا انه لا بد لهذا الامر من سلطان
يجمع كلمة الناس ويقوم بامرهم والملك لكم وانتم اربابه فعيّنوا
لنا سلطانا نرضى نحن وانتم فتوجهت العلماء والقاضي واخبروهم
بذلك فقالوا قد عيّنّا لهم اخانا ريزا لانه هو اكبرنا وسيدنا
ونحن تحت امره ونهيه فتوجهت العلماء لاولاد السلاطين
الصغار واخبروهم ان باسي ريزا يكون عليهم سلطانا فابوا
وقالوا ان باسي ريزا عمنا ووالدنا لكن لا نريد ان يتولى علينا لانه
صعب المراس فيه حدّة تُخشى غايلته خصوصا ونحن اولاد
صغار نريد سلطانا حليما يربينا وان صدر من احدنا بادرة

يعاملنا فيها بالحلم وقالت الرعية ان باسي ريزا ملكنا وابن ملكنا
ولكن به حدّة والاولى ان يختار هو غيره لانه هو سلطان تولى
ام لم يتول فرجعت العلماء واخبروهم بذلك فقال باسي ريز
قبلنا عذرهم وولينا عليهم باسي طاهرا فاخبروا به ايضا اولاد
السلطان فقالوا لا نرضى بعمنا طاهر لان له اولاد كثيرة لا ينتبه
لتربيتنا بسببهم وقالت الرعية انما كرهنا السلطان تيراب
لكثرة اولاده فان يولوا علينا طاهرا فنحن نرضى بالخليفة ان
يكون سلطانا لانه اقل اولادا منه فرجعوا واخبروهم فقال
ريز قد ولينا عليكم اليتيم فاخبروهم فرضوا به كلهم رعيةً واولادَ
ملوك وانعقد امرهم عليه واخذوه وتوجهوا به الى دار
السلطان والبسوه الخاتم واقعدوه على كرسي المملكة ولم
يختلف عليه اثنان **الباب الثالث من المقدمة في ذكر**
نبذة من سيرة السلطان عبد الرحمن الملقب بالرشيد واول
امره وولايته ووفاته قد ذكرنا فيما مضى ان السلطان احمد بكر
خلّف سبعةً من الولد منهم السلطان عبد الرحمن المذكور وهو
اصغرهم لان اباه توفي وهو حمل في بطن امه ولذلك سمي باليتيم
نشأ على احسن حال حفظ القران وقرا في الفقه وعرف الحلال والحرام

ولم

ولم ينتبه الى ما انتبه له اولاد الملوك في دار فور لان اولاد الملوك
هناك متى كبر الواحد منهم يخوض في البلاد يتضيف وينهب
اموال الناس وكلما راى شيا اعجبه اخذه بدون ثمن ويقول
ان جميع ما في دار فور من العالم عبيد لابيه الا عبد الرحمن فانه من
صِغَرِ سنه كان صالحا تقيا نقيا عفيف النفس وكان في غاية
من ضيق العيش وكان اذا سافر وامسى عليه المسآء في بلد
قال لمن ينزل عنده انا ضيف الله فان قبله مكث والا ذهب الى
محل اخر ولم يُسمع عنه انه ظلم احدا قط وكان لا ينسى الصنيعة
لمن فعلها معه بل يتذكرها ويجازيه عليها ومن ذلك انه كان
مسافرا فنزل عند رجل من قبيلة يقال لها الْبِرْتِي فعرفه الرجل
وذبح له كبشا سمينا ولاطفه ولما جآء العشا وحضر الطعام راى
السلطان عبد الرحمن ان الرجل قد تكلّف له فقال له يا هذا اما
كان يُغنى عن هذا ما هو اقل منه لو ذبحتَ لنا دجاجة لقامت
مقامه وكنتَ ادّيتَ ما وجب عليك فقال لا يا مولاى والله
لو ملكتُ جزورا لنحرتُها لك السدت عبد الرحمن اليتيم ابن
سلطاننا فقال له اليتيم ومن اين تعرفنى قال عرفتك بحسن خُلُقك
وتقواك وانه سيصير لك شان فقال اليتيم لئن ملكتُ لاطعمنك

اسمى مما ذبحت لنا وكان الامر كذلك فانه لما وُلِّيَ دعا بالرجل
وكان يسمى محمد دَرْدُوك وولاه منصبا جليلا واخرجه لجباية
اموال قبيلة العرب المجانين وهي قبيلة عظيمة اهلها اصحاب
ابل فحصّل منها من الاموال والنوق والجمال مالا يوصف ومنها انه
مر ببلاد الريح ونزل على رجل فقير يقال له جِدُّو فاكرمه على قدر
طاقته وكان هذا الرجل من بيت كبير وابوه كان ملكا عظيما يقال
لمن تولى في منصبه التَّكَنِيَاوِي فلما ولى اليتيم ولّاه منصب
ابيه ورايته واجتمعت به ومنها ان الفقيه مالك الفُوتَاوِي
الذي اسلفنا ذكره كان راى له مناما وصورته انه راى قمرا في
السمآء والناس ينظرون اليه ويقولون هذا اليتيم فاوّلَه ان
يلي الملك وذهب وبشّره بذلك فقال له ان صدقت روياك
لارفعن قدرك فكان كما قال وكان يصوم الخميس والاثنين على
الدوام ويصوم رجب وشعبان ورمضان وكان يحب اهل
العلم ويكرمهم وقبل ولايته بايام شاع عند المنجمين واصحاب خط
الرمل ان اليتيم هو الذي يتولى السلطنة بعد السلطان تيراب
وسمع السلطان بذلك فحقد عليه واراد قتله مرارا والله يمنعه
منه وكان يدعوه للطعام ويجعل له السم فيه فكان اليتيم يقول

انى

انى صائم ولا ياكل منه شيا ولقد اخبرنى من شاهد وقت
توليته حين ادخلوه لدار السلطنة انه كان عليه قميص قد بلى
حتى ان كتفيه ظاهران منه وبيده سبحة من خشب تساوى
فى بر مصر عشرين فضة ومكث عزبا حتى بدا الشيب فى لحيته
وما ذالك الا لفقره وعدم المال الذى يتسرّى او يتزوج به ولم
ير النساء الا حين سافر الى كُرْدُفَال صحبة اخيه السلطان
محمد تيراب فمر على بلاد يقال لها البِيقُو فاعطاه مِلكُها جارية
وخشا تسمى اَنْبُوسَة فغشيها فولدت منه السلطان محمد
فضل ولما انعقد الامر عليه اجلسوه على سرير الملك كما تقدم
وبايعوه وكان اول من بايعه اخوه الاكبر ريز ثم ريفا ثم طاهر ثم اولاد
السلاطين فبايعوه ثم القاضى والعلماء ثم الامراء وضربت طبول
الحزن اعلانا بموت السلطان تيراب ثم بطلت قليلا وضربت
طبول الهناء اعلاما بتولية السلطان عبد الرحمن وكان من عادة
ملوك الفوران السلطان اذا تولى يمكث سبعة ايام فى بيته
لا يسئل عن حكم ولا امر ولا نهى بل يجلس للتهنية والسرور
تدخل عليه العلماء والوزراء وارباب الدولة فلما تولى السلطان
عبد الرحمن ابطل تلك العادة وخرج صبيحة توليته فجاءت الوزراء

فراوه جالسا فى ديوانه وتناول بعض احكام فلامره وقالوا ليست
العادة كذا فقال بئس العادة ليست فى كتاب الله ولا فى سنة
رسوله ثم جمع جميع ارباب الدولة وقال لهم ان كان لكم ارب فى
ان اكون سلطانا عليكم تُبْطلوا الظلم ولا تحدّث به انفسكم
وتتوبوا الى الله تعالى منه فان الظلم يخرب الدُوَل ويقصّر اعمار
الملوك فقالوا سمعا وطاعة ثم لما كانت صبيحة اليوم الثالث
امر باخراج خزائن السلطان تيراب فأُخْرجت ففرّق ما كان
فيها من العين من ذهب وفضة وثياب على العلماء والاشراف
والفقرآء ووجد فيها من الكشمير والجوخ الذى عث شى كثير
فامر ان يُرمى خارج الدار وكل من وجد شيا ينفعه اخذه فلخرج
فكان كالطود العظيم واجتمعت عليه الفقرآء ينهبونه وبسطوا
ايديهم بالدعاء للسلطان عبد الرحمن ثم لما كان سابع يوم اخرجَ
جوارى السلطان تيراب وفرقها ايضا ولم يترك الا الحراير وامهات
الاولاد التى تزوجها اخوه بالعقد ثم نصّب المناصب فجعل محمد
دُكّمى اميا فى منصب ابيه الامين على ود جامع وامرهم بالأُهْبة
للرحيل الى دار فور فتجهزوا وحين خرج من كرد فال مر على جبل التروج
فاوقع بهم واخذ جميع ما فيه من الشباب والبنات ولم يترك

فيه

فيه الا المسنين واجتمع بمشايخ عرب البادية من الرزيقات والمسيرية
فالتمس منهم المسير معه لحرب الخليفة وكلما اكتسبوه من
المال والسلاح والخيل فهو لهم فاجتمع عليه منهم الوف وتوجه
الى دار فور لكنه لم يأتها من جهة المشرق بل اتاها من جهة
الجنوب وقبل وصوله كتب الى الخليفة كتابا يقول فيه من عبد
الرحمن سلطان دار فور الى ولد اخيه اسحاق اما بعد فاني
اعزيك في والدك وان كان اخي لانك اقرب مني اليه واوصيك
ببر الوالدين فاذا علمت هذا فاعلم اني عمك وحرمتي كحرمة ابيك
وعار على الولد ان يصادر اباه او عمه فضلا عن ان يجرّد في وجهه
حساما فانهاك عن القتال واياك ان تستفزك رعونة الشباب
وتسمع قول المفسدين فيحولوا بيني وبينك ولك علي عهد الله
وميثاقه ان أُقرّك خليفة كما كنت في ايام ابيك واجعلك ولي
عهدي كما كنت ولي عهد ابيك فاسمع قولي واحقن دماء المسلمين
وان خالفت حلت بك الندامة وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون فلما وصل الكتاب الى الخليفة وعلم ما فيه كتب الى
السلطان عبد الرحمن بعد السلام اما بعد فاني عاهدت الله
تعالى ان لا اطأ غير بساط ابي وانا ولي عهده ولا حق لك علي

وان قاتلتني فانا مظلوم والسلام ثم جهز له جيشا كثيفا
لنظر الحاج مفتاح داداه واكبر عبيده فتلاقى هو وجيش السلطان
عبد الرحمن في محل يقال له تَبَلْدِيَة فكان مع كل انسان من جيش
السلطان عبد الرحمن سَفْرُوك والسفروك قطعة من العصى
صورتها هكذا T فحين التقى الجمعان القى جماعة السلطان
السفاريك على جماعة الخليفة وقالوا الله اكبر ففروا وتبعهم جماعة
السلطان ياسرون وياخذون الاسلاب والخيول وتبعهم
العرب ايضا فاغتنموا منهم غنيمة عظيمة ونجا الحاج مفتاح وقُلّ
من اصحابه براس طَمْرَة وحين دخل الحاج مفتاح على الخليفة قال
له ما وراءك قال يا سيدي اني ناصح لك صالح عمك وان طلب
منك مالا فاعطه اياه واجعلني اول ما يعطى فانا فداوك فلما
سمع الخليفة منه هذا الكلام زجره وقال رجعتَ الى اصلك
يا عبد السوء لكن اللوم عليّ في ان اقدمك على العساكر ثم ان
الخليفة حشد الحشود وفتح الخزائن وفرق الاموال واعطى
الاقطاع فجمع جيشا عظيما لا اول له ولا اخر وبرز يؤمّل النصرة
على السلطان فوصل الى محل يقال له تَالْدَوَا فادركه السلطان
هناك ولما عاين كل منهما صاحبه رتّبا جيوشهما وصفّا صفوفهما

وكان

وكان مع جماعة الخليفة رجل من الملوك يقال له بحرّ الجباى وهو الذى
يجبى الغلال للسلطنة ومعه اتباعه ما ينوف عن عشرة الاف من
الخيل خلاف الرجالة فلما تلاقى الجمعان اخذ جماعته وزحف على جيش
السلطان عبد الرحمن كانه يريد قتالهم ودخل فيهم والصق صفه
بهم وبقى يقاتل الخليفة فترك فى صفوف الخليفة ثلما عظيما وفرجة
ما قدروا على سدها فانكسرت قلوب عسكر الخليفة بما فعل
الملك بحر والتحم القتال فلم يكن الا كلمحة بارق حتى تقهقر جيش الخليفة
وحين راى الخليفة ذلك خرج يقاتلهم بنفسه فكان كل من عرفه
يعرض عنه اكراما له ولابيه ومازال يفعل كذلك حتى راى جيشه انهزم
وبقى هو فى نفر قليل فلحق بجيشه فراى قد قتل اكثره وتبعتهم عساكر
السلطان ياسرون ويسبون حتى امسى المساء وحكى لى من كان
حاضرا انه وقت التحام القتال بينهما راى النجوم فى السماء وكان الوقت
ضحى ولقد شاهدتُ محل الوقعة فرايته جدبا فى وقت الربيع فسالت
عن سبب ذلك فقيل لى انه لا ينبت فيه نبت لما سال فيه من
الدما ثم ان الخليفة توجه باصحابه الى الجهة الشمالية وترك السلطان
بالجهة الجنوبية ولما انفرد الخليفة عن السلطان وابعد عنه ظلم
وتعدّا وجار وصار يُخرج الناس معه قهرا عليهم وكلما عثر بجواد

اخذه اوبمال استاصله فاجتمع له بذلك مال عظيم وخلق كثيرون
وعظم شره واستغاثت الناس منه الى السلطان فاراد ان يتوجه
اليه بنفسه فمنعه ارباب دولته فكتب له كتابا يقول فيه بعدما
يليق فانك طغيت وبغيت وظلمت وتعدّيت وقد نصحتك اولا
ان تحقن دماء الناس فابيت وكان منا ما كان والان فقد تعنت
على قتالنا بظلم العالم ونهب اموالهم وانا انصحك ثانيا ان تترك
ما انت عليه من الرعونة والجبر والعتو فان رجعت الينا ثانيا
قبلناك وجعلنا لك ما جعلناه اولا وان ابيت فالاثم عليك وانت
المذموم وان اصررت على القتال فالرعية لا ذنب لها فعف نفسك
عن اموال الناس وها هو مالي بين يديك خذ منه ما شئت حتى
يحكم الله والسلام فلما وصل اليه الكتاب وعلم ما فيه مزقه ولم
يرد له جوابا وزاد شره وكثر شاكوه فارسل اليه ملك الجهة
الشمالية ويسمى بالتكنياوى فى جيش فذهب اليه التكنياوى
فادركه فى محل يقال له بوّا فحين راى الخليفة الجيش قد اقبل رتب
صفوفه ووقف حتى وصل اليه الجيش والتقى الجمعان وكان جيش
الخليفة قد اثر فيه الرعب من وقعة تالدوا فاراد الانهزام
فثبّتهم الخليفة واقتحم الحرب بنفسه هو وجماعة من تربه

فكان

فكان كلما حل في جهة يفرون منه حياءً لا خوفا حتى دخل في القلب
ووصل الى التكنياوى فقال له يا عبد السوء الست عبد ابى
تغدر وتقاتلني وجرّد حسامه وضربه حتى قتله وحين خر قتيلا
تشوش صفه وانهزم جنده وتبعهم عسكر الخليفة فاخذوهم
قتلا واسرا ونهبا ولم ينج من الفل الا القليل وغنم الخليفة خيلهم
وسلاحهم وما كان معهم فانجبر خاطره واَمل النصرة على عمه وتقوى
بما حصل له من الغنيمة وبلغ ذلك السلطان عبد الرحمن فاغتاظ
ثم ارسل اخاه ريفا مع جيش اخر فادرك الخليفة في بوّا ايضا وحين
راءه الخليفة رتب صفوفه وعبّا عساكره وكان قد اعدّ كمينا في
محل منخفض وقال لهم اني اتقهقر بالعساكر وهم يطمعون فيّ
ويأتون خلفي فاذا رايتموهم فعلوا ذلك فاصبروا حتى تروهم
امامكم ثم كنوا من خلفهم وانزلوا فيهم واثخنوا فيهم ونحن نرجع
عليهم فنكون امامهم وانتم خلفهم فلا يفلت منهم احد وكان الامر
كذلك فحين التقى الجمعان تقهقر جماعة الخليفة فظن جماعة
السلطان انه انهزم فاوغلوا فيهم حتى صاروا امام الكمين وهم
لا يعلمون فخرج الكمين عليهم واثخنوا فيهم بالقتل وكر الخليفة
راجعا فتضعضع جيش السلطان واختل امرهم وتشوش

صفهم وقتل باسي ريفا اخو السلطان امير الجيش وقتل اكثر
الجيش ولم ينج منهم الا القليل وح قويت شكيمة الخليفة
وطمع في ان يرجع الى السلطان ويقاتله وما علم ان الامور بالخواتيم
ولما سمع السلطان بموت اخيه ريفا اغتم غما شديدا ولام نفسه
على القعود عن الحرب وقال لو لم اسمع كلام الناس وتوجهت
بنفسي لم يحصل هذا الامر وكان امر الله قدرا مقدورا ثم ارتحل
من يومه وقصد جهة الخليفة بجيش يسد السهل والوعر
وجاءت عيون الخليفة فراوا جيش السلطان وما فيه من العساكر
التي لا يقدر الواصف على وصفها والعاد على حصرها واسرعوا
بالخبر اليه فخاف على نفسه وجماعته فاصبح راحلا قاصدا بلاد الزغاوة
لان ملكها خاله يريد ان ينزل عليه ليمده بجند من عنده فسار
يقطع الارض ليلا ونهارا والسلطان على اثره لان الجواسيس
اخبروه بقصده فخاف السلطان انه اذا وصل الى زغاوه يمده خاله
بجيش ويعسر امره ويطول الحال بينهما فجد في طلبه حتى ادركه
بمحل يقال له جركو وكان في طليعة جيش السلطان الامين محمد
دكمي بن الامين علي ود جامع الذي سم نفسه في كردفال كما سبق
فلما التقى الجمعان ظن الخليفة ان الجيش هذا فقط فكر راجعا

عليهم

عليهم وناوشهم القتال وقاتل بنفسه ففرت الناس امامه حتى
وصل الى الامين محمد دُكّمى فوقف امامه وصار يضربه بالسيف
ويقول له يا عبد يا خائن يا غدار الك عين ترفعها تخون نعمتى
ونعمة ابى وتاتى لقتالى والامين ساكت لا يتفوه بحلوة ولا
مرة لكن كان لابسا درعين فلم يعمل سيف الخليفة فيه شيا فلما
اعيى الخليفة امره تركه واراد ان يذهب فصبر عليه الامين
محمد حتى التفت وضربه على عاتقه الايمن بالسيف وكان ذا قوة
فكسر عظم ترقوته وانكسر السيف من مقبضه وطار فى المجال
فخدرت يد الخليفة وارخى ذراعه وعلم بذلك الامين محمد فطمع
فيه واراد ان يقبض عليه فادركته جماعته فخلّصوه منه وانهزم
حينئذ جيش الخليفة وتبعه الامين محمد بجيشه وارسل السيف
المكسور الى السلطان عبد الرحمن يعلمه بما وقع فارسل السلطان
فى الحال للامين محمد سيفين عظيمين محلّيين وامره بالمسير
خلفه وانه على اثرهم وكان حـ بالعسكر رجل من ابناء العرب
يقال له زَبَادِى قيل انه من فلّاحين مصر وكان يصطاد بالبندق
ويصيب فتجاسر على السلطان وقال له يا مولاى ان ارحتك
من عدوك فى هذه الساعة فماذا يكون لى عليك قال السلطان

عبد الرحمن له اذا ارحتنى منه لك علىّ مائة راس رقيق فقال
ارسلنى الى الامين لاكون فى عسكره وترى ما يصير اليوم فارسله
فى الحال الى الامين بكتاب من عند السلطان يقول له فيه ان
زَبَادِى قد التزم براحتنا من عدونا والتزمنا له الجزاء فى ذلك
وطلب ان يكون فى عساكرك فها هو واصل اليك فان التمس
منك شيا فساعده واكرمه وانا على اثركم وركب زبادى على
هجين ولحق بعسكر الامين فاعطاه امر السلطان فقراه ورحب
به وسار فى الجيش وبالامر المقدّر ان الخليفة آلمه ذراعه واراد
ان ينزل للراحة فمنعه ارباب دولته عن النزول فقال لهم ولِمَ
تمنعونى فقالوا ان الامين محمد قافٍ اثرنا بجيشه والقتال بيننا
وبينه دائر فغضب وقال الم يرجع عنا فقالوا لا فكر راجعا
على عسكر الامين فتعرضوا له ايضا فقال ولابد وبينما هو
ينازعهم على الرجوع ويلاطفونه فى الترك اذ جاء زبادى وتامل
الخليفة وعرفه واخذ عليه النيشان واطلق البُنْدُقيّة فاصابته
قيل فى صدره وقيل فى راسه فخر فاسندوه ومشى قليلا وصار
يجود بنفسه فحين راى ارباب دولته انه يجود بنفسه نصبوا
له سرادقا وادخلوه فيه ووقف الجيش يذبّ عنهم والقتال دائر

بين

105

بين فريقين حتى وصل الامين فراى العسكر وقوفا ونار الحرب
تستعر فسال عن الخبر فقيل له ان الخليفة اصيب بالرصاص
وهو يجود بنفسه وعجز عن الحركة فنصبوا له هذا السرادق
ووقف جيشه يذب عنه فقال اما اذا كان الامر كذلك فاتركوا
القتال واحيطوا بهم حتى ننظر ما يكون وارسل الى السلطان
يعلمه ان الخليفة اصيب برصاصة من زبادي وهو يجود
بنفسه فان كان يمكن مولانا ان يحضره قبل ازهاق روحه
فليفعل وبعد ذهاب الرسول الى السلطان بقليل قضى على
الخليفة واعلن بالبكا ونزل الجيش الذى كان يقاتل من ظهور
الخيل وكذا نزل جيش الامين مفرد

من البسيط

لا يامن الدهر ذو بغي ولو ملكا　جنوده ضاق منها السهل والجبل

مفرد لكاتبه

من الكامل المجزو

لا يمنع الجيش الكثيف من الردا　ولا يمنع المقدور برج مشيد

وبعدها بقليل حضر السلطان وجيشه فاخترق الصفوف وحين
رآه جيش الخليفة اعطوه الطاعة فدخل السرادق هو والامين
محمد وجماعة من ارباب الدولة وكشف الغطاء عن وجه الخليفة
وبكى بكاء شديدا وقال يا ولدي انت فعلت هذا بنفسك ونصحناك

فلم تقبل وكان امر الله قدرا مقدورا ثم التفت الى ارباب دولة
الخليفة وقال لهم لقد زينتم القتال لولدي حتى قتلتموه أما فيكم
ذو عقل يكفه وينصحه فحلفوا كلهم انهم برآء مما كان فيه وانهم
نصحوه فلم يقبل وقالوا له يا سيدنا نحن تقلدنا نعمته وقاتلنا
عنه حتى قضى الله فيه وما خُنّاه وان انت قبلتنا نقاتل عنك
كذلك ولو خناه وخدمناك نخونك ايضا فعرف صحة قولهم وقال
قد عفوتُ عنكم فمن اراد ان يكون معي منكم فهو على رتبته
ومقامه ومن ابى يلق خيرا ثم امر بدفن الخليفة في ذلك المحل ولم
يدفنه في مقبرة الملوك وقال هذا عاقّ لا يُدفن في مقابرنا فدُفن
هناك واقام السلطان بقية نهاره وليلته واصبح قافلا الى
الفاشر محفوفا بالنصر مستبشرا بذهاب عسكران ابا الطيب
رآه على تلك الحال حين انشد وقال

من الكامل

سر حيث شئت حله الانوارُ ... واراد فيك مراده الاقدارُ
واذا ارتحلت فرافقتك سلامةٌ ... حيث اتجهت وديمةٌ مدرارُ
وصدرت اغنم صادرٍ من موردٍ ... مرفوعةً لقدومك الابصارُ
انت الذي لهج الزمان بذكره ... وتزينت بحديثه الاسمارُ
واذا تنكّر فالفناء عقابه ... واذا عفا فعطاؤه الاعمارُ

ولـه

وله وان وهب الملوك مواهب ... درّ الملوك لدرها اغبار
لله قلبك لا يخاف من الردى ... ويخاف ان يدنو اليك العار
وتحيد عن طبع الخليقة كله ... ويحيد عنك الجحفل الجرار
يا من يعز على الأعزة جاره ... ويذل في سطواته الجبار
كن حيث شئت فما تحول تنوفة ... دون اللقاء ولا يشط مزار

وكان الفاشر اذ ذاك بالمحل المسمى قرلي وكان فاشر السلطان تيراب بالريل وفاشر الخليفة بجديد راس الفيل ثم انتقل بعد ذلك وجعل الفاشر بالمحل المسمى تندلتي وهو فاشر ابنه الآن ولم يعهد للفور اقامة في فاشر كاقامتهم في فاشرهم هذا المسمى تندلتي ولما اراح قلبه من قتال الخليفة وسكن جاشه نظر في امر الرعية فابطل المكوس ورفع المظالم وولى المناصب وانتبه لعمار البلاد ورفاهية الحال وقطع الاعلان بشرب الخمر والزنا وامن الطرق وكانت مخوفة فبعد ذلك صارت امنا حتى ان المراة كانت تسافر من اقصى البلاد الى ادناها محملة من الحلى والمتاع لا تخشى الا الله وكثرت التجارات وتتابع الخصب واظهر العدل التام فكان لا يكرم ظالما ولا يعينه ولو كان من ذوى قرابته ولقد اخبرني الثقة ان اعرابيين تعرضا له يوما وكان

قادما من الصيد فقال له احدهما انا مظلوم يا رشيد الله يخليك
يا رشيد انا مظلوم ومن عادتهم ان المظلوم اذا جاء امام
السلطان يضع اصبعي يده اليمنى اى السبابة والابهام على
شدقيه ويرددهما مع اخراج صوت عالٍ فيه كاف واحدة وراآت
كثيرة مضمومة فيخرج من فيه صوت يقال له الكُرُورُك وهذا
الصوت لا يصوته به احد الا اذا كان اصيب بمصيبة فكان
الاعرابى يصوت كذلك ويقول بعد كل صوت الله يخليك يا رشيد
انا مظلوم وشُغِلَ عنه السلطان إمّا لامر قام به او لانه لا
يسمعه لكثرة الطبول والغنا واصوات الجند فكَرُورُك الاعرابى
مرارا فلما لم يجبه السلطان قال له صاحبه خلّه عنك رشيد لنفسه
لا لك فسمعه السلطان فوقف وسال الاعرابى عما قال فقال ان
اخى هذا كَرُورُك مرارا واشتكى لك وهو ينادى يا رشيد انا مظلوم
فلما لم تجبه قلت له خله فانه رشيد لنفسه غير رشيد لك
فضحك السلطان وقال بل انا رشيد لك ايضا قل لى من ظلمك
قال ظلمنى باسى خَبير وكان باسى خبير من اقاربه فقال وما اخذ
منك قال اخذ منى خمس نياق فوقف مكانه ودعا باسى خبير وساله
فاعترف فامر ان يدفع له عشرة نياق خمسا حقه وخمسا تاديبا

له

له فدفعها وذهب الاعرابيان وهما في غاية الغبطة والسرور
وفي ايامه تلك نصب محمد كرا في منصب الاب الشيخ وهو اجلّ
المناصب هناك صاحبه مطلوق السيف له دولة كدولة السلطان
وشارات كشاراته ومن عادة هذا المنصب لا يتولاه الا خصى
لانه يخشى من غير الخصى اذا تولاه وقويت شكيمته ان يصادر
السلطان ويطلب الملك لنفسه وبعد تولية الاب الشيخ محمد
كرا وجّهه الى البلاد فنزل في ابي الجُدُول وسلك طريق العدل في العالم
وضبط الامور حتى انه قتل اناسا كثيرين لما وقع منهم من الظلم
ولما ظهر عدل السلطان وحبه للعلماء واهل الفضل والاشراف
وفد عليه الاشراف والعلماء من جهات عديدة فكان اول وافد
عليه والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان وكان حين قدومه
الى دارفور نزل بكُوبَيْه على الفقيه حسن ود عَووضة وبلغ اهل
كُوبَيه انه جاءهم رجل عالم من تونس فاجتمع عليه اكابرهم كالفقيه
محمد كرَيْتيم والشريف سرور بن ابي الجُود وعبد الكريم بن الفقيه
حسن ود عَووضة واضرابهم وطلبوا منه قراءة مختصر الشيخ
خليل فقرأ لهم منه ربع العبادات ووصل خبره الى الفقيه مالك
الفوتاوي فاعلم به السلطان فارسل اليه فذهب له فاكرمه

واعطاه عدة جوارى وامره ان يكون عند الفقيه نور الانصارى
زوج ابنته المبرمجوا وكان رجلا من سلالة الانصار محبا
لاهل العلم وفيه فقه فقرا على والدى نبذة من صحيح البخارى
واعلم السلطان بعلميته وانه ماهر فى العلوم العقلية والنقلية
فاحضره لديه وقرا عليه فى شهر رمضان جزء من الحديث
وتعلقت به امال الفقيه مالك فامر اولاده ان يحضروا عليه
فحضر عليه من اخوانه الفقيه ابراهيم والفقيه مدنى والفقيه
يعقوب ومن اولاده الزاكى والسنوسى ومحمد جلال الدين
وابن اخيه الفقيه محمد البركاوى وحضر عليه الفقيه حسين
ودتورس وامره السلطان ان يكتب على الخصائص التى الف
متنها مغلطاى التركى فكتب عليها شرحا عظيما نحو ستة
عشر كراسا سماه الدرة الوفية على الخصائص المحمدية وساله
فى شرح على مختصر الشيخ خليل المالكى فى الفقه فكتب عليه
شرحا فى مجلدين سماه الدر الاوفاق على متن العلامة خليل
ابن اسحاق وكتب على الاجرومية شرحا كبيرا ادخل فيه نحو
ماىتى بيت من الفية ابن مالك فاتى مجلدا ضخما ثم اختصره فى
كراريس وكتب على السلم المرونق شرحا لطيفا فى كراريس والف

رسالة

رسالة في علم الكتف ووفد على السلطان عبد الرحمن الفقيه
الزاهد الناسك الشيخ التمرو الفلاني ووفد عليه الفقيه النبيه
الشيخ حسين عماري الازهري ووفد عليه من اشراف مكة
الشريف مساعد يقال انه من اولاد الشريف سرور وكان قاضيه
الفقيه النزيه الشيخ عز الدين الجامعي وهو قاضي القضاة بدار
فور واعمالها وكان السلطان عبد الرحمن جوادا كريما عادلا عفيف
النفس وكان وسط القامة شديد السواد قد وخطه الشيب
ابح الصوت شديد الغضب سريع الرضا ذا تدبير حسن فمن
حسن تدبيره انه لما دخلت الفرانساوية مصر وهرب الغز
منها توجه الى دار فور منهم كاشف يسمى زوانة كاشف قيل انه من
مماليك مراد بيك او هو احد كشاف الالفي ومعه اكثر من
عشرة مماليك ومعه امتعة زائدة وجمال وخدم وطباخ وفراش
وسياس واخذ معه مدفعا وهاون بنبخين حل بدار فور اكرمه
السلطان عبد الرحمن واحسن ملقاه وانزله نزلا حسنا واجرى
عليه من الارزاق شيا كثيرا حتى صار لا يعرف رقيقه لكثرته ثم
طلب من السلطان ان يبني بيتا كبيوت مصر فاذن له في ذلك
فضرب الاجر واستخدم العبيد في قطع الاحجار وصنع بيتا

جميلا وسوره بسور وجعل السور عريضا وجعل فيه مزغلتين
مقابلتين لبيت السلطان يضع في احداهما المدفع وفي الاخرى
هاون البنب وكان محل هذا البيت اعلا من محل بيت السلطان
بحيث كان يرى السلطان حين يدخل وحين يخرج فسولت له
نفسه ان يقتل السلطان ويملك البلد بان يرصد وهو داخل
او خارج ويطلق عليه مدفعا يهلكه به لكن خاف ان قتل السلطان
لا يطعوه اهل المملكة وارباب الدولة فاحتال ان اجتمع بالفقيه
الطيب ود مصطفى وكان هذا الفقيه وزير السلطان تيراب
وصهره اعني ان السلطان تيراب كان متزوجا باخته واتت
منه بولد فلما اجتمع عليه زوانة كاشف فشى سره له بعد ان
عاهده على الكتمان وقال له انه قد بلغني ان ابن اختك ابن
السلطان واريد ان تجعل يدك معي فنقتل هذا ونولي ابن اختك
وتصير المملكة بيننا فرضي الفقيه الطيب بذلك ثم قالوا ان
هذا الامر لا يتم لنا الا بادخال بعض الناس الذين تكون لهم عساكر
فقال زوانة ذاك اليك وانت اعرف الناس به فصار الفقيه
الطيب يخادع الناس وياتي بهم الى الكاشف والكاشف يعطيهم
الاموال ويحلفهم ان يكونوا معه حتى ادخلوا في امرهم عدة

رجال

رجال واتفق ان رجلا من الامرآء خادعه الفقيه الطيب وجآء به
الى الكاشف فاعطاه عطية سنية واطلعه على الامر وحلفه على الكتمان
فحلف واخذ العطاء وتوجه به الى السلطان واطلعه على جلية
الامر وحقيقته فقال له السلطان خذ عطاءك واذهب وكن
معهم على ما انت عليه واياك ان تخبر احدا انك اتيتني ولما كان
من الغد جآء زوانة الكاشف الى بيت السلطان فاكرمه اكثر ما
كان يكرمه واعطاه في ذلك الوقت مائة عبد ومائة جارية ومائة
ناقة ومائة جرّة سمنا ومثلها عسلا ومائة حمل دُخْنًا وكساه
كشمير احمر وجوخة حمرا وقلده سيفا واعطاه جوادا سرجه
من ذهب وتوجه الكاشف الى منزله مغتبطا بما حصل له من
السلطان وقال هذه اموال ساقها الله الى استعين بها على
هذه المصلحة ولما امسى المسآء وكان بعد العشا امر السلطان
باحضار ملك من الملوك بعسكره وامره ان يقف حتى يرى الكاشف
دخل دار السلطان يعقبه ويضبط جميع ما في بيت الكاشف من
الاموال وحذره عن ان يفلت منه شي ثم ارسل للكاشف غلاما
يقول له ان سيدي جلس للسمر وقد اراد ان تحضر مجلسه الآن
ورتب عبيدا للقبض عليه عند امر السلطان به فذهب

الغلام واخبره بمقال السلطان فحضر معه ولما دخل على السلطان
اكرمه وكان معه بعض من الخدم دخلوا معه بابين ومُنِع ان
يدخل من الثالث وقيل له اصبر هنا حتى ياتي سيدك فكدس
مكانه وجلس السلطان يتحدث مع الكاشو حتى فاتت من الليل
حصة فقال السلطان انى جايع والتمس ما يوكل فأُتِيَ بلحم نصيص
اى حنيذ غير مقطع فالتمسوا سكينا فلم يجدوا فاخرج الكاشف
سكينا كان معه واراد ان يقطع اللحم فحلف عليه بعض الحاضرين
ان لا يفعل وانه هو الذى يقطع فاخذ منه السكين وصار
يقطع بها فاخرج الكاشو الخنجر فاخذه اخروج امر السلطان
بالقبض عليه فلما قبض عليه قال له السلطان اى ذنب جرى لك
منى حتى انك تريد قتلى وتغوى عساكرى وتخادعهم فقال اقلنى
فقال لا اقالنى الله ان اقلتك وامر بذبحه فى الحال فذبح كالشاة
وفى الحال جِيئَ باموا له وما كان عنده من رقيقه وغيره حتى لم يبق
فى البيت شى وامر السلطان بهدم بيته فهدم ومُحِيَتْ
رسومه وكانه لم يكن وقبض على اتباعه فى تلك الليلة وباتوا
محبوسين ولما اصبح الصباح دعا بهم السلطان فحضروا فعفى
عنهم واطلقهم وامّر عليهم خازندار الكاشو وكان يسمى

يوسفا

يوسفا وثم تتبع جميع من تعاهد مع الكاشف وقبض عليهم
واحدا بعد واحد حتى لم يبق منهم احد وكان اخرهم الفقيه الطيب
فانه قبض عليه وقتله اشر قتلة وسجن ابن اخته سجن الدوام
الى ان يموت وكيفية القبض على الفقيه المذكور انه ارخى له العنان
وبذل له الاموال واظهر له الود التام بحيث ان الفقيه الطيب
لم يخطر بباله ان السلطان معه علم بانه كان مع زوانة كاشف
ومضت على ذلك مدة حتى كان في بعض الايام حضر الفقيه الطيب
دار السلطان وكان السلطان جالسا في ديوانه وحضرت له
ابل موقورة عسلا فاعطاها للفقيه الطيب وامر له بكسوة فاحضر
له كشمير احمر وكسوة جليلة فلبسها ودعا للسلطان بدوام
العز وجلس ومن عادة ملوك الغرب اذا كسوا انسانا كسوة
حمرا فانهم في غضب عليه ولا بد ما يقتلونه وتذكر السلطان
ما كان منه ونفاقه مع الكاشف في اخر المجلس فالتفت الى الحاضرين
وقال لهم اشهدكم بالله هل هذا الفقيه في ايام اخي ارفه حالا واكثر
مالا ام هذا الوقت فقالوا كلهم لا والله بل في هذا الوقت ارفه
واغنى وانفذ كلمة فقال السلطان سلوه ح لم خانني وتواطأ
مع الكاشف على قتلي وخراب داري فسئلوه فاقسم على السلطان

بالله العظيم ان يقتله ولا يكلفه جواب هذا السوال لان الموت
عنده اهون من ذلك فابر السلطان قسمه ح وامر فذبح كالشاة
واخذ جميع ما عنده من الاموال والضياع ولم يفلت منه شي
وقد سمعت انه ارسل العساكر لاخذ ماله من ضياعه قبل ذلك
بمدة وعين لهم ان يكبسوها في ذلك اليوم بعينه خوفا ان
يطيش الخبر ويفلت منها شي وذلك كله من سعادته ومن
سعادته ايضا ان جميع من رامه بسوء يخذل ويمكنه الله منه
ومن ذلك ما حصل من ايا كرى كنانة ام حبيب المتقدم ذكرها
وذلك ان السلطان تغافل عنها ولم يف بما وعدها به إما
لامر قام به او خوفا على نفسه منها او من ولدها فلما رات
تغافله لها وكانت في دار السلطان وابنها حبيب متاهل في
دار له عقدت له بالمكاتبة مع بعض الملوك عقدا واتفقت
معه ان يساعد حبيبا ليتولى سلطانا خصوصا قد انقطع
املها حين رات ان السلطان ولد له فخافت على ولدها لكن
السلطان وان كان تغافل عنها الا انه كان مبقيها في منصبها
آمرة ناهية مقاليد امور الدار كلها بيدها فلما نوت الغدر
بالسلطان استاذنته في ان حبيب يريد ان يصنع وليمة

وارد

واريد ان امده بطعام من هنا فاذن لها السلطان في ذلك
فصنعت الطعام وصارت تاتي بالجفنات وتضع الدروع في
الجفنة ثم تجعل الطعام فوقها بحيث ان من يرى الجفنة لا يظن
ان فيها غير الطعام وكانت تضع في واحدة دروعا وفي اخرى
سيوفا فاخرجت ما يزيد عن مائة جفنة بهذه الصورة ثم مكثت
مدة ايام واستاذنت له في وليمة اخرى فاذن لها ولم يخطر
بباله شي مما في نفسها لانه كان سليم الصدر غير ظنان بالسوء
ففعلت كما فعلت بالمرة الاولى وبعد ايام ايضا استاذنته كذلك
وقبل ابراز الوليمة الثالثة كانت عندها بنت من بنات الاكابر
جميلة الصورة تربيها فراها السلطان على حين غفلة فاحبها ونوى
في نفسه ان يخاطب اباكري في شانها ويعقد عليها وكانت ام
حبيب فهمت من السلطان ذلك فصارت توذيها لانها اعدتها
لولدها حبيب فلم تطق البنت الاذاية خصوصا وقد انكشفت
على غدرها بالسلطان وما تريد ان تصنعه معه فاختلست
نفسها وقابلت السلطان على خلاء واخبرته ان ام حبيب
اخربت خزينة السلاح والامتعة وان الولايم كلها مملوءة
بالدروع والسيوف وانها تعاقدت مع الملك فلان وفلان

بانهم يساعدوها على قتلك وتولية حبيب الملك وان كنت
في شك مما اقوله اقلب جفنة من الجفان التي تخرج في الوليمة
في غد فانك تعلم صحة قولي فقال لها السلطان ارجعي الى
مقرك واياك ان تقولي انك اعلمتيني بشي فرجعت وضاق
صدر السلطان لذلك واخبر بعض الخدمة ان اخبرني في غد
قبل خروج الوليمة الى حبيب واستكتمه فكتم وبقي الحال كذلك
حتى اصبح الصباح وصنعت الوليمة ونادت العبيد والجواري
يرفعن الجفنات فاخبره الخادم بان الوليمة قد تجهزت فدخل
فراى ام حبيب ترتبها للحمل فقال على رسلكم ثم قال ارفعوا الاغطية
واروني وليمة ولدي حبيب فرفعوا الاغطية فراى طعاما حسنا
فجاء الى جفنة فيها طعام يحبه وقال اتركوا هذه لي واجعلوا ما
فيها في اوان صغار لاكل منها انا وبعض اضيافي فقالوا سمعا
وطاعة وجاءت ام حبيب حين بلغها ذلك وقالت فداك
ابي وامي عندنا من نوع هذا الطعام كثير فليترك مولاي الجفنة
ونحن ناتيه بكثير منه فقال قد علمت وانما نفسي طلبت من
هذه ولعل ما تاتون به وان كان من هذا بعينه لا تتوق اليه
نفسي فح لم تجد بدا من طاعته وقالت دع الخدم يرفع هذه

الجفنات

الجفنات واجلس انت هذه فقال لا بل حتى تفرغ هذه الجفنة وتملأ
كما كانت ويحمل كله مرة واحدة ولما جيئ بالاواني واغترف من الجفنة
ظهر الدروع من تحت الطعام فنادى يا ام حبيب ماهذا فخجلت
ولم تحر جوابا فعند ذلك امر بالقبض عليها وقلب جميع الجفنات
فوجد فيها كلها دروعا وسيوفا وريالات فرانسا ونحو ذلك
فقال لها اى ذنب وقع مني حتى دبرتي على هلاكي فلم ترد جوابا فامر
بقتلها في تلك الساعة فقتلت وفي الحال ارسل ملكا من ملوكه الى
بيت حبيب بعد ان دعا حبيبا اليه فحضر حبيب على حالة الطمانينة
فلما مثل بين يدى السلطان امر بالقبض عليه فوضع في المحبس
ثم ارسله تحت جنح الليل الى جبل مرة واستصفى ما عنده من
المال ورد الدروع والسلاح الى مقرها ثم قبض على جميع من تواطأ مع
حبيب ولم يبق منهم احدا وتمهدت اموره واستوزر الفقيه مالك
الفوتاوى لظن علميته وصلاحه وكان يدعى انه يعرف سر الحرف
وعلم الاوفاق مع انه كانت فيه عامية وكثيرا ما كان يظهر الورع
والصلاح ويبطن ضده وكنت اظن ذلك منه حتى حقق الله ظني
فيه في مجلس واحد وذلك انه لما ترقى الوزارة ادخل جميع قبيلة
الفلان التي بدارفور تحت امره وصار يذب عنهم وحررهم عند

120

الدولة حتى صار لا يجبى منهم مال وكلما نهبوه من غيرهم من القبايل
برد لهم حتى صاروا من اقوى القبائل واغناها فاتفق ان قبيلة
الفلان اغاروا على قبيلة المساليط وقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوا
منهم اموالا جمة من بقر وخيل ورقيق وجاء رئيسهم وكان يسمى
بجد العيال واتى بخيل وبقر ورقيق من المنهوب هدية الى الفقيه
مالك ليذب عن القبيلة وكان في شهر رمضان وكان وقت العصر
والفقيه مالك اذ ذاك يقرا في تذكرة القرطبي في صفة اهل النار
فاتى على قوله ولا زالت النار تقول يا رب زدني حتى يضع الرحمن
فيها رجله والرجل هي الجماعة من الناس وعليه قول الشاعر فمر بنا
رجل من الحي وانزوى البيت فقال ولا زالت النار تقول يا رب
زدني وكان من عادته ان يقول بعد كل كلمة او كلمتين اي نعم قال
الكتاب فقال ولا زالت النار تقول يا رب زدني اي نعم قال الكتاب
ولا زالت النار تقول يا رب زدني اي نعم قال الكتاب حتى يضع
الرحمن فيها رجله اي نعم قال الكتاب والرجل هي الجماعة من الناس
اي نعم قال الكتاب وعليه قول الشاعر اي نعم قال الكتاب فمر بنا
رجل اي نعم قال الكتاب وكررها مرارا فقال له السنوسي
ولده يا ابو فمر بنا رجل فقال اي نعم فمر بنا رجل وكررها مرارا

وكنت

وكنت جالسا ولم يسعني السكوت فاخذت نسخة من رجل
بجانبي فرايت فيها فمر بنا رجلٌ من الحي البيت فقلت يا أبو فمر بنا
رجلٌ فقال لي اسكت انت الآن صغير عن هذا وامثاله مع ان
هذا هو الذي يصلح لان يكون شاهدا فسكتّ ومن عاميته
ماحكى لي والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان ان السلطان
التمس من الفقيه المذكور ان يخطب يوم العيد فقصد والدي
ان يولف له خطبة فالفها وكتب في اخرها تمت على يد مولفها
الفقير الى المنّان عُمَر التنسي بن سليمان في يوم وسنة كذا واعطاها
اياه فلما كان يوم العيد صلّى بالسلطان ثم رقى المنبر فخطب
وبعد الخطبة قال تمت الى اخر ما كتب ولم يتفطن ان هذه الكلمات
خارجة عن الخطبة وكان من اغنى ارباب الدولة وكان له من الاقطاع
ماينوف عن خمسمائة بلد وذلك غير اقطاع اخوانه ثم السلطان
اجل مقام الشيخ محمد كرا واعلا كلمته حتى صار لا تعلى على كلمته كلمة
وبلغه ان هاشم المسبّعاوي ملك كردفال رجع اليها واخذها
من يد عامل السلطان فجهز جيشا كثيفا لنظر الاب شيخ محمد
كرا فتوجه الى كردفال واغنى غناء حسنا واخذ كردفال من يد
السلطان هاشم وقتل عساكره وشرّده في القفار واستوطن

122

كردفال مدة سبع سنين وفيها ارسل للسلطان اموالاجمة من
رقيق وذهب وغيره وسعى به بعض من اعداه الى السلطان
فارسل السلطان الامين محمد بن الامين علي ودجامع بجيشه اليه
وارسل معه قيدا وقال له خذ هذا القيد وقيده به وارسله مع جيشه
وكان ذلك امتحانا من السلطان فلما وصل الامين محمد الى كردفال
ظن في نفسه ان الاب شيخ محمد يعارضه اوينازعه فلم يفعل شيا
من ذلك بل حين وصل اليه قال له بماذا امرك السلطان قال
بتقييدك وارسالك اليه فقال سمعا وطاعة هات القيد فاعطاه
اياه فاخذه وقيد نفسه بيده ودعا الحداد وامره ان يسمّره
ويبرد عليه امتثالا لامر السلطان ففعل واصبح مسافرا
والقيد في رجليه حتى وصل الى دار فور وحين أخبر السلطان
بقدومه ارسل له من ينزع القيد من رجليه وقال أما قلت
لكم ان محمد كرا لا يعصا في ثم امره ان ياتي الى الفاشر في موكبه
فاتى على احسن حالة وخرج اليه السلطان واحسن ملقاه
وسوره بسوار من ذهب امام الوزراء والحاضرين وبالغ
في اكرامه ورده الى منزلته بل صار اعظم مما كان وكان هذا الفعل
من السلطان هو عين البخت التام لابنه محمد فضل فانه لما

توفي

123

توفي السلطان قام بامره الاب الشيخ محمد كرا ولولاه لما نظر
اليه احد ولا عنى به وكيفية ذلك ان السلطان لما ثقل به مرضه
دخل عليه الفقيه مالك الفوتاوى فوجد الاب الشيخ محمد كرا عنده
فقال له الفقيه مالك يا سيدى ان الوصية فيها خير عظيم وانك
فعلت مع الناس من المعروف ما لا يوصف وكل وزرائك واهل
مملكتك راضون عنك فان وصيت بشيء اظنه بل احققه انه
ينفذ ولابد فاوص لعل ولدك ينتفع بوصيتك فقال ومن يتوكل
على الله فهو حسبه فاعاد عليه الفقيه مالك هذا القول ثانيا فقال
هو ذلك ايضا فاعاد عليه ثالثا فقال ذلك ايضا فتركه بعد الثالثة
ثم قضى نحبه عليه سحائب الرحمة فحين توفي بكى عليه الاب والفقيه
مالك وبعد البكاء قال الفقيه مالك للاب ماذا انت صانع الآن
قال الاب سأريك ما اصنع فقام من وقته ودخل الدار ودعا
بمحمد فضل وكان اكبر ولديه لانه لم يترك من الذكور الا محمد
فضل وبخاري ومن الاناث حوى وست النسآء وام سلمى
فاقعد محمد فضل والبسه الخاتم وعممه وقلده بالسيف واجلسه
على كرسي السلطنة وادخله في حجرة وارخى عليه سترا وارسل في
الحال الى جماعته فحضروا متقلدين سيوفهم شاكين السلاح فاوقفهم

على الابواب ورتب منهم جماعة يحرسونه ونفعه في ذلك
باب سركان بين بيته وبيت السلطان بحيث ان العساكر
دخلت منه ولم يشعر بها احد ثم ارسل الى اكثر الوزراء جماعة
واقواهم شوكة الملك ابراهيم ودٌ رماد انسانا يقول له ان
السلطان يامرك بالذهاب اليه فجاء فلما دخل الباب وجد
العساكر وقوفا فراعه امرهم ولم يجد بدا من الدخول ولما وصل
الى محل السلطان وجد الاب شيخ محمد كرا والفقيه مالك جالسين
والسلطان بينهما مسجّى فلما راءه كذلك بكى ثم بعد استرجاعه
قال له الاب الشيخ ان السلطان قد تُوُفِّيَ فماذا ترى فقال لا
ارى سوء رايك فقال له الاب اتعاهدني على ذلك قال نعم فحلفه
واخذ مواثيقه انه لا يتعدا رايه ثم رفع الستر وقال هذا السلطان
يعني محمد فضل فقال الملك ابراهيم وهو كذلك فقال قم فبايعه
فبايعه ح وجلس ثم ارسل الى الوزراء والملوك واحدا بعد واحد
وكلما جاءه احد فعل معه كما فعل بالملك ابراهيم حتى استوثق
من اكابر الدولة كلهم ولم يترك منهم الا من لا قوة له ثم اعلن
بموت السلطان وضربت طبول الحزن وسمعها اولاد
السلاطين فركبوا وجاوا شاكين السلاح هاجين على دار

السلطان

السلطان فراوا الامر مهولا والجند محيطا بها حارسا لها منهم
ومن غيرهم فلما لم يجدوا الى الدخول سبيلا ضربوا فى البلاد
وصاروا ينهبون اموال الناس وتجتمع عليهم الفوغا حتى
صاروا فى جند كثيف وثقلت وطاتهم وعظم شرهم فجهز
لهم الاب الشيخ جيشا لنظر الملك دَلْدَن الذى اسلفنا ذكره
وهو ابن عمة السلطان محمد فضل فخرج اليهم واوقع بهم
وانهزمت الفوغا الملتفة عليهم وقتل منهم كثير وظفر باولاد
السلاطين وجيئ بهم الى الاب مصفدين فارسلهم الاب الى
السجن فى جبل مرّة وسكنت الفتنة وتمهدت الامور ثم
امر السلطان بالقراءة وطلب العلم لصغر سنه وعدم خبرته
بالامور فثقل ذلك عليه ولم يجد بدا من الامتثال فكابد مشقة
التعليم نحو سنتين وقتل الشيخ محمد كرا فى تلك المدة بعض
الملوك لفتنة وقعت منهم ورمى بعضهم فى السجون وكلهم
من أُسرة السلطان وعصابته وولى مناصبهم لجماعته فثقل
ذلك على ارباب الدولة وخافوا شره فاغروا السلطان على
قتله او سجنه فوقع بينهما الحرب وقتل كما قدمنا ذلك كله
والله اعلم المقصد وفيه ثلاثة ابواب الباب

الاول في صفة دارفور واهلها وعوائدهم وعوائد
ملوكهم واسماء مناصبهم ومراتبهم وفيه خمسة
فصول الفصل الاول في صفة دارفور اما دارفور
فهو الاقليم الثالث من ممالك السودان وذلك ان للقادم من
المشرق الى بلاد السودان اول مملكة واقليم يعرض مملكة سنّار
ثم كُرْدُفَال ثم دار الفور فظهر انها الاقليم الثالث وبحسب
ذلك اقليم وَدَّاىْ هو الرابع والبَاقِرْمَهْ الخامس وبَرْنُو السادس
وأَدِقِزْ السابع ونُفَهْ الثامن ودار تُنْبُكْتُو التاسع ودار مَلّا
او مَلّى العاشر وهي قاعدة مَلِك الفُلّان وهم الفَلّاتا كما ذكرنا واما
الذى ياتى من المغرب فانه يعدّ ملّا الاول وتنبكتو الثاني ونُفَه
الثالث وهكذا واعلم ان القُدَماء يطلقون على بعض اهل السودان
اسم التكْرُور ويعنون به اهل مملكة بَرْنُو لكن الآن قد عمّ هذا
الاسم على ممالك متعددة اولها دار وَدَّاىْ او وَدّاى المعروفة
ايضا بدار صَلَيح واخرها بَرْنُو فيدخل في ذلك بَاقِرْمَهْ وكَتَكُو
ومَنْدَرَهْ فيقال لاهل كل منهم تَكْرُور حتى انه صار عرفا بينهم
ولقد لقيتُ منذ ايام رجلا من اهل السودان فسالتُه من
اين انت فقال من التكْرُور بل اظنه قال تَكْرُورِى فقلت من اى

من

من التكاريرفقال من باقرمه لكن لم يخبرني الا بعد مشقة ظنا
منه اني لا اعرف تلك الجهة فلما اخبرني وسالته عن بعض مواضع
منها تعجب تعجبا عظيما والآن القول وحدّ الفور من جهة الشرق
اقصى الطويشة ومن الغرب اخر دار المساليط يعني مملكة المساليط
واخر دار قمر واول دار تامه وهو الخلا الكائن بين دار صليح وبينها
ومن الجنوب الخلا الكاين بينها وبين دار فرتيت ومن الشمال
المزروب وهو اول بئر يعرض لمن يتوجه لها من الديار المصرية
وتتبعها عدة ممالك صغيرة ففي الشمال مملكة الزغاوة وهي
مملكة واسعة وبها خلق لا يحصون كثرةً ولهم سلطان وحدهم
ولكنه بالنسبة الى سلطان الفور اشبه بقائد من قواده ومن
جهة الشمال ايضا مملكة الميدوب والبرتي وهما مملكتان كبيرتان
الان اهل الثانية اكثر من اهل الاولى ومع كثرتهم اكثر انقياداً
لسلطان الفور من الميدوب وفي خلال دار فور مملكة البرقد
ومملكة برقو والتنجور وميمه الان مملكة البرقد والتنجور في
الوسط ومملكة البرقو والميمه من جهة الشرق ومملكة الداجو
والبيقو من الجهة الجنوبية وكذا مملكة فراوجية ولكل من هذه
الممالك حاكم يسمى سلطانا لكن يوليه عليهم سلطان الفور وكلهم

على نسق واحد في الهيئة والملبوس الا ملك التنجور فانه يلبس
عمامة سودا وسالته عن سبب سواد عمامته فاخبرني ان
اصل مملكة دارفور لاجداده وتغلب عليها سلطان الفور فلبس
العمامة السودا اشعار بحزنه على فقد مملكته وقد احاط بجانبها
الشرقي والجنوبي كثير من عرب البادية كالمسيرية الحُمْر والرزيقات
والفُلّان وكل قبيلة من هذه القبايل لا تحصى كثرةً وهم اهل بقر
وخيل واثاث واكثرهم اهل ثروة لا يالفون الحاضرة بل يتبعون
الكلأ اينما كان ويلحق بهم القبيلة المسماة ببني حِلْبة لانهم اهل
بقر ايضا لكنهم يتوغلون في دارفور ويزرعون واما اهل الابل
منهم الفزارة وهم المحاميد والمجانين وبنو عمران وبنو جرار
والمسيرية الزُرْق وغيرهم وعلى كل من هذه القبايل ضريبة ياخذها
السلطان من اموالهم في كل سنة لكن في ذلك تفاوت اما المسيرية
الحُمْر والرزيقات لقوتهم وتوغلهم في الخلا فلا يعطون للسلطان
الا قبيح اموالهم ولا يقدر العامل ان ياخذ من كرائمها الا برضاهم
وان تاقت نفسه الى ذلك طُرِد وربما قتل ولا يقدر السلطان
لهم على شيء ولقد بلغني ان الرزيقات عصوا امر السلطان تيراب
وجهز لهم جيشا فكسروه فخرج اليهم بنفسه ففروا امامه ودخلوا

في

في البرجوب بمواشيهم فتبعهم فقتلوا منه خلقا كثيرا ولم يملك
شيا والبرجوب موضع يسافر فيه المسافر عشرة ايام يقطعه وهو
طين لين مغطى بماء يبلغ نحو عانة الرجل ومن لين طينته تسوخ
فيه قوائم الدواب ومع ذلك فهو ذو شجر شايك وهذا الموضع لا
ينقطع عنه المطر الا شهرين في السنة في فصل الشتا ثم ان طول
اقليم دار فور من اول بلاد الزغاوة الى دار رونكه نحو ستين يوما
بل ان اعتبر الملحقات بها كدار رونكه وفنقرو ودار بندله وبيكه
وشالا كانت اكثر من سبعين يوما هذا كله بحسب تعريف اهل
البلد لكن الذي اظنه انها لا تصل لذلك بل نهاية مساحته تبلغ
نحو من خمسين يوما او اقل وان عدت ممالك الفرتيت الخمسة المذكورة
وهي في ذلك الزمن الملحقات المعاهدة لسلطان دار الفور ويؤدون
له الخراج في كل سنة فاذا دخلت دار الزغاوه من جهة المزروب
متوجها على خط مستقيم الى كوبيه تمكث نحو ستة ايام ومن كوبيه
الى تندلتي الذي هو الفاشر يومان ومن الفاشر الى جديد كريو
يومان ومنه الى الريل يومان فهذه اثنا عشر يوما ومن الريل الى
جديد راس الفيل اربعة ايام ومنه الى تلدوا ثلاثة ايام او اربعة
ومنها الى تبلدية ثمانية وتبلدية على الحدود الشرقية للفور ومنها

130

يدخل الانسان في بلد الداجو والبيقو فيمشي فيها نحو من ثمانية
ايام ايضا فهذه اربعة وثلاثون يوما ثم اذا خرجت منها الى جهة
الشرق تجد خلاءً مشحونا باعراب البادية كالمسيرية الحمر والحبانية
والرزيقات عالم لا يحصيهم الا خالقهم وان ملت الى جهة الغرب دخلت
في دار أبَادِيمَا فتقطعها في نحو عشرة ايام ثم تدخل في خلاء تمشي فيه
يومين وتدخل الى دار رَوُنكَة ومسافتها نحو ثلاثة ايام ودار فَنْقَرو
مثلها او اقل منها بشيء يسير ومنها خلاء يمشي فيه الانسان نحو
يومين ومنه يدخل في دار بيكَة وشالا ومسافتهما يومان فظهر
لك بما ذكرناه ان طول دارفور بملحقاتها لا تبلغ نحو خمسين يومًا
وهذه الملحقات هي البلاد الجنوبية التي بعد دار الفَرَاوُجَيه لان
الفراوجيه اخره حدود ممالك الفوراوية الحقيقية وما يسمون اهل
الفور بالسَعيد المساحة الممتدة من رِيل لاخر دار الفور من جهة
الجنوب ودار أبَادِيمَا هو دار تمُوْرْكَة واباديما اسم منصب كما
سنذكره معناه الجناح الايمن للسلطان والحاكم المسمى بهذا الاسم
يحكم على دار تمُورْكَه فسمي لذلك دار تموركه بدار اباديما ويقابله
التكُنْيَاوِي الذي هو ايضا اسم منصب معناه الجناح الايسر
للسلطان ويحكم التكنياوي على اثنى عشر مَلِك ايضا وهو حاكم الزغاوة

اذا كانت مساحتها نحو عشرة
ايام لان اباديما يحكم على اثنى عشر
ملكا كل ملك له ايالة مستقلة

وما

وما يليها الجهة الشرق ولذلك ايضا سمي دار الزغاوة بدار التكنياوي
وان قلت من حيث ان باديما والتكنياوي متعادلين لم كان
طول دار باديما عشرة ايام وطول دار التكنياوي خمسة ايام قلت
دار التكنياوي اعرض من دار باديما لان دار باديما عرضها نحو خمسة
ايام وشي يسير وعرض دار التكنياوي نحو سبعة ايام فانقص
من طولها جُبِر بزيادة عرضها ثم اعلم ان دارفور منظمة تنظيما
على وجه محكم لاننا ذكرنا ان جبل مَرّة يشقها وان نصفها من
جبل مرة الى جهة الشرق سَهْل وعرض جبل مرة بقطع النظر عن
ارتفاع الجبال نحو يومين ووراه من جهة الغرب سهل ايضا لكن
من جهة الشمال الزغاوة والبِرْتي وهما قبيلتان عظيمتان فالبرتي
من جهة الشرق والزغاوة من جهة الغرب وفي وسطها من
جنوب جديد كُرْيُو يسكنها التنجور والبِرْقِدْ وهما قبيلتان
عظيمتان وهكذا الى جديد راس الفيل وازيد بل الى تبلدية وان
كان بينهما بلاد وقبائل صِغار ثم من هناك الى الخلاء من جهة
الجنوب والشرق وجهة دار باديما يسكنه الداجو والبِيقُو
فالداجو من جهة الغرب والبيقو من جهة المشرق وشرقي
جديد كُرْيُو يسكنه البَرْقُو والمِيمَة وهما قبيلتان عظيمتان ثم ان

جبل مرة لا يسكنه الا اعجام الفور واعجام الفور ثلاثة قبائل احدها
كُنْجَارَة وهي تسكن من قرلي الى بعد الجبيل الصغير المسمى مرة بالخصوص
وهو مرة حقيقة وبعده بقليل الحد دار اباديما تسكنه الفور المسمون
كُرَاكِرِيت واما الفور الساكنون بدار اباديما فيسمون تمُورْكَهْ وبعد
دار اباديما دار رُوكَه ودار فراوُجِيّه لكن رُكَه من جهة المغرب وفراوجيه
من جهة المشرق ودار فَنْقَرو بعد دار فراوجيه وبعد دار رُوكَه
دار سِلاَ لكن تميل الى المغرب اكثر ولهذا يحكمها اهل الوَادَاى
واعلم ان جبل مرة ليس جبلا واحدا كله بل هو عدة جبال كبار
وصغار وقبل الدخول في دار اباديما ينقطع الجبل وتبقى ارض
سهلة يسكنها الفُلاّن حتى انهم يقربون من المَسَالِيط من
جهة المغرب ويليهم بنو حِلْبَة والمَسِيرِيَّة الزُرق وجميع ما
ذكرناه غير البدو الحافّين بها من شمالها وشرقها وجنوبها
وغير المولدين من القبائل والفور يسمونهم الدَارَاوِيَّة اي المنسوبين
للدار فانهم في الوسط لا يُعتبَرون بقبيلة وان اردت ان
ابين لك كيفية دار الفور ووضع منازل هذه القبائل والاعراب
المحتفّين بها فها انا ارسم لك ما هو على هيئة الجدْوَل تقريبا
للفهم وهو هذا فنفرض ان هذه الجهة هي جـــــهة

الجنوب


الجنوب
دار قلا
دار شالا
دار بيكة
دار بندله
دار فراوجية
دار سلا
دار روكة
بني جبانية
بيقو
داجو
بني حلبة بقارة
جديد راس الفيل
شعيرية
ريل
ابو الجدول
تموركه او دار ابا ديما
فلات اى فلاتا
مسيرية زرق
كربات
جبل حريز
مربوطة
وادي الكوع
فرش
جبل قريو
جديد السيل
تندلتي الفاشر
جبل كسا
كوبيه
برتي
كربات
قرلي
كبكابية
سرف الدجاج
بلاد كثيرة وعمارة
دار زغاوه
تكنياوي
الغرب
الشرق
دار تاما
بديات
عرب محاميد
عرب زيادية
عرب عريقات
بئر زغاوي
الشمال

البلاد التي في دارفور مقسومة على اكابر الدولة فكل منهم له فيها
على قدر منصبه وحاله فاوسعهم دار أَبَادِيما والتكَنْيَاوِي لان
كلا منهما تحت يده اثنا عشر مَلِكا لكل ملك منهم عمل مستقل
ويسمون ذلك الملك شَرْتَاي فاباديما يحكم على التَامُورْكَه
والتكنياوي يحكم على دار الزَغَاوَهْ والبَرْتِي وماولاهما وأَبَاوُمَاوِسَاي
الكَامْنَهْ يحكم على اربعة ملوك من السَالِيط وفُورَكْ أَبَا يحكم على
اربعة ملوك من الكَرَاكِرِيتْ والأُرُنْدُلُنْ وهو وجه السلطان
يحكم على اربعة ملوك من بلاد البِرْقِد والاب الشيخ يحكم على
اربعة ملوك ايضا وَوَرَّنْك ابا يحكم على مَلِكين وهذه البلاد غير بلاد
الامنآء والاشراف والفقهآء العظام والقضاة وليس للسلطان
بلاد خالصة له الا بيوت ابائه واجداده مثل قِرْلِي ورِيلْ وتَنْدَلْتِي
وغيرها ومحل حكم الاب الشيخ من ابى الجُدُول الى الجنوب حتى ياخذ
ايضا قطعة عظيمة من بلاد البِرْقِد والامنآء يحكمون على جهة مَرَّة
واما السلاطين الصغار فان كل سلطان منهم يحكم على بلاد جماعته
كالبَرْقَو والمِيمَة والتُنْجُور والدَاجُو والبِيقُو والزَغَاوَهْ وهولآء
السلاطين لهم اقطاع يتعيشون منها وان كانت المملكة لها
حاكم غيره فمثلا سلطان زَغَاوَه حاكم على جماعته مع انه فى دار

التكنياوى

التكنياوي لكن له اقطاع من زمن اجداده لا يتعرض لها التكنياوي
وبقية البلاد ياخذ التكنياوي خيراتها وهكذا لغيره من السلاطين
الصغار وبقية الاقاليم غير الستة المذكورة حكامها ملوك واما
عرض دارفور فانه من الخلا الكائن بينه وبين دار صَليح اي دار
وادائ الى اخر الطُويشَة اي لاول الخلا الكائن بينه وبين كُرْدُفَال
نحو ثمانية عشر يوما وهذا الاقليم نصفه سهل ارض مرملة قليلا
الاخرة من الشرق فانه كثير من الرمل ولذلك يسمى بالقوز
واما اراضي جبل مرّة فهي طين اسود وهو جبل يشق دار الفور
من اولها الى اخرها حتى قيل انه متصل بالمُقَطَّم المطل على القاهرة
لكنه ليس قطعة واحدة بل هو متقطع من عدة اماكن وله طرق
عديدة وفي هذا الجبل امم وعالم لا يحصى كثرةً وفيهم القبيلة المعروفة
بالكُنْجَارَة التي ينسب اليها سلطان دارفور وفي هذا الجبل
كهوف عديدة تحبس فيها اولاد الملوك واخرون لحبس الوزرآء
وفيه من الخيرات شي كثير وذلك ان فيه من البقر والغنم ما لا
يوجد في غيره من الاماكن ومن العجيب ان جميع مواشيهم
ترعى وحدها بدون راع ولا يخشون عليها سارقا ولا سبعا ولا
ذئبا ولقد استاذنت السلطان محمد فضل سلمه الله في التوجه

الى جبل مرة للفرجة فتوقفوا اولاً فى الاذن خوفا علىّ من غائلة اهل
الجبل ثم اذن لى وعيّن معى خُدّاما وكتب لى فرمانا الى جميع عمال
الجبل يقول فيه من حضرة السلطان الاعظم والخاقان
المكرم سلطان العرب والعجم الواثق بعناية الملك العدل الصبور
السلطان محمد فضل المنصور الى جميع سلوك جبل مرة اما بعد
فان السيد الشريف محمد التونسى بن الشريف العلامة السيد
عمر التونسى التمس منا اذنا فى ان يرى الجبل وما فيه ويختبر ظاهره
وخافيه وقد اذناه بذلك فلا يُمنع من محل يريد النظر اليه وأُمِرُ
كلّ ملك نزل به ان يكرمه ويعظم ملقاه وقد اصحبته بفلقناويين
من خواص فَلَاقِنَتِى ليكونا واسطة بينكم وبينه وتبليغ الكلام
ونيل المرام والسلام فتوجهتُ صحبة الفَلْقَنَاوِيَّيْنِ وعبدَيْنِ
لى ورجل من اهل البلدة التى انا فيها فسافرنا يومين وفى اليوم
الثالث اتينا اطراف الجبل فنزلنا فى بلد يقال لها نُمْلَيَه ولها رئيس
يقال له الفقيه نمر وله ولد يقال له الفقيه محمد واخر يقال له سليمان
فنزلنا فى بيت رئيس البلدة وحضر هو واولاده واستقبلونا بصدر
رحب فاخبرناهم بمقصدنا واظهرنا لهم امر السلطان فاهتموا
حينئذ بشانى واعظموا ضيافتى فبتنا ليلتنا تلك ومن الغد

توجهوا بى الى سوق نُمْلَيه وهو سوق يعمر فى كل يوم اثنين يحضره
جميع اهل الجبل رجالا ونساءً يقضون مصالحهم فرايتُ اناسا
شديدين السواد حمر الاعين والاسنان وحين راونى اجتمعوا
علىّ متعجبين من احمرار لونى واتوا الى افواجا لانهم لم
يقع لهم روية عربى قبل ذلك وارادوا قتلى على سبيل الاستهزاء
وكنت اذ ذاك لا اعرف من لغة الفور شيا فما راعنى الا انى رايت
من معى من الناس اختطفوا سلاحهم وجردوه فى وجوه القوم وحالوا
بينى وبين القوم فسالتُ عن السبب فقالوا لى انهم يريدون
الفتك بك فقلت لماذا فقالوا لقلة عقولهم لانهم يقولون ان
هذا لم ينضج فى بطن امه وبعضهم يقول لو نزلَتْ عليه ذبابة
لاخْرجت دَمه فقال احدهم اصبروا وانا اطعنه بحربة وانظر ما
مقدار ينزل منه من الدم وحين سمعنا منهم ذلك خفنا عليك
واحطنا بك ثم ان الجماعة اخرجونى من السوق فتبعنى خلق
كثيرون فطردوهم عنى بكل جهد ثم ذهبوا بى الى واد هناك فرايت
فيه نخيلا واشجار موز وبعض اشجار من الليمون ورايت قد زرع
فى ذلك الوادى من البصل والثوم والفلفل الاحمر وهو قرون
صغيرة رفيعة اكبر من حب الشعير بقليل والكمون والكُسْبَرَة

والحلبة والقثاء والقرع شي كثير وكان ذلك في ايام الخريف وقد
احمر البلح فقطعوا لي عرجونين من البلح احمر واصفر واهدوا لي
بُخْنُسَة عسل لم ار نظيره حسنا وطعما ولذة وبتنا في اكرم
ضيافة والذ عيش ولما اصبح الصباح طلبتُ التفرج فاخذوني
ودخلنا الاودية فصرنا نقطع واد بعد واد وبين كل واديين
اقل من ميل مسافة وفي كل واد زرع عجيب وماء يتدفق على رمل
كالفضة وقد احاط الشجر به سياجا من حافتيه يتمنى الناظر ان
لا يفارقه فجلسنا على شاطئ الوادي في ظل شجرة هناك وذبح
لنا كبش سمين وحُنِذ فاكلنا منه ارادتنا ثم ذهبنا لبلد تحت
الجبل فبتنا فيها في اكرم ضيافة ولما اصبحنا صعدنا الجبل فمكثنا
صاعدين نحو ثلاث ساعات حتى علوناه فراينا فيه امما كثيرة
وبلادا متفرقة فادخلونا على شيخ الجبل وكان ح يسمى ابابكر وهو
جالس في خلوته فلما دخلنا عليه وجدناه رجلا مسنا قد ناهز
الستين واثر فيه الكبر فسلمنا عليه فرحب بنا واجلسنا
لطيفة هذا الجبل لا يرتفع عنه السحاب في السنة الا اياما قلائل
ولكثرة المطر يزرعون القمح وينبت عندهم قمح لا يوجد نظيره الا
في بلاد المغرب او في بلاد اوروبا لانه حسن جدا وبقية دارفور

لا

لاينبت عندهم قمح لعدم الارض الصالحة ولعدم الامطار الاما
قل كارض كُوبَيْه وكَبْكَابِيَّة فانه يزرع فيها القمح ويسقى بماء الابار
حتى يتم نضجه ولزيارة الشيخ المذكور يوم معلوم من السنة
تذهب اليه الناس من كل جانب ويقول لهم ما يحصل في جميع
العام من قحط ومطر وحرب وسِلْم ورخاء وشدة ومرض وصحة
والناس يعتقدون حقيقة ذلك فاختلف اهل دارفور في ذلك
فمن قائل انه من طريق الكشف وان كل من تولى شيخا يكون وليا
وما يقوله للناس من طريق الكشف وهذا قول اهل العلم ومن قائل
ان الجان يخبره بجميع ما يحصل وهو يقول للناس وكلا القولين لا
اعرف صحتهما بل قد تُقُوِّلَت عنه امور كثيرة وحصل عندها اهم
فابرزنا فرمان السلطان وقراه عليه الفقيه محمد فرجب واكرم
ودعى لنا بطعام ثم ضرب طبلا يقال له التَنْبَل فجاء اناس كثيرون
فانتخب من شبابهم نحو مائة نفر وأَرأس عليهم رجلا من ذوى قرابته
يعرف بالشجاعة يقال له الفقيه زيد وامره ان يكون معي هو والجماعة
وان يكونوا على اهبة وحذر من جهال اهل الجبل ثم ركبنا وتوجهنا
الى مكان هناك فيه جبل صغير وهو المسمى مَرَّة وسمي الجبل كله
باسم ذلك المحل فراينا فيه مكانا اشبه بمعبد جميع اهل الجبل

يعتقدون تعظيمه ويرون ان حرمته كحرمة المساجد فدخلنا فيه
وقد اظلته شجرة كبيرة بحيث صار لا تراه الشمس فجلسنا فيه
قليلا ورأينا فيه خدَّاما لتنظيفه واستقبال النذور ممن ياتي
بها ثم انتقلنا من ذلك المكان ومشى العسكر امامنا فلحق بنا
عالم كثير نسآء ورجالا وجعلوني عجوبة وتكالبوا وازدحموا علىّ
واراد العسكر تفرقهم فما امكن ذلك حتى قال بعضهم ان
السلطان ارسل لاهل الجبل رجلا لم ينضج في بطن امه ضيافة
لهم فقال بعضهم هو ادمي وقال اخرون هو ليس بادمي بل هو
حيوان ماكول اللحم على هيئة الادمي لانهم ينكرون ان يكون للادمي
لون ابيض او احمر وهولآء القوم لا يعرفون من اللغة العربية الا
كلمتي الشهادة ويقولونها مقطعتين مع العجمة القبيحة ولما
عجز من معي من الدفع عني جائني الفقيه زيد وامرني ان استر وجهي
بلثام لا يظهر منه الا الحدقتان فتلثمت واحتاط بي العسكر
وحين رأى السودان اني تلثمت اختلط عليهم الامر وسالوا اين
الاحمر قالوا ذهب الى السلطان فانكفوا قليلا وحينئذ توجهنا الى
محل الحبس اي الكهوف التي فيها المحبوسون من اولاد الملوك
والوزراء فمنعنا الحرس من الوصول اليها وكاد ان يقع بينهم وبين

جماعتنا

جاءتنا شرفتلافي الفقيه زيد الامر واخذ مني الفرمان وذهب
الى رئيس الحرس وقراه عليه وعند ذلك امتثل وقال ان كان ولا
بد فليات المامور له بالتفرج وحده وجميع من معه يجلس على
بُعد حتى يقضي شانه ويرجع اليهم فجائني واخبرني بذلك فابيت
ذلك وادركني خوف عظيم فنائيت عن الدخول الى الكهوف وطلبت
الرجوع فرجعنا ومن غرائب عوائدهم ان الرجل لا يتزوج المرأة
حتى يصاحبها مدةً وتحمل منه مرة اومرتين وح يقال انها ولود
فيقعد عليها ويعاشرها ومن عوائدهم ايضا ان النساء لا
يحجبن عن الرجال حتى ان الرجل يدخل داره فيجد امراته مختلية مع
اخر فلا يكترث ولا يغتم الا اذا وجده عليها ومن طبيعتهم
الجفاء وسوء الخُلق خصوصا اذا كانوا سكارى ومن طبيعتهم
ايضا البخل الزائد لا يُقرون ضيفا الا اذا كان من ذوي قرابتهم
اولهم به علقة اوكان انسانا يخافون منه ومن عوائدهم ان
الصبيان والبنات الصغار لا يستترون الا بعد البلوغ فيلبس
الصبي قميصا وتشد الانثى وسطها بمئزر ويبقى ما زاد عن
السرة الى وجهها بارزا ومن عاداتهم عدم الترفه والتفنن في
الماكل بل كلما وجدوه اكلوه لا يانفون طعاما ما كان اونتنا بل

ربما احبوا اكل الطعام المر واللحم النتن واستحسنوه عن غيره
ومن عادتهم ان الشباب لهم في كل بلدة رئيس وكذلك النسا
لهن رئيسة فرئيس الرجال يسمى الوُرْنَاك ورئيس النساء تسمى
المَيْرَم فاذا كان في الافراح والاعياد والمواسم يجمع الرئيس اصحابه
ويجلس بهم في محل وتاتي الرئيسة وصواحبتها فيجلسن امامهم
على حدة فينفرد الوُرْنَاك ويدنو من المَيْرَم ويخاطبها بكلام يعرفه
هو وهي فتامر المَيْرَم جماعتها ان يتفرقن على جماعة الوُرْنَاك
فياخذ كل فتى فتاة ويذهبان الى محل ينامان فيه الى الصباح ولا
عار في ذلك على احدى منهن وليعلم ان الرجال في دار فور لايستقلون
بامر البتة الا الحرب فليس للنساء دخل فيه وما سوى ذلك فهم
والنساء سواء بل اكثر الاشغال واشقها على النساء وللرجال
اختلاط عجيب بهن بالليل والنهار في جميع الاعمال ومن العجب
في اهل جبل مرة انهم لاياكلون من القمح الذي يزرعونه بل يبيعونه
ويستبدلون بثمنه دخنا واعجب من ذلك غِلظ قلوبهم
وجفاوتهم مع انهم ممتزجون بالنساء امتزاجا كليا وهذا
خلاف المشاع على السنة جميع اهل بلاد اُورُوبَّا من ان الرجال
اذا امتزجوا بالنساء تذهب غلاظة قلوبهم ويكتسبون

الرقة

الرقة وحسن الطبع ومن غلاظة طبعهم ان الرجل يسافر الفراسخ
العديدة راجلا ويكون معه حمار فيسوقه امامه ولا يركبه وان
سئل يقول إنْ ركبتُه ابطأَ وأما لغتهم فهي لغة فيها حاس
الفاظها تشبه الفاظ اللغة التركية لانهم اذا دعوا انسانا يقولون
له كَلّا والترك يقولون كَلّ وقولي تشبه اللغة التركية ليس
معناه انهما متقاربتي المعنى بل وجه الشبه في مجرد الالفاظ
وان اختلف موضوع معنى كل منهما وذلك ان الفور يقولون
للفرس يا مُوْرْتا وعند الترك هو اسم للبيض والقبيح عند الفور
اسمه كِتّي وعند الترك فعل ماض بمعنى ذهب ولم اسمع
لغة انقص من لغتهم لان العدد بلغتهم ينتهي الى ستة ويُكمل
بالعربي فيقولون دِيكْ واحد أَوْ اثنان إِيسْ ثلاثة أُوْكَّرْ اربعة
أُوسْ خمسة أُوصَانْدِيكْ ستة ثم يقولون بالعربي سبعة ثمانية
تسعة ثم يقولون وُأَيَّهْ وهو لفظ يدل على عشر الاعداد **لطيفة**
من اعجب ما سمعته بجبل مرة ان الجن ترعى مواشيهم التي ترعى
في الكلأ بدون راع معهم ولقد اخبرني عدة رجال ممن يظن
صدقها ان الانسان اذا مر بمواشيهم وراى ان لا راع لها ربما
طمع فاخذ منها شاة او بقرة او غير ذلك فان ذبحها تلتصق يده

بالسكين على منحرها ويعجز عن فكاكها حتى تاتى ارباب الماشية
فيقبضون عليه ويغرمونه ثمنها باغلا قيمة بعد اهانتهم له وضربهم
اياه الضرب المولم ولقد تكرر علىّ سماع ذلك حتى بلغ مبلغ التواتر
مع انى لا اصدقه وحين كنت فى جبل مرة توجهت الى دار رجل
منهم فى تُمُلَيْه اسال عنه فما رايت فى داره احدا لكن سمعت داخل
الدار صوتا غليظا مرعبا اقشعرّ منه جلدى يقول لى أكَّا يعنى
انه ليس هنا وفى ذلك الوقت اردت ان اتقدم واسال اين ذهب
فمر بى انسان وجذبنى وقال ارجعْ فان الذى يخاطبك غير ادمى
فقلت وما هو فقال هذا الحارس الجنى لان لكل انسان منا حارسا
من الجن ويسمى بلغة الفور دَامْزُوقَهْ فخفت ورجعتُ من حيث
اتيت ولما رجعت من هذه السفرة وتوجهت الى الفاشر
اجتمعت مع الشريف احمد بدوى الذى اخذنى من مصر وذهب
بى الى دار فور فاخبرتُه القصة فقال صَدَق واسمعنى اعجب من
ذلك وقال لى يا ولدى اعلم انى كنت فى اول امرى اسمع ان
الدَمَازِيقْ تباع وتشترى ومن اراد منها دَمْزُوقًا يذهب الى
من يعلم ان عنده دمازيق فيشترى منه واحدا بما يرضيه ثم
ياتى بقرعة فيها لبن ويدفعها الى رب المنزل فياخذها ويدخل

الى

الى المحل الذى هن فيه فيسلم عليهن ويعلق القرعة التى فيها
اللبن فى علاقة فى البيت ثم يقول لهن ان صاحبى فلانا عنده
مال كثير وخائف عليه من السرقة واراد منى حارسا فهل احدى
منكن تذهب الى داره لان عنده لبنا كثيرا وخيرا غزيرا وقد اتى
بهذه القرعة مملوءة لبنا فيتمنعن اولا ويقلن لا احد يذهب
معه فيتحنن لهن ويتملق حتى يرضين فيقول من اراد الذهاب
منكن فلينزل فى القرعة ويبعد عنهن قليلا وحين يسمع صوت
وقوعه فى اللبن يغطى القرعة بطبق من سعف وياخذها من علاقتها
مغطاة ويدفعها لصاحبه المشترى فياخذها ويذهب بها
الى داره ويعلقها فى بيته ويوكل بالقرعة جارية او امراة تاتى كل يوم
على الصباح وتاخذ القرعة وتريق ما فيها من اللبن ويغسلها جيدا
ثم تضع فيها لبنا اخر محلوبا فى ساعته وتعلقها وحينئذ يامن الانسان
على ماله من السرقة والضياع وكنت اكذب ذلك حتى كثر مالى
وصارت العبيد والخدم يسرقونه فاحتلت على منع السرقة
بكل حيلة فلم يمكننى ذلك وشكوت لبعض اصحابى فامرنى ان
اشترى دمزوقة وانى اكفى شر السرقة فحدانى حب المال ان
توجهت الى رجل سمعت ان عنده دمازيق وقلت له اعطنى

دمزوقة تحرس لي مالي واعطيته ما طلبه فقال لي اذهب واملا
قرعة من لبن حليب وهاتها ففعلتُ واتيته بالقرعة مملوءة لبنا
فاخذها وذهب وبعد ساعة جائني والقرعة مغطّاة وقال لي
علقها حيث مالك مخزون وعرفني ماينبغي ان يفعل كل يوم من
غسل الانية وتجديد اللبن ففعلتُ ذلك ووكلتُ جارية بذلك
وامنت على مالي حتى اني كنت اترك بيت مالي مفتوحا ولا يقدر احد
على الوصول اليه وفيه من العين والامتعة شي كثير وكل من رام اخذ
شي بغير اذني تُكسر رقبته فقتل لي عدة عبيد وعشتُ امنا على
مالي مدة حتى كبر لي ولد كان اسمه محمد فلما شب واحتلم تعلقتْ
اماله بالبنات واراد يهاديهن ببعض خرز وحلي فترقب غفلتي يوما
واخذ المفاتيح وفتح خزينة الامتعة واراد ان يدخل فكسر الدمزوقة
رقبته ومات في الحال وكنت احبه حبا شديدا فلما أُخبرتُ بموته
جزعت عليه جزعا عظيما وسالت عن سبب ذلك وأُخبرتُ انه
اراد ان ياخذ شيا من الامتعة فقتله الدمزوقة فحلفت يمينا
ان الدمزوقة لا تجلس في بيتي واردتُ اخراجه فاعجزني وشكوت
لبعض احبابي فاشار عليّ ان اصنع وليمة واجمع فيها اناسا كثيرينَ
يكون مع كل واحد منهم بندقية وبارود وياتون كلهم دفعة واحدة

يطلقون

يطلقون البنادق ويصيحون بصوت واحد بكلام الفور دَمْزُوقَهْ
أَيْنِيَهْ ومعناه اين الشيطان ويكررون الطلق ويرفعون اصواتهم
بذلك حتى يدخلون الى المحل الذى فيه المال فربما خاف وهرب منه
ففعلت ذلك ففر ولله الحمد وخلصتُ من معاشرة الدمازيق
اى الشياطين ولقد اخبرني عدة رجال ان النقاقير التى في بيت
السلطان فيها واحدة تسمى منصورة متملكها الشياطين
وانها ربما ضربت بغير ضارب فاذا وقع ذلك يحدث في دار فور امر
عظيم اما حرب عدولهم او حرب بينهم وسياتى لهذا مزيد توضيح
حين نتكلم على عوائد الملوك واما عوايد القبايل الاخر كالبرقى
والداجو والبيقو والزغاوه والبرقو والميمة وغيرهم فان بعضها
يقرب من عوايد اهل الجبل وبعضها يخالفها اما المخالفة فبعض
هذه القبايل فيه كرم ونجدة ورقة طبع وذلك لمخالطتهم
للعرب اهل البادية وللتجار الذين يذهبون من ارض مصر
وغيرها فتراهم اذا راوا ضيفا اقسموا عليهم واحسنوا
ضيافتهم وان راوا غريبا اكرموه وذلك بخلاف الفور الاعجام
كاهل جبل مرة وتمورْكَهْ فانهم لا يكرمون الضيف ولا يالفونه
ولا ينزل الضيف عندهم الا قهرا عنهم انتـــهى

الفصل الثاني في عوايد ملوك الفور اعلم ان الله سبحانه وتعالى خلق الخلايق بقدرته وميزهم بحكمته وجعل اختلاف عوايدهم واحوالهم عبرة لاولي الابصار وتذكرة لذوي الاستبصار ليعلم العاقل اذا تامل في احوال الممالك واختلاف عوايدها وطبايعها المتنوعة وفوايدها ان القادر الخالق الاكبر جلّت قدرته وعظمت ارادته انما نوّع احوال هذا العالم وخص كل قوم بمزيّة لا توجد في غيرهم ليعلم عظم قهره وحكمته كما انه اذا نظر في اختلاف السنتهم والوانهم وزيهم ومعاشهم علم انها اية كبرى كما قال تعالى ومن اياته منامكم بالليل والنهار واختلاف السنتكم والوانكم ثم ان الله جعل لكل اقليم طبيعة فمن الاقاليم الحار ومنها البارد ومنها المتوسط بين الحرارة والبرودة وذلك بحسب قرب الاقليم من خط الاستوآء وبعده عنه فسبحانه الفعال لما يريد ولو شاء لجعلهم امة واحدة ولكن بالاختلاف تظهر المزايا وتشتاق النفس الى معرفة ما لم تعرفه ولولا ذلك لما ساحت السواح وما بذلت في الاسفار الاموال والارواح واذا تقرر ذلك فنقول عادة ملوك الفور مخالفة لعوايد غيرهم من الملوك ولملكهم السلطنة التامة عليهم فاذا قتل منهم الوفا لا يسئل لما ذا وان عزل ذا منصب لا

يسئل

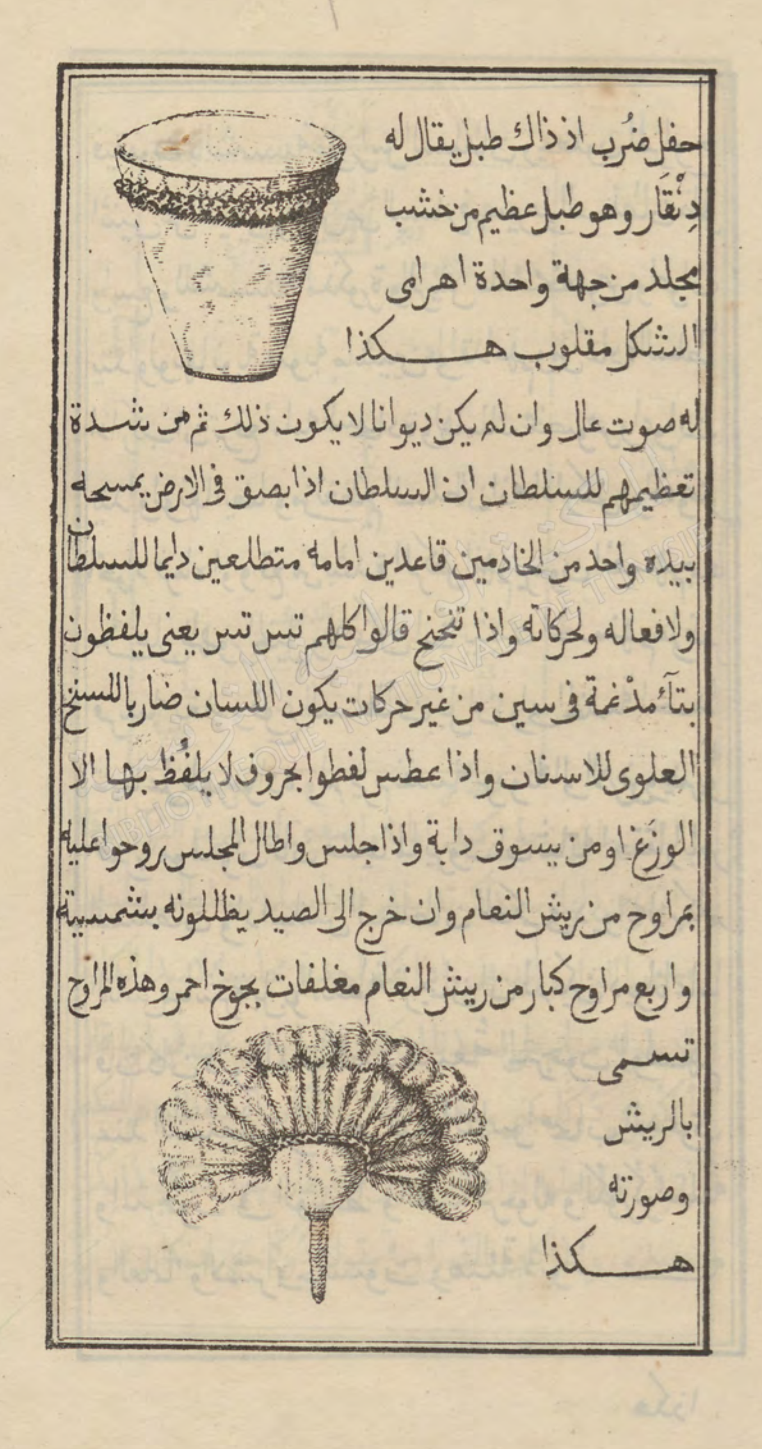
149

يسئل لماذا فهو تام التصرف فى كل امر يريده واذا امر بامر لا يراجع
فيه ولو كان منكرا الا من قبيل الشفاعة ولا ترد له كلمة لكنه
اذا فعل مالا يليق من الظلم والعسف تحصل له بغضا فى قلوبهم
ولا يقدرون له على شئ فاول عوايدهم ان الملك لا يكون الا من
بيت الملك اى من سلالتهم ولا يمكن تولية اجنبى منهم ولو شريفا
وتحقق نسبه عندهم وثانيها ان الملك اذا تولى يجلس فى بيته
سبعة ايام لا يامر ولا ينهى ولا تقوم بين يديه دعوة وكلهم على ذلك
الا السلطان عبد الرحمن فانه خرق عادتهم كما مر عند الكلام على
توليته وثالثها ان لهم عجائز تسمى الحبوبات وهن طائفة عظيمة
ولهن رئيسة تسمى
ملكة الحبوبات فعند
خروج السلطان يوم الثانى من
يجتمعن ويأتين اليه وكل واحدة
منهن بيديها اربع قطع من الحديد
تسمى القطعة منها كُرْبَاجا وصورتها اما هكذا او هكذا او هكذا
وفى كل يد كُرْبَاجان يضربنها على بعضها فيحصل منها صوت وبيد
احداهن قبضة من سعف ابيض ومعها ماء اختلفوا اهل دارفور

١٣٥

في ما تركب منه فتبل العجوز السعو من ذلك الماء وترش به على
السلطان مع قول كلام لا يعقله الاهن وياخذن السلطان
في وسطهن ويطفن به البيت ويتوجهن الى دار النحاس وهو
المحل الذي فيه النقاقير وهي طبول السلطان فيدخلن البيت
وياتين الى النقارية المسماة بالمنصورة فيقفن حلقة ويجعلنها
في الوسط والسلطان وحده معهن ويضربن الكرابيج على
بعضها ويقلن من كلامهن ثم يرجعن بالسلطان الى كرسي
مملكته وبعد جلوسه ذلك تدخل اليه الدعاوى ويتناول
الاحكام ومن عاداتهم ان السلطان لا يسلم على غيره الا بترجمان
صغيرا كان او كبيرا عظيما او حقيرا وكيفية ذلك ان اذا دخل عليه
اناس يجثون على ركبهم ثم يتقدم الترجمان ويسميهم واحدا بعد
واحد الى اخرهم وهو انه يقول إنو توْرَا فلَانْ دُوكَهْ كَنِيجِي دَارِي
ومعناه ان هنا برّا فلان سلام يعطي طاعةً فاذا تم اسماء
الجالسين قال كِيكِيِنْ دُقُلَهْ كَرِكَهْ ومعناه معهم اولاد وراهم
حتى اتباعهم وخدمهم فتقول العبيد الواقفون خلف السلطان
المسمون كُورْكُوَا وقد تقدم ذكرهم دُونْكَرَايْ دُوكَهْ دُونْكَرَايْ
دُوكَهْ ومعناه سلام سلام سلام سلام فان كان في ديوان

حفل



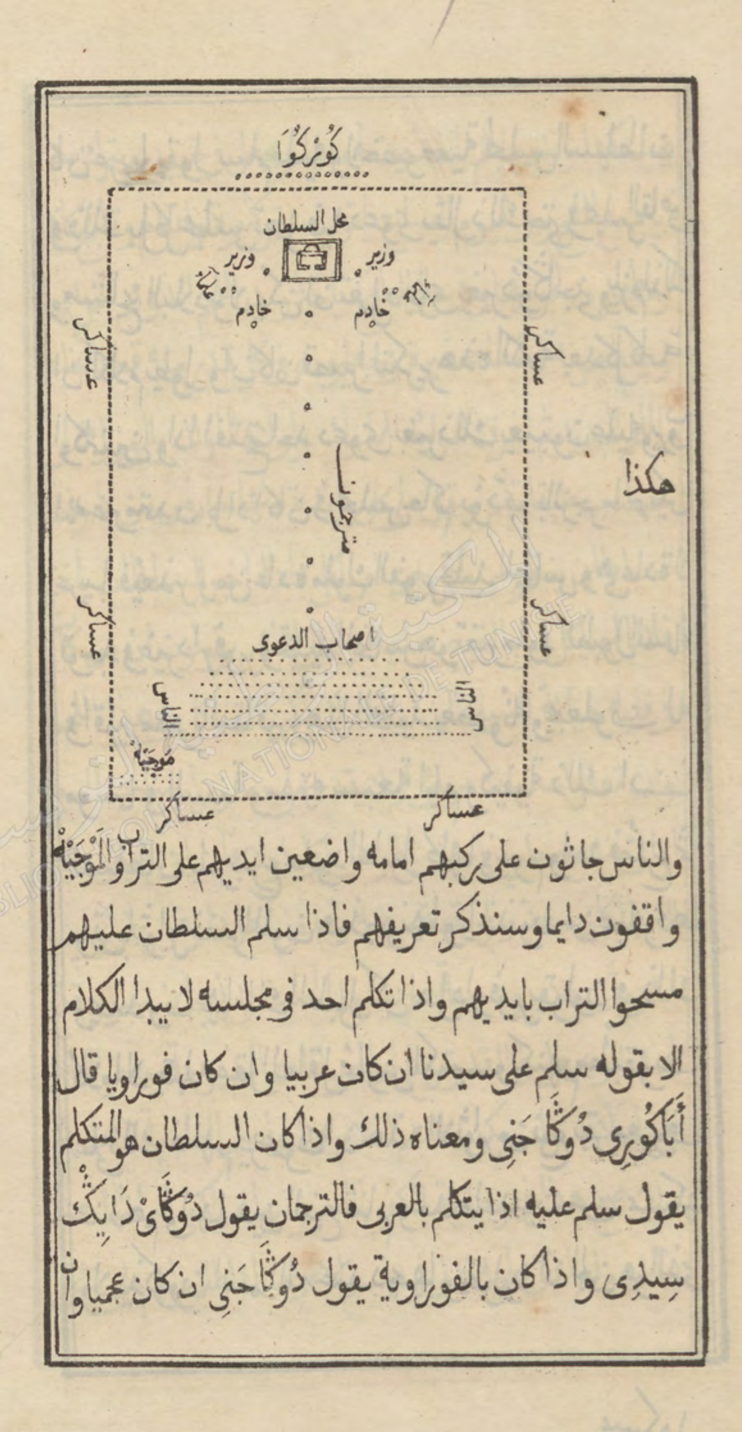
حفل ضُرب اذ ذاك طبل يقال له
دِنْقار وهو طبل عظيم من خشب
مجلد من جهة واحدة اهرامى
الشكل مقلوب هــــكذا

له صوت عال وان لم يكن ديوانا لا يكون ذلك ثم من شدة
تعظيمهم للسلطان ان السلطان اذا بصق فى الارض يمسحه
بيده واحد من الخادمين قاعدين امامه متطلعين دايما للسلطان
ولافعاله ولحركاته واذا تنحنح قالوا كلهم تس تس يعنى يلفظون
بتاءٍ مدغمة فى سين من غير حركات يكون اللسان ضاربا للسنخ
العلوى للاسنان واذا عطس لفظوا بحروف لا يلفُظ بها الا
الوزغ او من يسوق دابة واذا جلس واطال المجلس روحوا عليه
بمراوح من ريش النعام وان خرج الى الصيد يظللونه بشمسية
واربع مراوح كبار من ريش النعام مغلفات بجوخ احمر وهذه المراوح
تسمى
بالريش
وصورته
هــــكذا

فيقفون بالشمسية على راس السلطان ويجعلون المراوح
اثنين عن اليمين واثنين عن اليسار فيصير على السلطان ظل
واسع وللشمسية المذكورة والريش ملك مخصوص واعوان
يتدا ولونها نوبة فنوبة ماشيين على اقدامهم ومن عادة السلطان
اذا ركب ان ترفع امامه السجادة ولها ملك مخصوص واعوان
يتدا ولونها ايضا ومن تعظيم السلطان انه اذا ركض جواده وعثر
بالجواد فرماه او وقع من شدة الركض انهم يرمون انفسهم جميعا
من على ظهور الخيل ولا يمكن ان يثبت احدمنهم على ظهر
فرسه بعد وقوع السلطان بل ان راى الخدمة احدا
ثابتا على ظهر جواده ولم يرم نفسه يرمونه الى الارض ويضربونه
ضربا مولما وان كان عظيما لما يرون ان ثباته احتقارا بامر
السلطان واذا جلس السلطان للحكم فى ديوانه لا يكلم
الناس مباشرة بل بواسطة ترجمان ان لم يكن ديوانا عاما
فان كان ديوانا عاما كانت سبعة المترجمون اولهم
عند السلطان واخرهم عند الناس اصحاب الدعوى
والمترجمون فى الوسط والعساكر حوله والكُورْكُوا خلفه
والعلماء والاشراف جالسون وهيئة ديوانه

هكذا

هكذا



والناس جاثون على ركبهم امامه واضعين ايديهم على التراب والمَوْجَيْه واقفون دايما وسنذكر تعريفهم فاذا سلم السلطان عليهم مسحوا التراب بايديهم واذا تكلم احد في مجلسه لا يبدا الكلام الا بقوله سلم على سيدنا ان كان عربيا وان كان فوراويا قال أَباكُورِي دُوكَّا جنِي ومعناه ذلك واذا كان السلطان هو المتكلم يقول سلم عليه اذا يتكلم بالعربي فالترجمان يقول دُوكَّايْ دَايِكْ سِيدِي واذا كان بالفوراوية يقول دُوكَّا جنِي ان كان عجميا وان

كان عربيا يقول سلم عليه ولاخصوصية لمجلس السلطان
في ذلك بل كل مجلس تعمل فيه دعوى يقال ذلك حتى في مجلس القاضي
ومشايخ البلاد ولا يمكن ان تعمل دعوى بغير دُوكَاجني ويلزم لذلك
ان الكلام يطول وان كان قصيرا لتكرير هذه الكلمة بعد كل كلمة
اوكلمتين واذا افتتح احد دعوى بغير ذلك يعيبون عليه ويرون
انه غير متمدن بل اذا كان في مجلس حاكم يؤدّب بالزجر ما لم يكن
غريبا فيُعذر ومن عادة ملوك الفور تجليد النحاس وهي عادة لا
توجد في غير دارفور وتجليد النحاس هو تغير جلود الطبول المسماة
في اقليم مصر بالنقاقير وهذا التجليد يعظمونه ويجعلون له
موسما في السنة ومدته سبعة ايام وكيفية ذلك ان
السلطان يامر بنزع جلود الطبول كلها في يوم واحد فتُنزع ثم
يوتى باثوار خضر اللون فيذبحونها وياخذون من جلودها
ويجلدون بها تلك الطبول لكن اهل دارفور يقولون في ذلك
كلاما لا يقبله عقل العاقل مُمارس للكتب ولكنهم مطْبقون
على ذلك فانهم يزعمون ان هذه الاثوار من نوع بقر معروف
عندهم وانها حين الذبح تنام وحدها بدون من يمسكها
ولا يذكرون اسم الله عند ذبحها ويقولون ان الجن هو الذى

يمسكها

يمسكها ويبيمها ثم ياخذون لحومها ويجعل في خوابي ويترك ستة
ايام مع الملح وفي اليوم السابع ياتون ببقر كثيرة واغنام وتذبح كلها
ويطبخون لحومها وفي حال الطبخ ياخذون اللحم الذي في الخوابي
ويقطعونه قطعا صغيرة ويجعلون في كل قدر منه قطعا تخلط
باللحم الجديد ثم تفرق الموائد للملوك واولاد الملوك والوزراء على
حسب طبقاتهم ويقف على كل مائدة منها حارس من طرف
السلطان ينظر من ياكل ومن لم ياكل فاذا اخبر السلطان بان
فلانا لم ياكل امر بالقبض عليه في الحال لانهم يقولون ان من كان
في قلبه خيانة للسلطان او غدر لا يمكن ان ياكل من هذا اللحم
وان تعلل احد بانه مريض او لا يقدر على حضور ارسلت اليه
اواني منه مع حارس امين ينظر هل ياكل او لا فان ابى يقبض عليه
الا اذا كان معذورا بقوة مرضه وبعض اهل دارفور يقولون
انه يوتى بغلام وصبية لم يبلغا الحنث ويذبحان سرا ويقطع
لحمهما ويجعل في القدور مع لحم الحيوانات المذبوحة وبعض الناس
يقول لا بد وان يكون اسم الغلام محمدا واسم الصبية فاطمة
وان صح هذا فهو غاية الكفر بالله ورسوله ولكني لم اشاهد
ذلك ولم اقف عليه لاني غريب والاغراب لا اطلاع لهم على مثل

هذا الامر ابدا لكنى سمعته من الناس كثيرين يحلفون لى بايمان
مغلظة ان هذا الكلام صحيح لا ريب فيه وقبل اخراج الطعام تحضر
العساكر كلها ويقفون فى بطحاء واسعة امام دار السلطان ثم
يخرج السلطان عليهم فى زينته وأُبَّهتِه فتعرض عليه الجيوش كل
ملك باتباعه واحد بعد واحد وكيفية العرض ان الملك ياخذ
اتباعه ويركض حتى يصل الى محل السلطان فان كان من العظماء
برز السلطان من جماعته الى ملاقاته مقدار خطوتين او ثلاثة وان
كان غير عظيم ثبت السلطان فى موضعه فيرجع الملك جماعته
ويفعل ذلك ثلاث مرات وفى الثالثة يعرضون على السلطان
ثم يرجعون الى محل وقوفهم فيخرج ملك اخر بجيشه ويفعل كذلك
وهلُمَّ جَرًّا فاذا تم العرض خرج السلطان راكضا وتتبع الملوك
وذهب اولا الى اعظمهم ثم الى مثله والى اقل منه فهكذا حتى يمر
عليهم اجمعين جبرا لخاطرهم وكلما اتى قوما صاحوا فى وجهه بكلام
يعظمونه به وهو انهم يقولون له بصوت عال برنس حر السلاطين
جنزير الملوك اداب العاصى فرتاك الجبال بلا ديوان وغير ذلك
فاذا تم العرض دخل السلطان داره ودخل وراءه جميع ارباب
المناصب من الوزراء والملوك واولاد السلاطين فيدخل السلطان

الدار

الى دار النحاس وياخذ قضيبا ويضرب به النقارية المسماة
منصورة ثلاث ضربات والعجايز
الى الحبوبات محدقات به بايديهن
الكرابيج يضربنها على بعضها كما
تقدم ثم يمشين زوجا زوجا هكذا
والسلطان بين الزوج الاخير حتى
يدخلن بالسلطان الى محل جلوسه
وانا شاهدت ذلك ثم تفرق

حبوبات ٤
حبوبات ٤
٥ السلطان
كوركوا ١
كوركوا

الاطعمة كما ذكرنا واذا كان بعض
القواد او الوزراء غائبا عن الفاشر في وقت تجليد النحاس ثم جاء
بعد ذلك واتهم بغدر او خيانة يُسقى من مآء كيلي وهو مآء ينقع
فيه ثمر شجرة مسماة بكيلي وثمره كالجوز تقول اهل دارفور ان
المتهوم بشيء اذا شرب منه ان كان بريئا يتقاياه في الحال وان
لم يكن بريئا يشرب منه حتى يمتلأ بطنه ولا يتقايا حتى انه ربما شرب
ملء خابية انا شاهدت لكن في تُهْمة سرقة ولعل هذا من خواص
النباتات لان النبات في دارفور له خواص عجيبة سنذكرها بعد
ان شا الله تعالى ومن عادة الفوران السلطان له مزرعة معلومة

يزرعها لنفسه فى كل سنة وفى يوم بذر الحب فيها بعد الامطار
يخرج فى مهرجان عظيم ويخرج معه من البنات الجميلات المتجملات
بالحلى والحلا ما ينوف عن مائة صبية من محاظية الخاصة حاملات
على رووسهن انية فيها المآكل الفاخرة وهذه الاوانى تسمى
بالعُمَار مفردها عُمْرَة فيمشين ورآء جواد السلطان صحبة العبيد
الصغار الحاملين للحراب المسميين كوركوا واصحاب الصفافير وهؤلاء
يغنون بغنآء حال تصفيرهم وكوركوا الحاملون للحراب يغنون معهم
فحين تخرج البنات مع السلطان تغنين معهم ايضا فيبقى لجموعهم صوت
جميل جدا وحين ما يصل السلطان الى المزرعة ينزل عن جواده وياخذ
البذر ويأتى احد عبيده يحفر الارض بمسحاة معه ويرمى السلطان
البذر وهو اول بذر يقع فى الارض فى الجهة التى فيها السلطان
فعند ذلك تتبعه الملوك والوزرآء والقواد فيبذرون الحب
ويزرعون المزرعة فى اسرع وقت وبعد تمام زرع المزرعة يحضر
الطعام المحمول على رووس البنات المذكورة فيوضع امام السلطان
فياكل منه هو ووزرآؤه ثم يركب فى مهرجانه حتى يصل الى دار ملكه
وهذا اليوم من الايام المشهورة فى دارفور

الفصل الثالث فى مناصب ملوك فى الفور

ومــلابسهم

وملابسهم وكيفية مجلس السلطان
وغير ذلك اعلم ان واجب الوجود تقدست ذاته
عن المعين لمّا كان منفردا بالقدرة المطلقة والارادة التامة المتصرفة
احوج الملوك الى الوزرآء والمدبرين والمُعِينين ليعلم عجزهم عن
الاستقلال في تدبير ممالكهم ومصالحهم ولولا ذلك الاحتياج
لطغوا وبغوا اكثر مما هم فيه من الطغيان بل ربما ادّعوا الالوهية
التي لا تليق الا بذاته العلية لكن خص كل اقليم بترتيب وتنظيم
فلهذا تجد اسماء مناصب الوزرآء الخلفا كانت مغايرة لاسماء
مناصب وزرآء الملوك الآن واسمآء مناصب وزرآء ملوك هذا
الزمن متخالفة ايضا ففي مملكة آل عثمان اسماء المناصب
الوزير الاعظم والكَتْخُدا والخازندار والسلاح دار والمُهُردار والديوت
دار وخوجه دار وسر بوابين وقابجي باشي وغير ذلك من تتونجي
باشي وشربتجي باشي وقهوجي باشي وقفطان اغاسي وبشكير اغاسي
وباشات وامرآء الالوية وامرآء الالايات واما اهل دارفور فانهم
لتعظيمهم للسلطان لم ينتبهوا الا الى جسم السلطان فسموا
المناصب باسماء اعضائه فاول مناصبهم أُورُنْدُولُكْ وهو
منصب عظيم القدر صاحبه يكنّى براس السلطان ولهذا

خوجه

المنصب اقطاع عظيمة وبلاد وصاحبه لا يسلم عليه الابدُوكَارًا
دوكًا وترفع السجادة امامه كالسلطان وصاحب هذا المنصب
اذا كان السلطان مسافرا او قانصا وظيفته ان يمشي بعساكره
امام الجيش كله لا يسبقه احد وثانيها منصب الكَامْنَه وهو
في العظم والجلالة اعلا من أُرُونْدُولُوكْ ويكنّى عنه برقبة السلطان
لكن من عادة الفور ان السلطان اذا قتل في الحرب وسلِم
الكامْنَه حتى رجع الى محل الامْن يقتلونه لكن يخنقونه سرًا ويولّون
غيره للسلطان المتولي واذا مات السلطان على فراشه لا يقتل
الكامنه وهذا الكامنه يسمى بلغة اعجام الفور ابا فوري ومعناه
ابو الفور ولصاحب هذا المنصب اقطاع جليلة وعساكر
كثيرة ويفعل مثلما يفعل السلطان ووظيفته ان يمشي خلف
جيش أُرُونْدُولُوكْ وثالثها أَبَا أُومَاكْ وهو قرين الكامنه في كل
شيء وهو كناية عن فقرات ظهر السلطان ووظيفته ان يمشي
خلف الجيوش بجيش لا يعقبه احد وان اعقب الجيش عدوٌ فيه
كفاية لدفعه والذب عن الجيش حتى يُدرَك ويُمَدّ بالجيوش
ورابعها أَبَادِيمَا وهو اعظم ممن تقدم جلالةً وأُبَّهةً وعساكرا
ويحكم على اثني عشر ملكا من ملوك الفور وله اقليم واسع يسمى

تَمُورْكَهْ

تموركه وله جميع ما للسلطان من الشارات والأُبّهة ماعدا
النحاس فان طبله دِنّقار وهو كناية عن ساعد السلطان
اليمين ووظيفته ان يمشي هو وعساكره عن يمين السلطان
وخامسها منصب التَكَنْيَاوِي وهو قرين ابا ديما في كل شي
وهو كناية عن الساعد الايسر للسلطان ويحكم على اثني عشر
ملكا ايضا من ملوك الجهة الشمالية وله اقليم واسع وسادسها
منصب الاب الشيخ وهو اعلا من جميع ما ذكر ولا فرق بينه
وبين السلطان واوامره تنفذ على جميع من ذكر وغيرهم وله
اقطاعات جليلة واقليم واسع وصاحب هذا المنصب مطلوق
السيف يقتل بغير اذن وجميع اهل المملكة تحت يده وهو كناية
عن عجيزة السلطان وقد تقدم بعض ذلك في حديث الاب الشيخ
محمد كُرّا وسابعها مناصب الأُمَنا وهي اربعة كل واحد منهم
يدعى امينا واصحاب هذه المناصب لها اقطاع وعساكر وليس
لها من شارات الملك شي وهولاء الاربعة ملازمون لمجلس
السلطان وثامنها مناصب الكُورَايَاتْ وهي مناصب جليلة
القدر الا انها اقل من مناصب الأُمَنا رتبة ومناصب الكُورَايَاتْ
اربعة ايضا وتاسعها منصب سُومِنْدُقُلَّهْ وصاحبه

عظيم القدر ذو ابهة عظيمة واقطاع واموال وافرة ويليه منصب
كُورْكُوَا واعلا من هذين منصب وَرَّيْبَايَهْ وهو منصب جليل
عظيم من عادة ملوك الفوران صاحب هذا المنصب لا يكون
الا خصيا لانه ينال منصب الابوّة بعد موت الشيخ وتقدم
لنا ان منصب الاب لا يتولاه الاخصى وصاحب هذا المنصب
يحكم على جميع الخصيان الموكلين بحريم السلطان وهو ايضا صاحب
غضب السلطان وتحت يده الحبس فكلما غضب السلطان
على انسان اعطاه له فيسجنه في سجنه وتحت يده عساكر
كثيرة ومعنى وَرَّيْبَايَهْ بالفوراوية باب الحريم وصاحب هذا
المنصب تحت امر الاب الشيخ ويليه منصب ملك وَرَّادِيَهْ
ومعناه ملك باب الرجال ولكل بيت من بيوت الملوك والوزراء
بابان احدهما للرجال والثاني للنسآء فباب الرجال يسمى وَرَّادِيَهْ
وباب النسآء يسمى وَرَّيْبَايَهْ ويليهما منصب ملك العَبِيدِيَّة
وهو منصب جليل القدر صاحبه يحكم على جميع عبيد السلطان
الخارجين عن داره الذين في البلاد بنسائهم واولادهم وكذلك
تحت يده مواشي السلطان وآلات السفر من خيم وقِرَب
وغير ذلك ويليه منصب ملك القَوَّارِين اى الكّاسين وهو

منصب

منصب جليل صاحبه يحكم على جميع المكاسين وجميع الجلابة
وله اقطاع وعساكر عظيمة واعلا منه منصب ملك الجبّابين
وصاحبه في ابهة عظيمة ومُلْك كبير وهو ملك الجبايين اى الذين
يجبون الغلال من البلاد ومعنى الجِبَاية انهم ياخذون عشر ما
يخرج من الحبوب ويجعلونها في مطامير لاحتياج السلطان
وبعد ذلك ملوك كثيرة فحكّام الاقاليم عندهم يسمون الشَرَاتِى
واحده شَرْتَاى وحكام القبايل يسمون دَمَالِجْ واحده دُمْلُج
ولكل من الشَرَاتِى عساكر كثيرة ولكل من الدَمَالِج اعوان وهولاء
خلاف السلاطين الصغار الذين ذكرناهم سابقا ثم اعلم ان
جميع من ذكر من ارباب المناصب لا يعطيهم السلطان
راتبا ولا مرتّب لهم عنده بل كل ذى منصب له اقطاع ياخذ
منها اموالا وما ياخذه من الاموال يشترى به خيلا وسلاحا
ودروعا ولبوسا ويفرقها في العساكر وكيفية ما ياخذه هو
ان زكاة الحبوب كلها للسلطان كزكاة الماشية فلا ينالون
منهما شيا وانما لكل ملك منهم افدنة كثيرة يزرعها دُخْنًا وذُرة
وسمسما وفولا وقطنا تزرعها الرعايا وتحصدها وتدرسها
له قهرا عليهم وله الهامل وهو الضال من رقيق وبقر وغنم

وحمير يبيعونها له وياخذ ثمنها وله التقادم وهي الهدايا التي
يقدّمونها له حين التولية والقدوم على البلاد وله الخطية وهي
في عرفهم اموال يدفعها الجاني للحاكم ويسمى عندهم بالحُكم اذا
شج انسان اخر يوخذ من الشاجّ مال ويدفع للحاكم واذا أَحبل
رجل امراةً في الحرام يوخذ من كل منهما مال على قدر حاليهما ايضا
وله الدم وهو في عرفهم اذا قُتِل قتيل ووُدِي يشارك الحاكم
اقارب القتيل في الدية سواء كانت دية العمْد او دية الخطاء
وذلك خلاف المظالم التي ياخذونها بغير حق وخلاف الاعمال
الشاقة التي يكلفونهم بها لانهم يبنون لهم بيوتهم ويسخّرونهم
في جميع اعمالهم ومن مناصب الفور مِلك المَوْجَبهْ وانما
اخرناه لطول الكلام عليه وغرابته وغرابة المنصب وغرابة
افعال اهله وهو عندهم ادنى المناصب واقلها رتبة لكن
الكلام عليه يحتاج الى تمهيد وهو ان صاحب الحكمة الأَزلية
والسلطنة الابدية واهب العقل ومانح الفضل وهب لكل
انسان عقلا يميز به الخير ليتبعه من المكروه ليحذره واودع
في كل انسان حب راى نفسه وعقله بحيث يرى ان عقله اتم
من عقل غيره ورايه احسن من راى غيره الا من بصّره الله بعيوبه

وعلمه

وعلمه عجز نفسه عن تدبير جلب مصالحها ودفع مضارها
واذا تقرر ذلك فنقول من طبيعة بلاد الفور الميل الى اللهو والاستهزا
واللعب والطرب يستفزهم ادنى مطرب فتراهم لا تخلو اوقاتهم
عن مطرب ملوكا كانوا او سوقة ولذلك استحضروا جميع ما
يمكنهم من الات الطرب فتجد كل ملك له غلمان صغار حسان
الاصوات وهم المسمون كوركوا ومعهم صفافير يصفرون بها
صفيرا هو فى نفس الامر غناء مع حسن اصوات الصفافير
وحسن اصوات الغلمان فيسمع من جميع ذلك صوت
حسن وكيفية ذلك ان الملك ان كان عنده من الغلمان
عشرة مثلا يكون منهم ارباب الصفافير اثنين او ثلاثة والرابع
بيده قرعة جافة خاوية الباطن
مستطيلة احد طرفيها غليظ
والطرف الثانى رقيق يقبض عليه
باليد صورتها هكذا
فيجعلون فيها بعض حصباء
ويقبضها الغلام بشرط ان
يكون فمها منسدا بالقار ويهزها فيسمع للحصى فيها

صوت يوفق على اصوات الصفافير والستة الباقون يغنون
وربما اخرج السلطان بعض جواريه مزينات حاملات لاوانى
من الاطعمة للسلطان ماشيات خلفه صحبة الغلمان
فيغنين مع الغلمان والصفافير
وربما زادوا معهما طبلا من خشب
مستطيل كالطبلة المسماة فى
عرف مصر بالدَرَابُكَّة ويسمى عندهم
تِكْجَلْ وصورته هكذا
وله علاقة كما فى الصورة فيُدخل
الضارب يده من العلاقة ويضع
العلاقة على كتفه ويصير الطبل تحت ابطه ويضرب عليه بكلتا
يديه نقرات محكمة على صوت الصفافير وما يغنونه يكون
بلسان الفور ولهم معلمون يعلمونهم التصفير والغناء والضرب
على الطبل المذكور والمشاة الذين يمشون امامه وبين يديه يغنون
غناءً وحدهم وكيفية ذلك انهم يكونوا كراديس كراديس يغنى
من كل كردوس واحد والباقى يرد عليه بصوت عال ولذلك اذا
ركب السلطان تضرب الطبول وتغنى جميع الناس مشاة وركبانا

فيسمع

فيسمع لذلك ضجة عظيمة مع اصوات الصفافير وغناء الغلمان
يخشى الانسان على سمعه منه لقوته وهذه الصفافير تسمى
طير الصعيد وذلك ان ببلاد صعيد هم طيور لها اصوات حسان
فاخترعوا هذه الصفافير على شكل اصواتها وينضم لتلك الاصوات
اصوات الموجيه وهذا اللفظ في لغة الفور يطلق على الواحد والجمع
وهم طايفة عظيمة لها ملك مخصوص وهو في عرف الفور كالخلبوص
او المسخرة في عرف اهل مصر او كالسوتري في عرف الترك لكن
الموجيه يخالف ما ذكر لانه يتولى قتل من يامر السلطان بقتله
وصفة الموجيه ان يلبس على راسه عصابة فيها صفيحة من
حديد مستديرة الشكل مع التجويف وفي العصابة المذكورة
قطعة من حديد ايضا كالمسمار معلقة بخيط محررة على التجويف
الذي في الصفيحة بحيث اذا هز راسه تضرب التجويف المذكور
ويسمع لها رنة عليه واعلا
منهما في العصابة ريشة او
ريشتان من ريش النعام
وصورتها هـــــكذا
وعلى الطرطور ودع وخرز معلق

ايضا وفي رجله اليمنى خلخالان من الحديد وفي اليسرى خلخال
واحد وتحت ابطه جراب صغير مستطيل
اذا حل عصابته وطرطوره يضعهما فيه
وبيده عصى معوج اعلاها هكذا
معلق فيه جلاجل فيقف بين يدى السلطان
من الموجيه اثنان او ثلاثة ان كان
السلطان في ديوانه وان كان في
سفر او قنص مشى امامه اربعة او خمسة وكل منهم يغني ويرقص
ويقول كلاما مضحكا يضحك منه سامعه ويحاكي نباح الكلب
وصوت الهر وغناؤه بكلام الفورلا بالعربي وليس في رقصه
تكسّر بل يهز راسه يمنةً ويسرة ويضرب احدى ساقيه
بالاخرى فترن الحديدة التي في العصابة على راسه وترن الخلخال
التي في ساقيه واذا كان السلطان مسافرا او قانصا لا يغنون
بل يصيحون جميعا صيحة واحدة بقوة اصواتهم يقولون يا يا
وهكذا ما دام السلطان راكبا ولا خصوصية في ذلك
للسلطان بل كل ملك من ملوك الفور الكبار له موجيه يقف
امامه في ديوانه ويمشي قدامه في سفره والموجيه لا يخشون

باس

باس السلطان ولاغضبه ولهم جراءة عظيمة على السلطان
فمن دونه لا يكتمون السلطان امرا بحيث انهم اذا سمعوا امرا
فظيعا يقولونه في محفله وينسبون الكلام لقائله حقيرا
كان او جليلا لا يخافون لومة لائم واذا اراد السلطان اشاعة
امر او اعلان حكم امر الموجيه ان ينادى به فينادى به الموجيه
بعد المغرب وقبل العشآء نداء يسمعه الخاص والعام ومما اتفق
ان السلطان عبد الرحمن كان يحب العلمآء ويكثر الجلوس معهم
في ليله ونهاره وقلّما يجلس مجلسا الا ومعه عالم او اثنان
فاغتاظ الوزراء منه وقالوا كيف يتركنا ويجلس مع هولاء
لكن ان مات هذا السلطان لا نولي علينا بعده رجلا يقرأ ابدا
فسمع ذلك احد الموجيه فامهلهم حتى جلس السلطان في
ديوانه وحضر اوليك الوزراء فجاء الموجيه وقال بلسان الفور
كلاما معناه نحن ما بقينا نولي علينا من يعرف القراءة والكتابة
فالتفت اليه السلطان وقال لِمَ ذلك قال لانك تترك الوزراء
وتجلس مع العلمآء فاغتاظ السلطان لذلك ونظر اليه نظرة
الغضب فخاف الموجيه ان يسطو عليه فقال ما ذنبي انا سمعت
هولاء واشار الى الوزراء يقولون ذلك فقلته فالتفت السلطان

اليهم ووبخهم على ذلك واراد القبض عليهم فاخلصوا منه الا
بجهد ومشقة قلت والجاهلون لاهل العلم اعدآء ومن
ذلك ماحكاه لي بعض الثقاة بدارفور ان السلطان تيراب السالف
الذكر صنع وليمة لامرنسيته وحين حضر الطعام تتبعه لينظر
اي الطعام احسن فجاء الى طعام صنعته إياكُرِي كِنَانَة وكشزعنه
فاعجبه فامر به للعلمآء فابت عليه وقالت الا ناعندك بهذه
المنزلة تعطي طعامي للمشايخ وطعام غيري للوزرآء والملوك فقال
انما امرتُ به للمشايخ لحسنه ولتحصل لك بركتهم فقالت دع
طعامي تاكله الوزرآء والملوك ولاحاجة لي ببركتهم فقال لا ياكله غير
العلماء فقالت لا وحياتك لا تاكله العلماء وغلبت عليه حتى
ارسله للملوك واختار من طعام غيرها للعلما وطايفة الموجيه
من افقر اهل دارفور لانهم ليس لهم حرفة الا السوال فانهم دايما
يقصدون الامرآء ويتكففون الناس وتخاف الامرآء منهم ويكرمونهم
لانهم لا يكتمون حديثا ان احسن اليهم احد اثنوا عليه واشاعوا
الذكر بكرمه وان احرمهم احد ذموه واشاعوا ذمه فهم في ذلك
كالشعرآء من اعطاهم مدحوه ومن منعهم هجوه ومن مناصب
الفور منصب اياكري وقد اسلفنا ذكره ومنصب الحبوبات وقد

ذكرناه

ذكرناه ايضا وان كان للسلطان المتولي امّ فلها منصب وان كان
جدة فلها منصب ايضا لكن هذان المنصبان ليسا مقررين
بل يطرآن عند وجودهما ولقد رايت ام السلطان محمد فضل وهي
جارية وخشنا لو بيعت في دارفور لما كانت تساوي عشرة من
الفَرَانْسَا ورايت جدته وهي عجوز وخشنا من اقبح ما يرى في عجايز
السودان وكانت ناقصة العقل ومن نقص عقلها كانت تجلس
على كرسي وتحملها الرجال على عناقهم للسفر البعيد ومعها من
العساكر خلق كثير ووشي اليها بعض الناس بان اهل دارفور
يقولون ان هذه الخادم قد طغت وبغت فحين سمعتْ ذلك
جلست في ديوانها واحضرت جميع اتباعها وقالت انا الحادم
الحادم جاب الفضة وجاب الفضة الذهب وقولها انا الحادم
بالحاء المهملة ومرادها الخادم بالمعجمة الا انها لا تقدر على النطق
بالخا المعجمة لعجمتها وهناك مناصب أُخر اعرضنا عن ذكرها
لحقارتها واما كيفية مجلس السلطان فاعلم ان بيت سلطان
الفور في وسط بلده المسماة بالفاشر والناس حوله ولهذا جعل
لبيته بابان احدهما وهو الاعظم هو المسمى وَرَّيْدَايَا معناه باب
الرجال والثاني هو المسمى وَرَّيْبَايَا ومعناه باب النسآء وفي كل منهما له

مجلس فمجلس وَرَّيذَا هو الديوان الاكبر وهو بعد ان يدخل
الداخل من الباب الاول وهذا المجلس واسع ولايجلس فيه
السلطان الا في الايام العظيمة او للاحوال المهمة وقد نذكر ان
بناء الفور كله بقصب الدخن
او المَرْهَبَيْبْ ومحل الديوان
يسمى لِقْدَابَه اورَاكُوبَهْ وصورتها
هي ان يوتى باخشاب ملسا
طويلة في اخر كل خشبة شعبتان
هكذا
فيحفرون في الارض حفرا متساوية
العمق ويجعلون الاخشاب
متساوية الطول ويجعلون
الحفر سطورا متقابلة لايختل
سطر منها عن الاخر بحيث
انها تكون هكذا .
لكن تكون كلها على نمط واحد
وخط واحد فيدخلون في كل

حفرة خشبة من الاخشاب ويجعلون شعاب كل صوّ متجهة
لجهة واحدة ويضعون عليها خشبة طويلة تسمى بَلْدَايَا اى
يضعونها بين شعاب الصوّ فاذا كمل على تلك الهيئة يأتون بفروع
رفيعة تسمى مطارق فيجمعون منها كل اربعة او خمسة سواء
ويربطونها بلحاء الشجر حتى تصير حزمة ويوصلونها بغيرها
وهكذا حتى تصير طول اللقدابة
المذكورة ويجعلون من الفروع
جملة على هذا النمط ويربطونها
كلها مربعا واحدا مستطيلا
فى وسطه مربعات فتكون
صورتها هـــكذا
ويضعونها فوق البَلْدَايَات المذكورة ثم يضعون البوص عليها
وهو مجعول حزماً ويربطونها مع الفروع باللحاء فيتكون من
ذلك سقف جميل بالنسبة لبنائهم ففى وَرِّيدَيا يكون هذا المحل
واسعا وعلى هذه الصفة عالا السقف بحيث يمر تحته الراكب على
الهجين ولا يمس السقف راسه وكان قبل ذلك دانى السقف لا يمر
تحته الا الفارس فاتفق ان حضر عند السلطان رجلان ممن اتقن

ركوب الابل وادعى كل واحد منهما انه افرس من صاحبه في ركوب
الابل وتشاجرا ثم اتفق رايهما على ان يركبا ويمرا ببعيريهما من تحت
اللقداية فتراهنا على ذلك وخرج السلطان والناس من اللقداية
وركبا وجاا راكضين فلما وصلا الى اللقداية احدهما نقز فصار على
ظهر اللقداية وترك بعيره وجرى مسرعا فصادف بعيره وهو
خارج من تحت السقف فركبه ومر سريعا لم يعقه شي والثاني
حين وصل الى اللقداية مال الى جانب بعيره ومسكه بيديه حتى
خرج من تحت اللقداية فكل منهما جاء بشيء غريب فاحسن اليهما
السلطان واعترف الناس لهما بصناعة الركوب وانهما كفرقدي
سماء وشذ بعض فادعى ان الذي ترك بعيره وجرى على ظهر
اللقداية اصنع وشذ اخرون فادعوا ان الذي مال في جنب
البعير اصنع وحكم له السلطان ومن ذلك الوقت زيد في
علو اللقداية ثم ان السلطان ان
جلس في هذا الديوان يجلس
في وسطه ولذلك بنوا له فيه
محلا عاليا لكن مركزه اعلا من
جانبيه هـــــكذا

فالمحل

فالمحل العالى المتوسط هو محل جلوس السلطان والذى اقل منه
من جهة اليمين هو محل جلوس العلماء والذى عن يساره هو محل
جلوس الاشراف والفقهاء وعظماء الناس وامامه رحبة واسعة
فاذا اراد السلطان الجلوس لديوان عام او ملاقات بعض رسل
الملوك او يوم فرح وسرور زيّن محل جلوسه بالزردخانات والمقصبات
ووضعوا فى المحل المذكور كرسيا وعليه مرتبة من الحرير فجلس السلطان
فى ابهته وجلس العلماء والفقهاء والاشراف حوله ووقف وزيراه
بين يديه وهما المسميان بالاميينين ووقف رئيس تراجمته امامه
قريبا منه ووقف التراجمة الستة امام الترجمان الاول بين كل
ترجمانين مسافة قليلة بحيث كل ترجمان يسمع من يليه سمعا
جيدا ووقف الكوركوا بالصفافير خلفه وصاحب الدِنقار معهم ووقف
عبيد السلطان واصحاب سجنه وغضبه وراء الناس وجلس الناس
الباقيون كل واحد فى المحل اللايق به ووقف ملك الموجيه قريبا
من الترجمان الاول وقد انتظم المجلس وقد رسمنا كيفيته فى باب
عوائد الفور فراجعه ان شئت واما ان جلس السلطان
فى وَرِّيبَايَا فان مجلسه يكون مختصرا وهو اشبه بمجلس سرلان
اللقدابة التى يجلس فيها صغيرة وح لا يقف امام السلطان الا

ترجمان واحد وموجيه واحد او اثنان وان كثروا فثلاثة والسلطان
قد يكون جالسا واكثر ما يكون جالسا بالليل وقد يكون راكبا
واكثر ما يكون ذلك بالنهار وان جلس ففي محل عال لكنه غير مزين
ولا فرش له الا سجادة واحدة وبازائها مخدة وقد ذكرنا سابقا
ان من العوائد ان السلطان لا يسلّم عليه الا بدُوكَّراى دُوكَّا وانه
اذا بصق مُسِح التراب الذى بصق عليه فى الحال واذا تنحنح قالوا
صوتا كصوت الوَزَغ وبيناه هناك اتم تبيين فلا فائدة فى الاعادة
هذه كيفية مجلس سلطان الفور واما كيفية مجلس سلطان
الوَادَاى فتختلف فاننا نذكر ان الوادَاى دائما يحجبون السلطان عن
اعين الناس ويشددون فى ذلك فلا يتمكن احد من رؤيتــه
جيدا ولا تجتمع عليه الملوك كما تجتمع على سلطان الفور لانهم
يرون ان عدم اجتماع الناس عليه اهيب له وانفذ لكلمته ولما
كان الامر كذلك وخيف من وقوع ظلم واجحاف رُسم ان يجلس
السلطان للمظالم فى يوم الاثنين والخميس وجعلوا الجلوسه
ذلك كيفية مخصوصة تقام فيها نواميس الملك وينزجر الظالم
وينتصف المظلوم ورتبوا له مجلسا بحيث يحصل المقصود من
غير اختلاط بالعالم وسنذكر ان بناء الوادَاى قد خالف بناء الفور

فان

فى ان الفور لا يبنون باللبن الا قليلا وان الوادى اكثر بنائهم
باللبن فجعلوا المجلس المعد لذلك عاليا ما يجلس فيه السلطان
مع بعض خواصه فى يوم الاثنين والخميس ولا تراه الناس وانما
يعرف جلوسه فيه براية يبرزونها من طاق فى المجلس الذى هو فيه
وبصوت البَرَدِيَّة فمهما برزت الراية وضربت البَرَدِيَّة وهى طبل
كالكوبة المسماة فى مصر بالدَرَبُكَّة لكن صوتها عال شديد
فيسمع الكَبَرْتُو فيبوقون بالبوقات ويضربون بالتِكْجَلْ فتسمع
الناس خصوصا وإنَّ من كانت له دعوة يترقب ذلك اليوم فيجلسون
كلهم فى الفاشر وان الكَمَاكِلَة دائما جالسون فى الفاشر لسماع
الدعاوى وان ارباب المناصب والمراتب يترقبون فى ذلك اليوم
جلوس السلطان فى الديوان فتحضر التراجمة المسمون بخَشْم
الكلام والعَقَدَة والملوك على طبقاتهم ويحضر القاضى واشراف
الناس والعلماء فيجلسون فى ظل شجر فى الفاشر يسمى ذلك الشجر
بالسَيَال فمتى اخرجت الراية من الطاق وضربت البردية دخل خشم
الكلام ورقى من سُلَّم فى داخل البيت وخرج من طاق لمصطبة
معدة لجلوسه بحيث يصير قريبا بمسمع من السلطان ووقف
هناك واصطفت العساكر وجلس القاضى والعلماء فى مراتبهم

وكذلك الاشراف والتجار وجاء من له دعوة رفعها الى السلطان وذلك بعد ان يقول خشم الكلام السلطان يسلم عليكم يا اهل الفاشر السلطان يسلم عليك يا قاضي السلطان يسلم عليكم يا علماء وهكذا كما يفعل في يوم الجمعة ولنرجع الى ما نحن بذكر الفور فنذكر نبذة في صفات تَنْدَلْتي فاشر السلطان وفي بيته وصفة كل منهما حسب الامكان فنقول وتندلتي فهي الآن قاعدة مملكة الفور واول من نزلها وخطها من الملوك السلطان عبد الرحمن سنة ١٢٠٦ من الهجرة واما صفة ارضها فرملية كاحد الاقواز يشقها واد بالعرض وهذا الوادي رجل من الوادي الاكبر المسمى الكوع ففي ايام الخريف يمتلأه ذلك الوادي ماء فلا يعبره عابر الا من محل بعيد من جهة المشرق وفي وقت نضوب المياه وذلك تارة في آخر الشتا وتارة في اول الصيف يحفرون فيه الابار ومنها تشرب اهل الفاشر كلها والسلطان لخوفه من السحر يشرب منه تارة وتارة ياتون له بماء من جديد السيل لانه قريب من تندلتي من جهة الشرق بنحو فرسخ وبناء الفور كله من قصب الدُخْن وحيطان بيوتهم الخارجية كلها بالشوك ويسمون الحائط الخارجي زريبة والحائط الداخلي صريفا والبيوت اعني المساكن كلها على هيئة قبة الخيمة

فيكون

فيكون الصريف لها كالطُرُنْك لكن البيوت اصناف في البناء بيوت
المساكين وهي مساكن عندهم تسمى بالبيوت وهي من قصب الدخن
وبيوت الامراء والملوك وهي مبنية من المَرَهَبَيْب كما سنذكر ذلك
ومنها ما يسمى سُكُتَايَة ومنها ما
يسمى تُكُلْتِي ومنها ما يسمى كُرُنْكْ فاما
السكتاية فصورتها هــــكذا
فهي كقبة الخيمة الا انها طويلة رفيعة
من اعلا وياتون ببيض النعام فيثقبونه
كل بيضة ثقبين من محورَيْهَا ويدخلون
في الثقب عودا فيجعلون في العود ثلاث بيضات او اربعا بينها كرة من فخار
احمر اما اسفل دُلُّك او اسفل ابريق من
صناعة كِيرِي وينصبونه على قمة القبة
واما التُكُلْتِي فهو بيت شكله هــكذا
من اعلا نصف كرة وقائم على دُرْزُوِيَتَيْنِ واما الكرنك فهو مثله الا انه قائم
على اربع دُرْزُوِيَات والسلطان يضع بيض النعام على سكاتيه وتكاليه وكرانكه
ويكسوا اعلاها ثيابا حمراء وبيضاء هكذا ليتميز بها عن غيره
واسفل دائرة سكتايات السلطان والاياكري والسراري وكبار الدولة

مبنى من الطين واما اعلاها فمن المرهبيب وهو عزيز الوجود وهذه
الدايرة تسمى دُرْدُرْ قطره كقطر الخيمة المعتادة واعلم ان اهل
الفاشر منقسمون الى قسمين احدها اهل وَرَّيْدَ يَا والثانى اهل
وَرَّنْبَايَا وبيت السلطان بينهما فاهل وريديا يسكنون جهة
باب الرجال المسمى بوريديا واهل وريبايا يسكنون جهة الباب
المسمى وريبايا فزريبة السلطان موضوعة على شفير الوادى فى
العلو الكائن هناك فهى شمال الوادى وليس بينها وبينه الاخطوات
قليلة وممتدة الى جهة الشمال مسافة بعيدة وباب الرجال يفتح
جهة الشمال امام الفضاء المسمى بالفاشر وهو متسع عظيم يكاد
ان يكون ثلثى دايرة ونذكر الان صفة زريبة السلطان وبيوته
اما الزريبة فهى من شوك الكِتِر والحشاب ثلاثة صفوف بين
كل صفين جذوع من خشب فيها بعض تفاريع محفور لها فى الارض
حفر عميقة والشوك من امامها وخلفها كالبنيان المرصوص
علوه اطول من قامة والجذوع بارزة منه وفى كل سنة يجدد ما
حصل فيه خلل وبين الشوك وبين المساكن مسافة
نحو اربعين خطوة ولوَرَّيْدَيَا اربعة ابواب كل باب عليه بوابون
يتناوبون حفظه والابواب ليست كالابواب المعهودة اعنى

انها

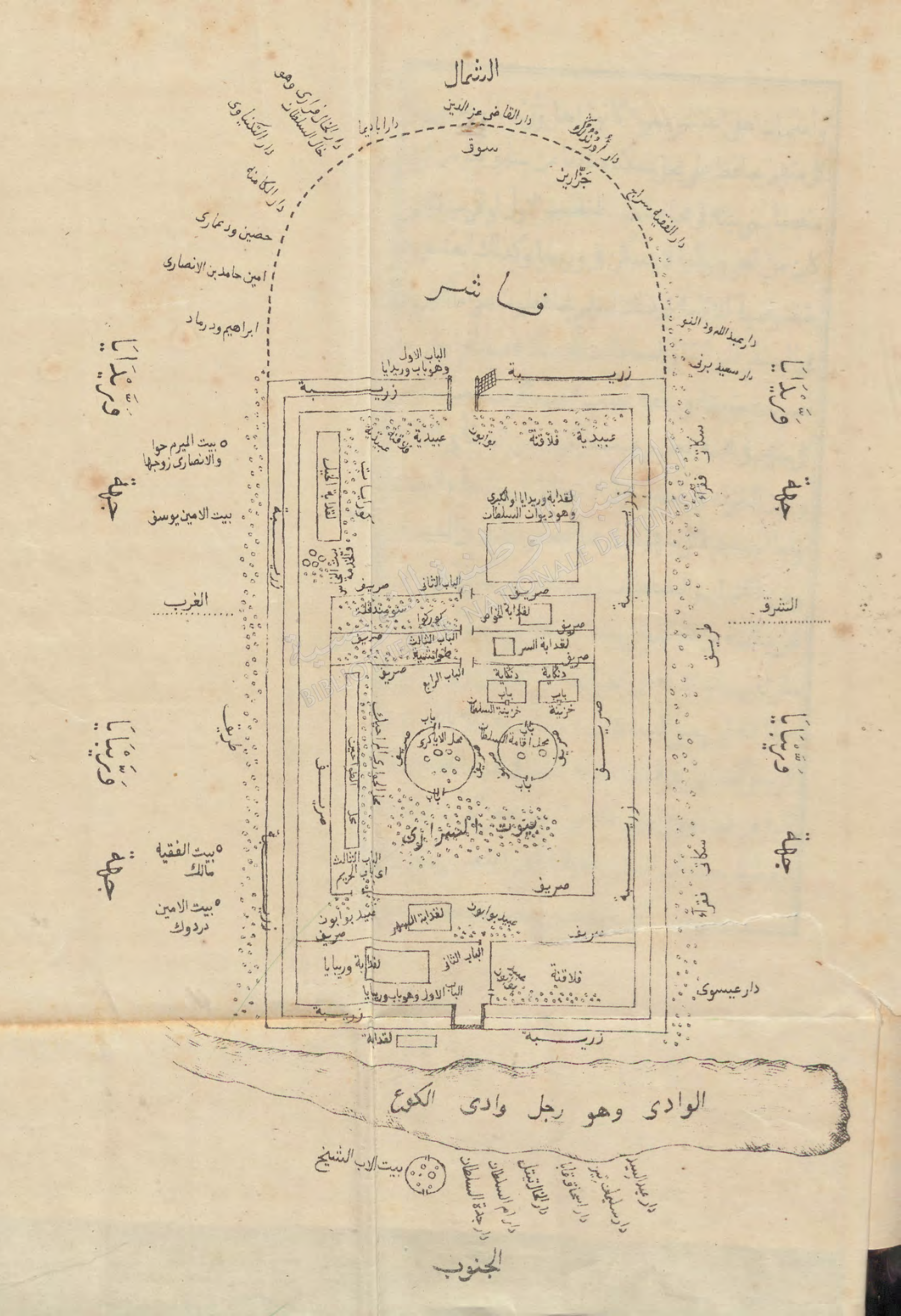
انها من الواح الخشب بل
هى اعواد مربطة بالقد النيئ
اعنى غير المدبوغ على هيئة
شباك هكذا

وقد جعل فيه سلسلة من
حديد وكل فجوة باب مجعول فى حافتها اعواد كثيرة من
خشب فتجعل السلسلة فى عود منها ويدخل فى
الحلقتين قفل كاقفال الصناديق ومسكن البوابين
قريب من الباب فاذا دخل الداخل فى وَرَّيْدَا يا من
اول باب يجد داخل الباب فضاء واسعا وفى اخره اللقدّابة
الكبرى التى هى ديوان السلطان فتكون على يسار الداخل
وقد ذكرناها سابقا ورسمنا صورتها فلا اعادة وعلى
يمين الداخل محل الكُورَايات وهم فى عرفنا سُوَّاس الخيل
والأصابل قريبة منهم وهى لقدابة طويلة قليلة العرض
مربوط فيها خيول الملك وبعد الاصابل بيت النحاس
وبيوت خدمته قريبة منه والباب الثانى لسُومِنْدُ قُلَة
والباب الثالث لكُورْكُوا والباب الرابع للطواشية وبين

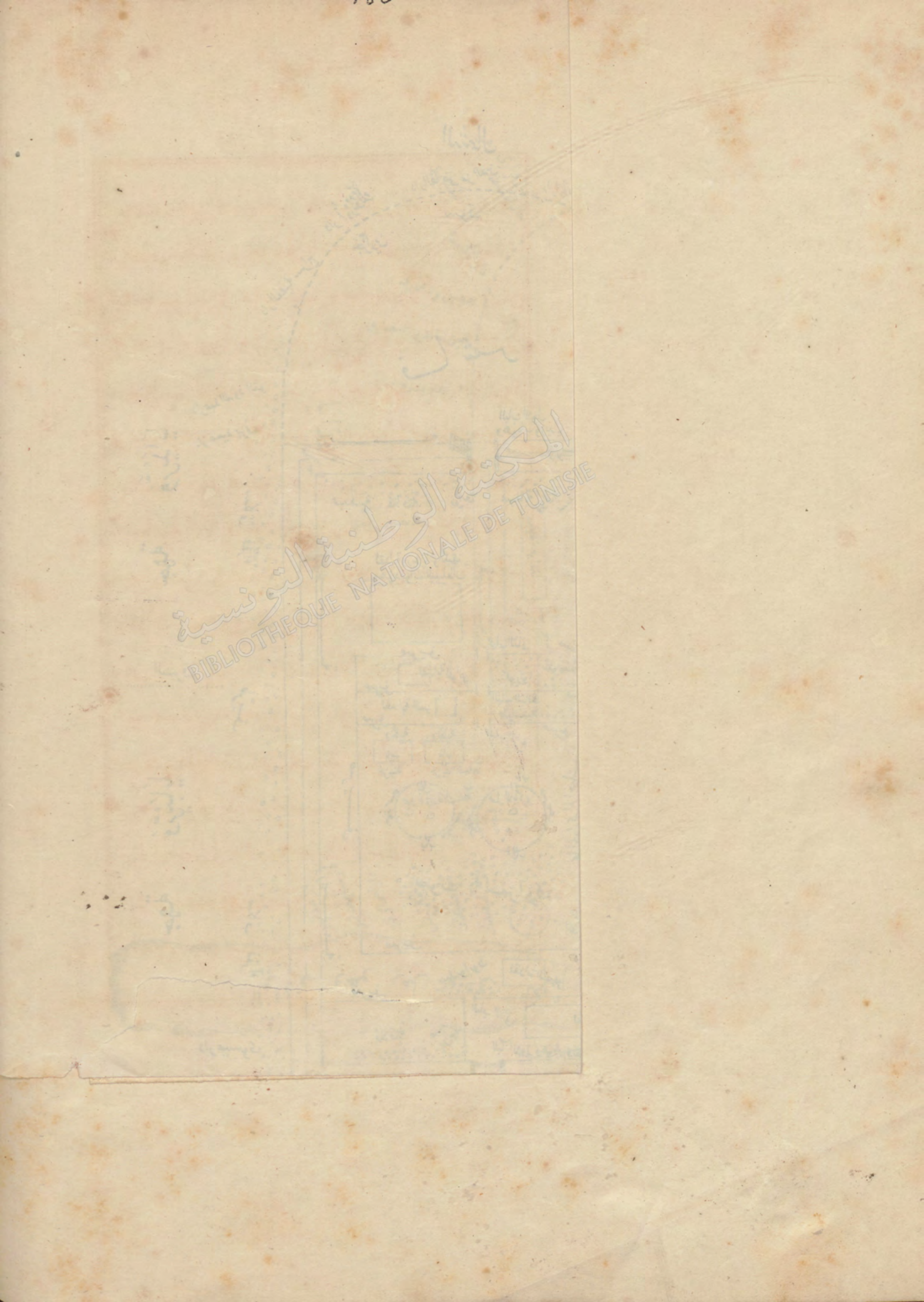
184

كل بابين فضاء وصريف حاجز وعليه مركب الباب وايضا
داخل الباب الثانى لقدابة اخرى يجلس فى هذه اللقدابة
السلطان مع خواصه وداخل الباب الثالث لقدابة
ثالثة صغيرة يجلس فيها السلطان مع خواص خواصه
وداخل الباب الرابع الحرم والجوار ومحل سكنى السلطان
كما سنبينه بالرسم ان شاء الله واما وَرَّيْبَايَا فهو
باب يدخل منه الى فضاء طوله اكثر من عرضه وفى اخره
لقدابة كبيرة تكون مثل ثلث اللقدابة الكبرى التى فى
وَرَّيْدَايَا وهذه اللقدابة عن يسار الداخل وعن يمينه
من بُعد ابنية للفَلَاقَنَة وللبوابين وداخل الباب الثانى
لقدابة اخرى اصغر منها يكون فيها السلطان بالليل
مع من يحب من خواصه وعن يسار هذه اللقدابة
الباب الثالث وهو كانه فى بركت وقد رسمنا هنا
صورة الزريبة السلطانية والبيوت كما ترى فى الصحيفة
الاتية بعد هذه لانك تعرف ما ذكرناه فى ذلك مفصلا
وتكون كانك قد شاهدت ذلك عيانا وهذه الصورة
فيها صفة دار السلطان فى الجملة

الشمال



الشمال
دار القاضي عز الدين
سوق
دار اباديما
امين حامد بن الانصاري
ابراهيم ود رماد
فاشر
دار عبد الله ود النور
الباب الاول
وهو باب وريدايا
زريبة
عبيدية
فلاقنة
بوابون
لقداية وريدايا الكبري
وهو ديوان السلطان
بيت الميرم حوا
والانصاري زوجها
بيت الامين يوسف
الغرب
الشرق
الباب الثاني
صريف
لقداية السر
الباب الثالث
الباب الرابع
دنقاية
باب
خزينة
خزينة السلطان
محل اقامة السلطان
محل الاباكري
الباب الثالث
اي باب الحريم
بيت الفقيه
مالك
بيت الامين
دردوك
الباب الثاني
الباب الاول وهو باب وريدايا
لقداية وريدايا
فلاقنة
دار عيسوى
لقداية
الوادي وهو رجل وادي الكوع
بيت الاب الشيخ
الجنوب



واعلم ان اهل الفاشر سواء كانوا اهل وَرَّنْدَايَا او اهل وربابايا
كل منهم يحافظ على محل سكناه خَلَفا عن سَلَفٍ فكل من تولى
منصبا يبني بيته في محل صاحب المنصب الاول او قريب منه فمن
كان من اهل وريدَّيا لا يسكن في وريبايا وكذلك العكس ولا
خصوصية للاقامة في ذلك لانهم يحافظون على اماكنهم ولو
في السفر فلو انتقل السلطان بعساكره مسافرا متى ما
نصبت خيمته في بقعة نصب العساكر حسب ذلك
كل منهم في محله المعلوم بحيث لا يكون بين المدينة في الاقامة
وبين المنزلة في السفر فرق الا كبر المنازل واتساع البيوت
واما الجهات فكل منهم يعرف محل البعض فكانهم في المدينة
ومن ذلك ان السلطان ياتي بالليل الى المنزلة فيعرف
محل سكناه من غير سوال وكذا اتباعه كل وزير وامير يعرف
منزله وما ذاك الا من المحافظة على المنازل وفي ذلك فوايد
منها انه لو ارسل السلطان لانسان يطلبه بالليل لا يسئل
المرسل احدا بل يعرف ان منزلة فلان في الجهة الفلانية فيذهب
اليه من غير سوال احدٍ وكذا لو ارسل بعض الوزراء او الملوك
لبعضهم حيث ان المنازل محفوظة لهم لا يتعب رسلهم بل

كل منهم يعرف منزل صاحبه وهذا من اغرب مايكون واما
زيهم فى الملابس فاعلم ان بلادهم فى الحرارة بمكان
عظيم ولشدة حرها لا يمكنهم ان يلبسوا الا الثياب الخفيفة
لكن يتفاوتون فى ذلك فالاغنياء يلبسون الثياب الرفيعة جدا
بيضاء كانت اوسودا واما الفقرآء فانهم يلبسون ثيابا خشنة
واما السلطان والوزرآء والملوك فان كل واحد منهم يلبس
ثوبين كالاقمصة رفيعين جدا إمّا مما يجلب لهم من مصر او
مما يعمل فى دارفور لكن ان كانا من البيض فانهما يكونان فى
غاية من البياض والنظافة وان كانا من السود يكونان نظيفين
ايضا ولا يتميز السلطان عن غيره فى ذلك الا بما يلبسه زيادة
على القميصين وذلك انه يضع على راسه كشميرا وهم لا يمكنهم
ذلك والسلطان يتلثم بشاش ابيض يضع على راسه منه
طيات وعلى فمه وانفه لثام منه وعلى جبينه ايضا بحيث لا
يظهر منه الا الاحداق لكن اللثام يشارك فيه أُورُونْدُلُكْ
والكامنه فانهما يتلثمان كالسلطان وكذلك السلاطين
الصغار يتلثمون ايضا لكنه يتميز بالسيوف المذهب والحجاب
المذهب وبالمظلة ان كان راكبا وبالريش وبالسروج المذهبة

والركاب

والركاب وعدة الجواد التي لايمكن سواه ان يجعلها على جواده وان
كان في محل جلوسه لايتلثم الا هو وحده ومن ذكر لا يمكنهم
ان يتلثموا بحضرته الا ان كانوا راكبين معه اوكان كل منهم
في محل حكمه وديوانه وانواع ماتلبسه اهل دارفور الاغنياء من
الملابس من المجلوب الشاش والبفت الإنجليزي والثياب الحرير
في يوم المهرجان كيوم العيد ويوم تجليد النحاس ولهم ملاحف
يتلفعون بها وهي كالملاءة التي يتلفع بها في اقليم مصر وهي إما
من الالاجة اومن الشاش لكن يكون لها هدب طويل وهذه الملحفة
يتوشح بها اوتوضع على الصدر والاكتاف واذا حضر لابسها
امام السلطان يشد بها وسطه وذلك من كمال الادب عندهم
وان كان من غير المجلوب فالكلكف وهو ثوب من قطن غزله
رفيع جدا طوله عشرون ذراعا وعرضه ذراع واحد ومتوسطهم
يلبس من المجلوب الشوتر وهو كناية عن العبك المصبوغ
ازرق ويجلب لهم بعض قماش من المغرب اي من بلاد الوداي
والبرنو والباقرمه يسمى التيكو والقداني لكنها غير عريضة
لان عرض الشقة قيراطان لاغير فيتعبون في خياطتها والتيكو
والقداني المذكورات سود لكن القداني مع انه اسود يرى في لونه

بعض حمرة فهو كلون رقاب الحمام السود ومن عجيب ما رايته
في ذلك ان لابسه اذا تنخم خرجت النخامة من صدره سودآ
وذلك ان النيلة تدخل في مسام جسمه حتى توثر في صدره
وبالجملة فالغني سلطانا كان او وزيرا او ملكا يلبس ثوبين
وسراويل وعلى راسه طربوش وباقي الناس لا يلبسون
الا ثوبا واحدا وسراويل وملحفة ان تكن وعلى راسه طاقية
بيضا او سودا واكثرهم يكون راسه عريانا واما نساؤهم
فانهن يلبسن مِئزَرًا في اوساطهن يسمى في عرفهم الفردة
ثم الابكار يلبسن فوطة صغيرة على صدورهن يقال لها الدُرَّاعَة
وهي لبنات الاغنيآء تكون من حرير او ألاجة او بفت ولبنات
الفقرآء تكون من التكَاكي ويربطن في اوساطهن الشرطة
يجعلن فيها الكَنَافِيس والكُنْفُوس عندهن عبارة عن
منسوج عرضه اربع قراريط طوله نحو من ثلاثة اذرع تاخذه
الواحدة منهن وتدخل طرفه من الامام في الشريط التي في
وسطها وتفوت الطرف الاخر بين فخذيها وتشبكه في
الشريط من الخلف وهو كالحفاظ عند نسآء المدن في ايام
الحيض الا ان الكُنْفُوس عند نسآء الفور لا يلبسنه لاجل الحيض

بل

بل يلبسنه مطلقا واذا تزوجت البكر لبست ازارا كبيرا
يسمى في عرفهم الثوب وهو عبارة عن ملاءة تلتف فيها
المرأة ثم هو على قدر مقامات الناس في الغنى والفقر فنسا
الفقراء اثوابهن من التكاكي والاغنياء من النشوتر او الكلكف
او التيكو او القداني او البفت ولا يكون من حرير ولا من
الاجة واما حلي النسا عندهم فانهن يلبسن الخزام وهو
للاغنياء من الذهب وللمتوسطين من الفضة وللفقراء من
النحاس وهو على نوعين حلقي وشوكي فالحلقي عبارة عن
حلقة فيها ثلم وهذا الثلم تجعل
فيه مرجانة وهذه صورته
والشوكي عبارة عن حلقة نصفها
غليظ ونصفها رفيع كالشوكة يجعلن فيه اربع مرجانات
بينها حبة من ذهب او ثلاث حبات احداها ذهب وراس
طرفه الغليظ كحبة مربعة الاسطحة
وصورته هكذا
ويلبسن في اذانهن اخراصا كبارا
من فضة يزن الخرص منهن نصف رطل ولئلا يضر اذانهن

يربطنه بعلاقة في روسهن تحمل ثقله عن الاذن وهو عبارة
عن حلقة واسعة احد طرفيها شوكى والاخر كالحبة المربعة
الاسطحة كالخزام ومن لم تجد خزاما ولا خرصا تسد ثقب
انفها بمرجانة او حبة خرز مستطيلة وتسد ثقب اذنيها
بقطعة من لب بوص الدخن او الذرة او قطعة من خشب
ويجعلن في اجيادهن عقودا من انواع الخرز كالمَنْصُوص وهو
عندهم عبارة عن خرز اصفر من كهربا وهو نوعان كروى
ومفرطح وتختلف افراد كل منهما في الصغر والكبر والرَّيْش وهو
عندهم عبارة عن خرز مستطيل ابيض فيه خطوط حلقية
ابيض منه وخطوط سمر وهو على انواع احسنها المسمى عندهم
بالسُوميت وكله جامد صلب كانه من رخام يجلب من
الهند وهو خرز رفيع مستطيل كثير الخطوط فيه سمرة م
والعَقِيق وهو عبارة عن خرز احمر كروى كله يتفاوت في الكبر
والصغر وهو من عقيق والمرجان وهو نوعان نوع يسمى
القَصّ وهو خرز اسطوانى مستطيل قليلا ونوع يسمى
المُدَرْدَم وهو خرز كروى ودَمْ الرَّعَاف وهو نوع خرز احمر
داكن منه ما هو اسطوانى ومنه ما هو كروى وهو من زجاج

يجلب

يجلب من بلاد اوربا والفاو وهو مرجان صناعي كروي
وطويل كله فيعملون من جميع ذلك عقودا ويلبسنها
كل منهن على قدر حالها في اليسار وعدمه فترى منهن
من يكون لها عقد واحد ومن
يكون لها اثنان هكذا
ومن يكون لها ثلاثة واغناهن
لا تزيد على اربعة عقود هكذا
ويرتبن الخرز المذكور فيها ترتيبا
حسنا بحيث يألفه النظر ويميل للابسه القلب ويضعن
على روسهن تمايم من حب نبات يسمى الشوش وهو
حب صغير احمر كالجلنار وفي جانب كل حبة منه نكتة سودا
وهذا الحب رويته مفرحة جدا وودع وفول وهذا الفول
عندهم ذو الوان منه ما هو احمر ناصع الحمرة ومنه ما هو تبني
اللون ومنه ما هو اسود ومنه عسلي فينقبن الشوش
والودع والفول وينظمن الشوش وحده تمايم لكن يجعلن
في اسفل كل تميمة اما جلجلا او ودعة ويجعلنها
عناقيد هكذا

لكن يفصلن بين كل تعريجة بخرز ازرق ويلبسن في
اوساطهن خرزا على انواع فنسآء الاغنيآء يلبسن خرزا كبيرا
مثل الجوز يسمى عندهم رُقاد الفاقه ونسآء المتوسطين
يلبسن المنجُور ونسآء الفقرآء يلبسن اما الحَرِش واما الخَدُّور
وجميع ما ذكر يعمل في الخليل من بر الشام لكن رُقاد الفاقه
املس جدا وهو ما بين اخضر وازرق واصفر ومشاهَرة
وهو خرز اسود منقط بنقط بيض والمنجور كذلك في الالوان
الا انه اصغر حجما منه وفيه خُروشة وعدم اتقان في صناعته
والحَرِش في لونهما لكنه صغير كحب السبحة مع الخروشة
الكلية وله غضون واما الخَدُّور فانه حب اسطواني وهو
اما احمر او ابيض ويلبسن في اذرعتهن عقدا يسمى المَذْرَعة في
المفصل بين الزند والساعد وهو عقد مركب من خرز اسطواني
طول الخرزة من نحو قيراطين وهو اما ابيض او اسود ويسمى
الشُّوُور فينظمن خرزة بيضا وخرزة سودا ويفصلن بين
كل خرزتين بحبة اما من المرجان الحر او من المرجان الطبخي اي
الصناعي او من حب الرَّعاف وذلك على قدر حالهن في الفقر
والغنآء ومن حليهن اللَّدَّاي وهو سلك غليظ من الفضة

نصف دايرة فى طرفيه اعوجاج كالسنّارة فيوخذ سلك رفيع من
النحاس وينظم فيه مَنصُوص ومرجان وعقيق ويربط طرفاه
فى الاعوجاج الذى كالسنارة من
الطرفين فيكون السلك الرفيع وما
هو منظوم فيه كالوتر للقوس وصورته هكذا
فيجعلن الوتر قريبا من جباههن ويشبكن السلك الغليظ
فى شعورهن ويلبسن فى اياديهن اساورا من عاج او من قرن
فاذا كانت من قرن سميت بالكيم او من نحاس وبنات الاغنيا
من الفضة والعاج معا وفى ارجلهن الخلاخيل وهى من النحاس
للجميع لكن بنات الفقرآء من النحاس الاحمر وبنات الاغنيآء من
النحاس المخلوط بالتوتيا فرارا من حمرة النحاس المعروفة الى الاصفرار
القريب للون الذهب ويجعلن من انواع الخرز الرفيع الملوّن
عصابةً على جباههن وفى اياديهن واما طيبهن فهو السُنبُل
والمحلَب وكعب الطيب وهو المسمى بعرق الفور عِرقٍ أمّ ابيض
لسبب لونه الابيض بشى اسمر واصفر وبعرف مصر عِرق
بنفسج بسبب رايحته وخشب الصندل وشئ كالمحار
الصغير يقال له الظُفر وهو اسمر الى سواد والشَيْبة والمرسين

196

وبعض الاكابر يتطيبون بالجلاد وهو جلد نوافج المسك وعندهم
ثمر شجر ذكي الرايحة يسمى الدايوق وهو حب احمر يميل الى الصفرة
يسحقنه النساء ويخلطنه بطيبهن ومن عادتهن ان يكتحلن
بالاثمد لكن لا يضعن الكحل في اعينهن بل يجعلنه على الاجفان
السفلى والعليا من الخارج فيلتصق عليها بواسطة الدهن
ويكحّلن عشاقهن كذلك. فترى الشباب والشابات كلها
متكحلة كذلك ومن عادتهم ان العاشق ياخذ من محبوبته شيا
من حليها المعروف ويلبسه افتخارا له وتذكارا لاسمها واذا
اصابه مُهِمٌّ اوعثر يقول انا اخو فلانة وهي تقول كذلك ايضا
واكثرهم لا غيرة له على عرضه فربما دخل الرجل داره فوجد امراته
مع غيره في خلوة فلا يغضب ان لم يجده على صدرها واما اذا
دخل ووجد ابنته او اخته مع اجنبيٍّ لا يسوءه ذلك بل ربما سُرّ
به وظن ان ذلك يكون سببا لزواجها ومن عادتهم
ان البنت اذا طعن ثديها يفردون لها محلا تبيت فيه
وياتيها من يحبها فيه وتبيت معه ومن ذلك يقع الحبل
باكثر بناتهم ولا عار عليهم في ذلك وولد زنا عندهم
ينسب لخاله وكذلك البنات فالبنت التي تكون من هذا

القبيل

القبيل يزوّجها خالها ويأكل من صداقها مالاً لاسيما ان كانت
جميلة وبالجملة لا يمكن في دار الفوران تمتنع النسآء عن الرجال
ولا الرجال عن النسآء بل لا يمكن الرجل ان يحرز ابنته تحت كنفه
ولو كان عظيما اما ان كان فقيرا فانه يهاب ويوذى وربما قتل ومن
ذلك ما اتفق ان رجلا كانت له ابنة وكان يغار عليها ولا يرضى
ان يكلمها اجنبي ومن شدة خوفه عليها كان يقهرها على
البيات معه في المحل الذى هو فيه وكانت من الجمال بمكان فكان
الشباب ياتون على عادتهم الى بيت ابيها فاذا حس بهم
زجرهم ولعنهم وطردهم فلما اعياهم امره احتالوا عليه واخذوا
قرعة مستطيلة قليلا تقرب من الشكل البيضى تنتهى بعُنق
وفتحوها من اعلا واخرجوا لبها وملؤُها غائطا وبولا وحركوه حتى
امتزج ببعضه وتوجهوا الى منزله ليلا ونادوه يا والدنا مُرْ
فلانة تاتِ لنتحدث معها فقام على عادته ولعن وسب وزجر
فما افاد ذلك بل قالوا له نحن لا نبرح حتى تخرجها لنا فاغتاظ
منهم وخرج قاصدا طردهم ومن عادتهم انهم كانوا اذا سمعوا انه
خارج اليهم يفرون منه لهيبته الا في تلك الليلة فانهم ثبتوا
ومسك احدهم القرعة من عنقها وكمن له حتى اخرج راسه

من باب البيت فرفع يده بقوة وضرب بها راس الرجل
بالقرعة فانكسرت على راسه وسال الخبث الذى فيها على
راسه وثيابه ووجهه فلما شم الرايحة الكريهة صاح يشتم
فقالوا له اسكت هذه الليلة فعلنا هذا معك والليلة القابلة
ان عارضتنا قتلناك فايقظ الرجل اهله وجاؤوه بماء فاغتسل
وتطيب ونام وخاف منهم فلما اصبح افرد لابنته حجرة لنومها
قهرا عنه وجرت عليها عادتهم وان كان غنيا صاحب
حشمة وابهة وعبيد وخدم يتحيلون فى الدخول الى الحريم
بالليل ولو على زى النساء ومن ذلك ما اتفق ان رجلا من اكابر
الناس له سبعة اولاد ذكورا وله بنت واحدة وكانت فريدة
حسن وقد خطبها منه اناس كثيرون فابى عليهم فحين
طال الامد على البنت تحيلت وادخلت شابا لطيفا من
الشجاعة بمكان فمكث عندها ما شاء الله ان يمكث
وافتقده اهله فلم يعرفوا له جهة فاتفق انه أُتِىَ بشراب
فشرب ولما اخذته النشوة طلب الخروج فقالت له البنت
أصبِرْ الى الليل فابى وقال لا اخرج الا الآن وغلب عليها وخرج
وكان ابوها واخوتها جالسين على باب بيتهم فاشتعروا

بالشاب الا وهو خارج فصاح ابوهم على بواب البيت اقفل
الباب فلما قفل الباب امر العبيد بالقبض عليه فاجتمعت
العبيد ليقبضوا عليه فجرح منهم اناسا وامتنع عليهم فخرج
الاولاد السبعة مجردين السلاح عليه قاصدين قتله
فناشدهم الله الا ابعدوا عنه وتركوه ان يمضي الى سبيله فابوا
وتراموا عليه ففر منهم ورماهم بالحراب فقتل واحدا منهم
فكبر عليهم ذلك ورموه بالسلاح يرومون قتله فصار
يذب عن نفسه ويرميهم حتى قتل من الاولاد ستة وجرح
السابع جرحا خفيفا فحين راى والدهم ذلك نادى يا غلام
افتح له الباب ففتح له وخرج ولم يكن به جرح ولم يعرف من هو
لانه كان متنقبا وكانت ابنته سببا في خراب بيته وقتل
اولاده ووقايع كثيرة من هذا القبيل تذهب الدماء فيها
هدرا لان البنت التي يكون هذا الامر من شانها لا تخبر
الناس باسم القاتل ولا من هو بل قصارى امرها اذا سئلت
عمن فعل هذا الفعل ان تقول لا اعلم ولا يسلم من هذا الامر
بيت فيه انثى الا اذا كانت وخشا او بها عاهة تنفر الناس عنها
وقد اجتهد السلطان عبد الرحمن في منع ذلك فلم يمكنه ذلك

حتى انه جعل في السوق خصيانا كثيرين يمنعون النسآء من
مخاطبة الرجال والاختلاط بهم فاحتالوا في ذلك حيلا عجيبة
منها ان الرجل كان يمر بالبنت التي تعجبه فيقول لها يا بنية
مَالُهْ راسك شَيْنْ مِثْل دِيكْ السُّوكْتَايَهْ وما لُهْ اعني لاى
سبب وشين بعرفهم غير جميل فتقول هي وَيْنُو السوكتايه
الشين المثل راسى ووَيْنُو بمعنى واين هو فيقول ذيكا اى
ذاك وينعتها لها باصبعه فتعرفها وبعد المسآء تذهب
اليه فتبيت عنده ولم ينفع الحرس بشيء كما انه اجتهد في
منع شرب الخمر فما امكنه واحتالت الناس حيلا عظيمة
حتى كانوا ياتون لبيوت الخمارين ويشترون منهم الخمر
ويورون لمن يراهم انهم يشترون خبزا فكانوا يقولون
بلغتهم تُقْرُوبَا يِنْسَا اي خبز كُمْ عند هل اى هل عندكم خبز
فان خافوا ان يكونوا جواسيس طردوهم بقولهم اِكْبَا يعنى
ما عندنا وان عرفوا انهم اغراب يدخلونهم داخل الدار ويعطوهم
ما يريدون وكان السلطان في اثنآء ذلك يامر بشم افواه من
حضر بمجلسه من اكابر الدولة وهم اكثر الناس ادمانا على
الخمر فاستعملوا لازالة الرايحة مضغ فروع شجر يقال له الشعلق

فكانوا

فكانوا يشربون كفايتهم ثم يمضغون منه فلا تشم من افواههم
رائحة الخمر البتة وهذه عوايد ارتكزت في طبايعهم وامتزجت
بدمهم ولحمهم فصارت سُنّة متّبعة وان كانت في الاسلام
محرمة ومن عوائدهم ان الرجل اذا تزوج وكان فقيرا ولم يواسه
اهله الاغنياء وجاء يوم الوليمة يعمد الى مرعى المواشي حتى يجد
ماشية اقرب الناس اليه فيعقر منها ما يكفيه لوليمته ثورا
او ثورين او بعيرا ان كان صاحب ابل وان لم يكن شيء من ذلك
ذبح اكباشا على قدر كفايته فان فطن رب المال له ومنعه قبل
العقر ربما قاتله الا ان يغلب وان شح وطلبه للقاضي يُلزِمُه
القيمة فيدفعها له على التدريج اذ لم يكن متيسّر الحال ومن
عاداتهم ان الغلام اذا اختتن يجتمع عليه في ثالث يوم ختنه
الى سابع يوم جميع غلمان البلد وغيرهم ممن له بهم قرابة ومعرفة
وياخذون السفاريك ويخرجون في بلدهم والبلاد القريبة منها
فلا يرون دجاجة الا قتلوها وان قدروا على ضبطها بالحياة
اخذوها حتى يجتمع عندهم دجاج كثير ولا يقدر احد من الناس
يعارضهم في ذلك وكل من عارضهم ضربوه وهم صغار لا تقام
عليهم شريعة ومن عاداتهم ختن البنات لكنهم في ذلك على

اقسام فمنهم من لا يرى ذلك ابدا وهم اعجام الغور ومنهم من
يخفض خفضا خفيفا كعادة اهل مصر وهم اكابر الناس ومنهم
من ينهك الخفاض حتى يلتحم المحل ببعضه ويجعلون لمسلك
البول ماسورة من صفيح وهولآء اذا زوّجوا ابنتهم لا يقدر
الرجل على افتضاضها حتى يشقون له المحل بالموسى وهنالك
نسآء لهذا المعنى وفي وقت الولادة كذلك ايضا وهولآء
اكثر بنات الفقرا المنهمكات مع الرجال دايما ويفعلون ذلك
خوف الافتضاض بالزنا ومع ذلك يقع الحبل فيهن وهن على
تلك الحالة وفي خفاض البنات يعملون افراحا عظيمة ويولمون
الولائم العظيمة ومن عادتهم ان اقارب البنت المخفوضة من
الرجال يقفون خارج المحل الذي تخفض فيه البنت والنسآء يكن
عندها فان صوتت وقت الخفاض وصاحت لعنوها وتركوها
وان صبرت وهبها كل من اقاربها على قدر حاله وقرابته فمنهم
من يهب لها بقرة ومنهم من يهب بقرات ومنهم من يهب
لها رقيقا ومنهم من يهب لها شاة او شياها حتى تصير
من ربات الثروة وابوها وامها يهبان لها اكثر من جميع
الناس ان كانوا اغنيآء ومن عادتهم ان يثقّلوا مهور البنات

فربما

فربما تزوجت البنت الوسيمة من الفقرآء بعشرين بقرة وجارية
وعبد فياخذ الاب والام جميع ذلك ويعقدون العقد على جذعة
من البقر ولذلك يفرحون بولادة الاناث اكثر من ولادة الذكور
ويقولون ان الانثى تملا الزريبة خيرا والذكر يخربها ومن عادتهم ان
البنت اذا تزوجت تمكث بعد الدخول بها في بيت ابيها سنة
اوسنتين ولا يمكن خروجها لبيت زوجها الا بعد جهد جهيد
والنفقة في تلك المدة على ابيها وما ياتي به الرجل في تلك المدة
يكون على سبيل الهدية ومن عادتهم ان الرجل اذا خطب بنتا
وكان قبل ذلك له اختلاط بابيها وامها وكانت لها اختلاط بابيه
وامه ايضا تذهب تلك المخالطة بمجرد الخطبة ويستوحش
كل منهم فبعد ذلك اذا راى الرجل ابا البنت المخطوبة او امها يفر
من الطريق التي هو عليها وهما كذلك وكذلك البنت تفر مهما رات
اباه او امه وفي اثناء ذلك اذا دخل الرجل البيت يرسل السلام لام
البنت اما مع البنت او اختها او جارية في البيت ونحو ذلك
وهي ترسل له السلام ايضا ولا يتلاقيان ولا يزالون كذلك
حتى يبنى بها فعند سابع يوم من البناء يخرج ويقبل راس حماه
وحماته ويجتمع عليهما وكذلك البنت ومن عادتهم ان كلا من

الزوج والزوجة يرى اقارب زوجه كاقاربه فيحترم الرجل حماه
ويخاطبه يا ابتي وام امراته يخاطبها بامي واختها باختي وهي
كذلك ويرون ذلك من اكد الحقوق عليهم **فصل**
في اصطلاح تزويج الفور لما كان المتوحد في ذاته
وصفاته وافعاله غنيا عن الزوج والولد ما انفصل عن احد
ولا ينفصل عنه احد اذ لا يحتاج لما ذكر الا الحادث المسكين الذي
لا سند له الا الله ولا معين وهو سبحانه وتعالى حي قيوم لا
تاخذه سِنَةٌ ولا نوم واحدٌ أَحَد فردٌ صَمَد لم يتخذ صاحبةً
ولا ولد ولم يكن له شريك في المُلْكِ ولم يكن له كفوا احد
خلق ادم ابا البشر من التراب وخلق حواء زوجه من اقصر
ضِلَع من الجهة اليسرى على الصواب ولما كان سِرُّ خَلْقِهِ ان
يكون خليفة في الارض ويملأ من نسله طولها والعرض ركب
فيهما الشهوة البشرية ليحصل التناسل وِفْقَ الارادة السنية
وكان ادم حين خُلقت حواء في سِنةٍ من النوم ولما افاق
رائها امامه على ترتيب منظوم فوَقَعتْ منه موقعَ الاعجاب
وقال لها من انت يا اعز الاحباب قالت انا حواء وقد خلقني
الله من اجلك يا ادم وقدّر ذلك من أزلٍ تقادمَ فقال لها هلم

الى

الّي فقالت بل انت تعالَى الّي فقام ادم اليها فصارت عادة الرجال
الذهابَ الى النسآء ولما ان جلس معها ومس بيديه جسمها
دبّت فيه الشهوة الانسانية واراد مواقعتها كما هو مقتضى
الحيوانية قيل له مه يا ادم لا تَحِلّ حواء الا بصَداق وعقدِ نكاح
ثم ان الله سبحانه وتعالى خطب خطبة نكاحهما بكلامه القديم
فقال الحمد لعزتي والعَظمةُ هيبتي والخلق كلهم عبيدي واني
أُشهدكم يا ملائكتي وسكان سمواتي اني زوجت بديعة فطرتي
حوآءَ أَمَتي لادم خليفتي على صداق ان يسبّحني ويُهلِّلني فكان
ذلك سُنَّة لاولاده لكن لما اختلفت الاقاليم واللغات وتعددت
القبائل والاصطلاحات كان اصطلاح كل قوم مباينًا لاصطلاح
اخرين وإنْ كان العقد والمهر واحدا فمن اصطلاح الفوران
الشبان اناثا وذُكرانا ينشؤن جميعا ففي صِغَرِهم يرعون
الاغنام ولا حجاب بينهم على الدوام فربما اصطحب الشاب
والصبية من ذلك الحين وانعقدت بينهما المودة التى لا
تَبْلَى على ممر السنين فمتى احبها واحبته ركن اليها وصار يغار
عليها ولا يرضاها تحادث غيرَهُ وح يرسل اباه اوامّه او احد
اقاربه فيخطبها فاذا انعقد بينهما الكلام ونفذ على وفق المرام جمعت

الناس للاملاك وحضر الشهود للملاك فيذكرون شروطا كثيرة
ويطلبون اموالا غزيرة وكلها ياخذها الاب والام والخال والعم
ويعقدون لها على شئ قليل من ذلك المال الجزيل وكنا قد ذكرنا
نبذة من ذلك فلترجع هنالك ثم بعد تمام العقد يتركون الامر نسيا
منسيا مدة طويلة ثم يجتمعون فيما بينهم ويتشاورون
فينعقد رايهم على وقت فيه يزفّون فان كان العروسان من
ذوى البيوت الفخام والمراتب العظام ابتدا اهلهما في تهيئة الذبايح
والشراب قبل العُرس بايام كثيرة ثم يرسلون الرسل الى احبابهم من
البلاد ويقولون العُرس في اليوم الفلاني المعتاد ويكون قد حضروا
من البزْر والنبيذ الاحمر المسمى عندهم بِأُم بُلْبُل ومن البقر والغنم
ما فيه كفاية فتاتى الناس في اليوم الموعود افواجا افواجا وهناك
نساء معهن طبول صغار وكبار كل امراة معها ثلاثة طبول
اثنان صغيران واخر كبير على هيئة الدَرَبُكَّة تضعها تحت
ابطها الايسر احدُها وهو الكبير من اعلا والاثنان يحاذيان
اسفل الكبير وتضرب بيدها على الثلاثة ومجموعها يسمى
عندهم الدَلُّوكَة وكلما جاءت طائفة خرجت النساء
بالطبول ويضربنها ويقلن كلاما يمدحنها به منه قولهن

هَيْ

هِيَ بَانِي هِيَ بنَانْ
وَبْنِين حِسّ البنَانْ
يَاهَزَّازِينْ القَنَا
أَرِيتْ مَايْجِيكُمْ فَنَا
عَيْنْ الحَسُودْ بِالعَمَى
يَاهَزَّازِينْ الجْرَابْ
أَرِيتْ مَايْجِيكُمْ خْرَابْ
عين الحَسُودْ فِي التُّرَابْ

وكلما قالت كلاما قالت قبل ان تقول غيره هي باني هي بنان وبنين حسّ البنان انما هذا الكلام لا يعني شيا بالحقيقة وكنتُ مرّة جئتُ الى عرس فتعرضت لي امراة وقالت

الشَرِيفْ جَايْ مِنْ المَسِيدْ
الكِتَابْ فِي إِيدْ
وَالسَيْفْ فِي إِيدْ
وَمِنْ قَبَلْ يْجِيبْ
البِرْقِدْ عَبِيدْ

وكنتُ احفظ من كلامهن كثيرا نسيتُه فتخرج اصحاب العرس

ويتلقون القادمين وكل طائفة تاتي رجال ونساء فيجعلون كل
طائفة في محل وياتون لهم بالاطعمة والاشربة على حسب مقامهم
فمنهم ياتونهم بالعصائد والمِزْر المسمى في مصر بالبوزة واللحم السليق
والشِوى ومنهم من ياتون له بالفطير والشراب الاحمر الذى كالنبيذ
المسمى عندهم بأُم بُلْبُل وان حضرهم جماعة من الفقهاء اتوهم بالعصائد
واللحوم وبالسُوبْيا وتسمى عندهم دِينْزَايا ثم يقيلون فى اماكنهم
حتى يبرد الحر ويعظم الفيء فتخرج الشابات من النساء صفوفا
صفوفا وكل من النساء يقابله صف من الشبان وتخرج النساء
التى معهن الطبول فيضربن ويقلن من كلامهن فيبرز صف من
صفوف النساء يمشين هونا ويرقصن باكتافهن ويتقاصرن
الى الارض حتى يصلن الى صف الرجال فكل شابة تعمد شابا حتى تضع
وجهها في وجهه وتهز راسها نحوه حتى تضربه بضفائرها فى
وجهه وضفائرها اذ ذاك مدهونة بالطيب وانواع ما يعرفونه
من العطر فيهيج الشابُ ويهز حربته على راسها ثم تلتفت
راجعة فيتبعها حتى الى مكانها الاول فيقف فيه الرجل وترجع
هى القهقرَى حتى تصل الى المحل الذى كان واقفا فيه الرجل فمن
من يتامل لجد صف النساء ثبت في مكان صف الرجال وبالعكس

واذا

واذا كان هناك بعض شبان لم يدخلوا فى الصف واحدى
الصبايا تريد ان يقابلها واحد منهم تالفه تخرج من الصف
وتذهب اليه راقصةً حتى تكب شعرها على انفه فيهيج ويصيح
ويهز حربته ويخرج وراءها وان لم يخرج كان ملوما وعليه وليمة
للخارجة له وبعد ان يثبت كل صف فى مكان الاخر تخرج النسا راقصات
والرجال راقصين وكل منهم مقابل للاخر وكل شابة مقابلة لشاب
حتى يتلاقا الصفان فى وسط المجال وكل شابة تكب راسها فى
صدر ووجه الشاب المقابل لها والشاب يهز حربته على راسها
ويصيح صياح الفرح وهذا الصياح عندهم يسمى الرَقْرَقَة وكل من
النسآء والرجال تمل مما شرب ولا يزالون هكذا حتى ياتى الليل
فترجع كل طائفة الى مقرها ويوتى لها بالاطعمة والاشربة هذا
ولا يخطر ببالك انه ليس عندهم رقص الا هذا النوع وهو المسمى
برقص الدَلّوكَة وهناك رقص اخر يسمى بالجيل واخر يسمى لَنْقي واخر
يسمى شَكَنْدَرِي ورقص العبيد والاماء يسمى تُوزِي ورقص
الفور يسمى تَنْدِكا وهناك رقص اخر يسمى بَنْدَلَهْ وفى الاعراس
كل اناس يرقصون نوعا من هذه الانواع فالنسآء الجميلات بنات
الاكابر يرقصن مع امثالهن من الشبان على الدلوكة واواسط

النسآء مع امثالهن من الشبان يرقصن الجيل ومن دونهم
يرقصن لنقي فاما رقص الجيل فتتقابل فيه النسآء مع الرجال يرقصن
باكتافهن ويضربن بارجلهن اليمنى على الارض والرجال كذلك
لكن في كل حلقة هناك نسآء يغنين والناس ترقص على غنائهن
وفي رقص اللنقي بعض النسآء يغنين والشابات والشبان يضربن
بارجلهم الارض ويرقص كل منهم برجليه اليمنى واليسرى لكن الشبان
يكرون كريرا معروفا لهم واما الشكندري فيجتمع الشبان والشبات
وكل رجل ياخذ شابة امامه وتنحني هي ويمسك خصرها بيديه
حتى يكونوا كلهم كدائرة مسلسلة اعني الانثى تضع يديها على
حقوى الذكر الذي هو امامها والذكر يضع يديه على حقوى الانثى
التي هي امامه وكلهم منحنيون حتى يكونوا كدايرة تامة ويمشون
رويدا رويدا مع ضرب ارجلهم في الارض لاجل يسمع رنين خلاخيلهن
والبنات التي يغنين خارجات عن الحلقة واما البندله فهي من
انواع رقص العبيد وهو ان العبد ياتي بالنارجيل المسمى عندهم
بالدليب ويثقبه وهو اكر مثل كرة المدفع وينظم منه ثلاثا او
اربعا في خيط ويربطها في رجله كالخلخال في الرجل اليمنى وكل عبد
يفعل ذلك وتقفو جارية من الجواري خلفه ويكونون كدايرة ولهم

كرير

كرير مخصوص فيخرج العبد منهم لاخر في وسط الدائرة ويتحاول
معه في اللعب وهذا اللعب مبني على القوة وخفة الجسم كما
يلعب البهلوان فبعد ان يتحاولا مليًّا يضرب احدهما صاحبه
برجله التي فيها النزجيل فلا يخلو اما ان يوقعه في الارض او لا
فالماهر هو الذي ان ضرب صاحبه اوقعه والباقي يرقصون رقصا
لا تكسر فيه وكلهم يردون على الغنيات وهذه المغنيات خارج
عن الحلقة واما التوزي فهو ان عبدا من العبيد يضرب على
طبل كبير والنساء والرجال حوله حلقة وكل رجل واضع يديه على
حقوي امراة وكل امراة واضعة يديها على حقوي رجل لكن مع
الانتصاب والاعتدال لا مع الانحنا ويمشون رويدا والنساء يضربن
ارجلهن ببعضها لترن الخلاخيل التي في ارجلهن ومشيهم
كلهم في الدايرة والمغنيات خارج الحلقة واما التندكا فهي لعب
البرقد والفور وهو اشبه بالتوزي وانما الفرق بينهما في
كون ان التوزي يمشون فيه رويدا والتندكا بحركات عنيفة
وبالحقيقة العبارة لا تفي بذلك لان المشاهدة بشي اخر فربما
يرى المشاهد شيا لا يمكن التعبير عنه ولكل رقص من الارقاص
غناء مخصوص فاما غناء الجيل فمنه قولهن

يُوبَانِي هَي يُوبَانَيْنْ

اللَّيْلْ بُوبَى يَالْمُتْقَالْ

أَنَا رَاسِي إِنْدَارْ

اللَّيْلْ بُوبَى يَالْمُتْقَالْ

أَنَا رَاسِي إِنْدَارْ

وهذه الكلمات يوباني هي يوبانين لا تعني شيا لكن واحدة منهن تنشد وتقول الليل بوبي يالمتقال فتقول النسآء الاخر انا راسي اندار ومنه قولهن

اللَّيْلْ بُوبَى

دَارْ فُورْجَفَهْ

أَنَا رَاسِي نُوَى

ومنه قولهن

فُرَيْعُ الحَانِيَّهْ

سَبَّبْتُوا الجَانِسِيَّهْ

وَيَا فُرَيْعًا الصَّنْدَلْ

فِي بُوَيْتِنَا قَامْ رَنْدَلْ

واماغنآء اللنقي فمنه قولهن

يا

يَا عِيَالْ

جِيبُوا الْمَالْ

نَهِيضْ دَلْدَكْ وَدْبِنِيَّةْ

صَبُّوا دِرِيزْ الْخِيلْ فِي كَرِيُو

نَهِيضْ دَلْدَكْ وَدْبِنِيَّةْ

واما غناء التَنْدِگَا عند الفور فمنه قولهن

يَا سِي طَاهِرْ دُقُلَا

بِي لَبَا وَدُوِيكْ أَبَا

كِتَابْ مُصْحَفْ لَكْ حَلْفَنِيفِيَا

تْرِيمْدُو كُبِي رَايْلَا

تَارْگَا مُدُو صَقَلْ جُوجِي

ولو تتبّعنا غناء انواع الرقص لطال الحال فبعد ان ياكلوا ويشربوا يزفون العروس بالدَلُّوكة ويلفون بها حول البلد وياتون بها للمحل الذى أُعدّ للدخول عليها فيه ثم بعد العشاء بكثير تجتمع الشبان وياخذون العريس ويزفونه بالغناء والزرقة حتى ياتون به الى المحل المعلوم فيجلسون خارجه وجميع الشابات مجتمعة مع العروس والشبان مجموعون عند العريس وقد

استوزر العريس اعز اخوانه لانه ح كالسلطان واستوزرت
العروس امراةً وسمّوها مَيْرَمْ فبعد ان يجلس الرجال مع عريسهم
يطلبون الميَرَمْ فلا تخرج لهم الا بعد نحو ساعتين فيتقدم لها الوزير
ويسلم عليها بلطف يلتمس منها حضور العروس فتقول لهم من
انتم ومن اين جئتم وماهي العروس التي تريدون فيقول الوزير اما
نحن فضيوف وقد جئنا من بلاد بعيدة ونريد المَلِكَة تؤانس
ضيوفها فتقول له اما الملكة فمشغولة بشغل عظيم وها انا
وكيلتُها في ضيافتكم وقرائكم ومايلزم لكم فيقول الوزير نحن نعلم
ان فيك البركة والكفاية لكن لنا معها كلام لايمكن افشاؤه لغيرها
فتقول له اذا كان كذلك فما للملكة وماذا الى لان عادتها ان لا
تبرز من حجابها ولا تاتي لطلابها الا بجُعل فيقول لها المال والارواح
وكل ماطلبته فلا يزال يحاولها وتحاوله حتى يتراضيا وهذا كلـه
والعروسة قريبة منهم وراء ستارة لكنها لا تتكلم بشئ والعريس
ايضا ساكتُ كذلك والمحاورة بين الاثنين فاذا وقع التراضي رفعت
الستارة فتخرج العروس فيقول الوزير اما الملكة فللملك وما ذا
لنا نحن فتنادي الميَرَمْ للبنات التي مع العروس فيحضرن وتقول
لهن ايتها البنات اريد منكن في هذه الليلة ان تؤانسن

اضياف

اضياف الملكة فيقلن لها حبا وكرامة وهي تعلم كل صبية ومحبوبها
فتقول يا فلانة كوني مع فلان وانت يا فلانة كوني مع فلان وهكذا
حتى لا يبقى الا التي لا محبوب لها او الذي لا محبوبة له فياخذ كل
شاب محبوبته ويبيت معها ان وسعهم المحل الذي هم فيه وصورة
ذلك ان يبيت العريس وعروسه و الميْرَمْ والوزير وكل زوجين
معا صفا او صفين على حسب سعة الموضع وان لم يسع
المحل جميعهم بقى مَن وَسَعَه المحل مع العروسين وذهب الباقى
فكل شاب منهم ياخذ محبوبته ويتوجه بها الى بيتها او الى بيت
بعض احبابها ولا يذهب بها الى بيته لانها لا ترضى ذلك لان عادتهم
ان الشاب متى ما احب صبية وعلمت امها بذلك لا تقابله ابدا
ولا يقابلها واذا رائته فى طريق ولم تر لها مخلصا منه بركت فى
الارض وسدلت ثوبها على راسها ووجهها حتى يمر وهو كذلك
يفعل يعنى ان راءها وعرفها يرجع على عقبه هاربا ان امكنه ذلك
والا ادار وجهه لنحو حائط او شجرة حتى تمر ثم يرسل لها السلام
ان كان معه احد وكذلك هى تفعل بعد مروره ان لم يكن معه
احد ترسل له السلام ان كان معها احد وهذا كله عندهم
من نوع الحياء والتعظيم وعندهم اهل الزوجة محترمون فامها

كامه بل اشد احتراما وابوها كابيه بل اشد واخوتها كاخوته
وهي مثله في ذلك اذا رات امه او اباه فرت وسلكت طريقا
غير طريقهما وترسل السلام اويرسل اليها ولا تواجه احدا منهم
وتعتبر اباه كابيها وهكذا مثل ما ذكرنا في الرجل ولذلك تذهب
مع محبوبها الى محل اخر ولا ترضى ان تذهب معه الى بيته بل
ان ضاقت الاماكن بكثرة الناس وليس هناك دار سوى
دار ابيه لا تذهب معه اليها بل يذهبان الى الخلاء ويبيتان
فيه واما دار ابيها من حيث ان لها محلا معدا لذلك يبيت
معها فيه من ارادت ولا يراها ابواها فان الرجل يذهب معها
اليه ويخرج عند الفجر وابواها نائمان فلا يراه احد منهما ولنرجع
الى ما نحن بصدده فنقول ثم يبيتون تلك الليلة فاذا اصبح
الصباح قامت كل صبية وتوجهت الى بيت ابويها فتصلح شانها
اعني انها تغسل وجهها واطرافها بل ربما اغتسلت ثم تتطيب
وتكتحل وتجدد زينتها وكذلك العروس تدخل عند امها فتصلح
شانها وكذا الرجال يذهبون الى ديارهم ان كانت قريبة فان
كانت بعيدة كأن كانوا من بلد اخرى يذهب كل منهم الى دار
صاحب له فيصلح شانه هناك وكذلك النساء ان كانت

المراة من بلد اخرى تذهب الى دار حبيبة لها تصلح شانها فيها
لان الشابات اللائى حضرن للعرس مع كل شابة منهن كحلها
وعطرها وما تحتاج اليه فتصلح شانها ويجلسن حتى يقرب الضحى
فتاتى الميرم الى محل الزفاف والعريس غائب عنه اعنى عند قيامه
لاصلاح شانه هو الاخر فتقمّه وتنظفه وتفرشه وتهيئ مجالسه
هي وبعض صواحبتها فياتى العريس فيجده نظيفا فيجلس هو
ووزيره وتنهلّ عليه الشبان فيجلسون معه ثم اصحاب العرس
بالخيار ان شاؤا جعلوا السبعة ايام كلها بالرقص والدلوكة
وان شاءوا اقتصروا على يوم واحد فان ظهر اقتصارهم جلس
الضيوف الى وقت الغذاء وبعد تناولهم الطعام رجع كل منهم
الى بلده ولم يبق الا اهل البلد الذى هم فيه وان لم يروا الاقتصار
وعلموا ان اصحاب العرس يريدون ان يمتد عرسهم الى
السبعة ايام اقاموا ويظهر ذلك بتجدد الذبائح وعصر الخمور
والتهيئ تنبيه اعلم ان اهل كل بلد من البلاد الذين دعوا الى
مثل هذه الوليمة ياتون اما ببقرتين اوثورين اوثور اوبقرة او
بشياه اعانة لصاحب الوليمة وان كان لهم اقارب خارجين
عن بلدتهم ودعوا ياتون باثوار او بقر غير ما تاتى به اهل بلدتهم

اعانة ثم يمكثون نهارهم كله فى لعب وضحك وانشراح واكل
وشرب وطيب محادثة الى العصر فتضرب الطبول التى هى
الدلُّوكات ويفعلون مثل ما فعلوا فى اليوم السابق حتى الى الليل
فياتيهم الطعام والشراب وبعد فراغهم من ذلك يجتمعون رجالا
ونساآء فى محل الزفاف فيتحادثون حتى الى نحو نصف الليل ثم ياخذ
كل شاب حبيبته ويبيت معها حيث باتا امسهما ويبقون
على ذلك المدة المذكورة واذا أعوزَ الامر الى الذبايح بأن كان ما
أُعِدّ للذبح لم يكف من حضر خرج ابو العروس او اخوها او احد اقاربها
الى المرعى فكلما وجده من البقر امامه عقر منها ثورا او ثورين او بقرة
او شياهًا وبعد العقر يرسل الجزارين فيذبحون العقير وياتون
بلحمه الى الضيوف وهكذا فاذا بلغ الخبر صاحب البقر فلا يخلو إمّا
ان يطلب الثمن فيرضونه او يسكت حتى يبقى له عرس او لاحد
اقاربه فيعقر هو الاخر ما يريد من بقر من عقر بقره ودَقّةٌ بدقّةٍ
ولذلك اذا عُمل عرس تخاف ارباب المواشى من العقر فيامرون
رعاتهم ان يُبعِدوا بها فى الخلاء لانهم لا يعقرون الا من الاموال
القريبة المرعى وهذه سُنّة جارية فيهم وفى تلك المدة العروس
كالملكة وصواحباتها معها فى لعب وانشراح والعريس كذلك ومن

عادتهم

عادتهم ان العريس لا يفتض عروسه الا بعد السبعة ايام
مع انهما يبيتان متعانقين لا حائل بينهما ويجعلون ذلك كرامة
لها ولابويها لانهم يقولون الليلة الاولى في كرامة ابيها والثانية
في كرامة امها والثالثة في كرامة اخيها ان كان او اختها وهكذا
حتى تتم السبعة ايام ومن استعجل وفض قبل تمام ذلك عيب
عليه وقالوا قد استعجل ولكن من المحال ان يفتضها قبل ثلاث
ليال **عجيبة** من عوائدهم ان المراة لا تاكل امام زوجها ولا
غيره من الرجال واذا دخل زوجها وهي تاكل قامت وفرت وهذا
عندهم من اكمل الحياء ويقبحون على المراة التي تاكل امام الرجل
وحين كنتُ هناك ورايتُ ذلك قلت لهم اتستحي من الاكل مع
الرجل ولا تستحي من النوم معه وانه يدخل بين شُعَبِها ويولج
فيها ويرى فرجها وما هي عليه قالوا ذلك لا ضرر فيه واما
تفتح فاها وتدخل فيه الطعام امام الرجل فهذا شيء قبيح اهـ
ومن عادتهم ان الرجل لا ياخذ عروسه ويبني بها في بيته بل في بيت
امها وابيها ولا تخرج معه حتى تلد ولدين او ثلاثة فان طلبها
للنقلة معه قبل ذلك ابت عليه وربما وقع الطلاق بينهما بسبب
ذلك ومن عادتهم انها لا تذكر اسمه على لسانها ابدا بل دائما

تقول قال لي كذا وكذا فاذا سئلت من الذي قال تقول هو حتى يولد
لهما فتى وُلِدَ لهما قالت ابو فلان او ابو فلانة باسم من يولد ان
كان ذكرا او انثى ومن عاداتهم ان الرجل لا يُنفِق على المراة بعد الزفاف
الا بعد سنة فان جا بشيء قبل السنة جا به على سبيل الهدية
مع انه لا ياكل الا اعز مما ياكلون فيمكن انهم طبخوا شيا قبيحا لهم
من الماكل الرديئة ويذبحون له دجاجا او حماما اولحما ومن عوايدهم
ان الرجل مدة ما هو في بيت ابي زوجته يصنعون له طعاما جيدا
جدا غير العشاء يتناوله بالليل اما مرة او مرتين او ثلاث ويسمون
الاول بلغة الفور جُرِي جَرَاكْ والثاني تارْكَا جِيسُو والثالث
صُبُحْ جَلُّو ومرادهم بذلك تقويته على الجماع واما اسمه بلغتهم
العربية وَرَّانِية واكثر الاغنيا ياكلون بعد اكلهم العشاء لانهم ربما
جاءهم ضيف فلم يتمكن من الشبع لحيائه من الضيف او كان العشا
غير جيد فلا بد له من وَرَّانِية ومعنى قولهم جُرِي جَرَاكْ انزع القميص
فان جُرِي معناه قميص وجَرَاكْ معناه انزعْ وتارْكَا جِيسُو
معناه مَسْكُ الرِجْل فان تارْكَا معناه رِجْل وجِيسُو معناه
مَسْكُ وصُبُحْ جَلُّو معناه طلوع الفجر واما الورانية فهي عربية
منسوبة لِوَرَا ضد الامام لانه ياكلها وراء العشاء اي بعد ما

ياكل

يأكل العشآء ولهذا تجد بعض الناس اذا كان عنده من يعز عليه
من الاخوان وحضر العشآء معه واراد ان يقوم يمنعه حتى ينفض
المجلس ثم يدعو خادمه ويقول هل من شي يوكل فيأتيه الخادم بالورّانية
فيأكلان معا وهذا لا يُفْعَل الا مع اعز الاصدقآء وهذه الورانية
تنفع احيانا للضيف المُفَاجي بالليل الداجي وهذا كله ان كان عرسا
فان كان ختانا فعلوا ما ذكرناه من استحضار الاطعمة والمزروأم
بُلْبُل والدَنْزَايا ودعوا الناس ورقصوا على الدلاليك وزفوا
المطاهر وجاء المزيّن فختنه وابوه واقف فان بكى المطاهر ففر اهله
منه وتركوه ومضوا وان صبر حال الختن ولم يبك قال ابوه اشهدوا
يا اهل المجلس انى اعطيت ولدى بقرة او ثورا او عبدا او امة
مما يقدر عليه وقالت امه كذلك وكل من حضر من اهله يهدى
له شيأ فان كان اهله اغنيآء ناله منهم شي كثير فيصير غنيا
وذلك كله بحسب غناء اهله وفقرهم ثم يجتمع اترابه فى
ثالث يوم الطهور وياخذون السفاريك ويجوسون خلال
البلد يضربون الدجاج فيقتلون دجاجا كثيرا وفى رابع يوم
الى اليوم السابع يذهبون الى البلاد المجاورة لهم فلا يرون
دجاجة الا قتلوها وكل يوم يتوجهوا لبلد يقتلون دجاجا

واصحاب الدجاج لايرون بذلك باسا وان كان خفاضا فعلوا
فيه كلما ذكرنا الا الدجاج فلا يقتلونه والخفاض لا يتغالون
فيه كالختان ومما ذكرناه يعلم الواقف على رحلتنا اننا استقصين
جميع ذلك لتمام الفائدة وحسن العائدة واعلم ان اهل دار
فور لا يستقلون بشي في امورهم بدون النسآء بل انهن
تشاركهم في جميع احوالهم الا في الحروب العظيمة ولذلك ان
عرسا لا يتم الا بهن او حزنا كذلك ولولاهن ما استقام لاهل
دارفور شي فترى النسا يحضرن في الامور المهمة ومن ذلك
الاذكار وهي على ضربين ضرب يفعله اهل البلاد المستعربون
اعني من ليسوا بعجم وضرب يفعله اعجام الفور فاما الاول فهو ما
كان على طريقة شيخ من الصوفية او ولي من الاولياء وعلى كل
فتحضر حلقة الذكر امراة تنشد لهم والنساء خلفها وقوف
لا يتكلمن بل ينظرن ازواجهن واقاربهن ليعلمن ايهم احسن
ذكرا وقد ينشد رجل والنساء يسمعن كبقية الرجال ومن
ذلك ما وقع ان تلميذ الشيخ دفع الله حضر حلقة ذكر تلاميذ
الشيخ يعقوب وبين تلاميذ الشيخين معاندة فلما حمي الذكر اراد
احد تلاميذ الشيخ يعقوب ان ينكت على تلميذ الشيخ دفع

الله

الله فقال

أَلْمَاعِنْدُو شَيْخًا فَرَاجَابَا
لَا يَدْخُلْ دَرَقَةْ وَنَشَّابَا
أَلْمَاعِنْدُو شَيْخْ مَهْيُوبُ
لَا يَدْخُلْ حَلَقَةْ يَعْقُوبُ

فسمع تلميذ الشيخ دفع الله وعلم انه عناه بذلك فقال

نَدْخُلْ وَنَنْمُرُقْ مَتَعَافِي
بِالنِّيَّةَ وَالْعَمَلْ أَلْصَافِي
دَفْعْ أَللَّهْ فَوْقِ طَوَّافِ

نادرة حضرت امرأة في حلقة ذكر وانشدت

نُصَفِّي لَكُمْ مَرِيسَةْ دُوَانِي
وَأَنَا عَزَبَا بَيْتِي طَرْفَانِي
يَا فُقَرَا مَا فِيكُمْ زَانِي

فسمعها الذاكرون وكان فيهم شاب فهم المعنى وكان يقول الله حي فصار يقول انا زاني انا زاني واما اعجام الفور فيقفون في الذكر صفين او حلقة وكل رجل منهم خلفه صبية والنساء ينشدن وهم يذكرون وذكرهم كرير من انشادهن قولهن

كُرُو كُرُو يَى عَالِمَا نِمَا
صَحْ لَكْ كُو يَى جَنَّهْ
صَحْ لَكْ كُو يَى

ومعنى ذلك كُرُو معناها شجرة وكرُو معناها خضراء وعالمَا نما معناه ظل العلماء وصح لكْ كويَى صح لكْ كويى معناه صحيح نمشى الى الجنة صحيح نمشى الى الجنة ومعناه ان الشجرة الخضراء ظل العلماء ونحن ندخل الجنة حقا ندخل الجنة حقا ومنه قولهن

جبْرَايِيلَهْ مِيكَايِلَيهْ
كُلِّ بِسَبَا مُلْكَا الجَنَّهْ

ومعناه جبرائيل وميكائيل كل حسنة يملك بها الانسان الجنة ومن قولهن

لِلَّهِ قُوىَ لِلَّهِ
شَهَرْ رَمَضَانُ اللَّهُ أنْدَوَا
كَالْفَارِنْبِيَهْ

ومعناه لله يا إماءُ الله شهر رمضان دواء الله فافرحوا به اه ومثل هذا كثير لو تتبّعناه لخرجنا الى الاسهاب وجلبنا الملل لأولي الالباب وفيما ذكرناه كفاية لكن من حيث اننا تكلمنا في التزويج وما

يتعلق

يتعلق به عن لنا اننا نذكر نبذة في عجاب النسآء وهم المسمون
في مصر بالطواشية وبأغوات الحريم وبالتركية قزلر اغالر لانهم
امنآء على الحريم ونقول

فصل في الخصيان المعروفين في مصر بالطواشية

لما كان الحق سبحانه وتعالى
غيورا على عباده ومحارمه منتقما ممن تعدا حدوده بارتكاب
مآثمه وكانت الغَيرة وصفا من اوصافه ولذا حرّمَ الظلم على
نفسه وخلافه جعل الغيرة مركوزة في طباع بني ادم من زمن
سَلَفَ وتقادم واول من غار قابيل على اخته اقليما لما امر ادم ان
يزوجها من هابيل ويزوجه من اخته ذميما فكان من الغيرة من
امرهما ما كان وقتل قابيل اخاه كما ورد بنص القران بل قد توجد
الغيرة في غير بني ادم من الحيوانات فيغير الحيوان على انثاه وتحصل
المعاركات سيما والنسآء اكثر شبقا وغُلمة ولا مروءة تمنعهن
ولا همة وكان بعض الناس بلغ في الغيرة اعلاها وارتقى الى
منتهاها حتى ان بعضهم لا يرون النسآء الا كالامآء ومنهم
من هو كثير الغيرة حتى من الاخوان والابنآء بل منهم من بالغ في
الغيرة فصار يغار عليهن من الليل والنهار ومنهم من يغار من
عيون النرجس ان تراه كما قال الشاعر

من الكامل
غُضّي جفونك يا عيونَ النرجسِ مِنكِ استحيتُ بأن اقبِّل مؤنسي
نامَ الحبيبُ تذبَّلتْ وَجَناتُه وعيونُكُنَّ شواخصٌ لم تَنْعَسِ

وبالغ بعضهم حتى انه غار على المحبوب من نفسه ومن المحبوب ومن الزمان والمكان كما قال الشاعر

من الهزج
اغارُ عليكِ من عيني ومِنّي ومنكِ ومن مكانِكِ والزمانِ
ولو أنّي وضعتُكِ في جفوني الى يوم القيامة ما كفاني

ومثله قوله

من الهزج
فلو أمسَى على تَلَفِي مُصِرًّا لقلتُ مُعَذِّبي بالله زِدْني
ولا تَسْمَح بوصلِكَ لي فأنّي اغارُ عليكَ منكَ فكيفَ مِنّي

وارتقى بعضهم الى اعلا المبالغة فغار من الضمير حيث قال

من الطويل
اغارُ عليه من ضميري فيا لَـهُ هَوًى رابني حتى اتّهمتُ جوارحي

فتحيل الناس في حراسة الحريم لما عندهم من داء الغيرة المُقْعِدِ المقيم فما راوا احسن من حراسة انسان يكون مقطوعَ اعضا التناسل وهو الذى تطمئنّ اليه النفوس في العاجل والآجل واكثر الناس احتياجًا لذلك الملوك والامرآء لان كل واحد منهم يجمع ما قدر عليه من النسآء بلا مِرا ولما كانت ملوك السودان اكثر الناس للنسآء جمعا وابذلهم في ذلك وُسْعًا كان يوجد عند الملك من الخصيان

عدد كثير وجم غفير فيوجد عند سلطان دار الفور نحو الالف او
اكثر وعليهم ملك منهم وهم له كالعساكر وهو الذى يرتب فى
بيت السلطان ما يلزم منهم للحراسة ويبقى عنده ما زاد الى وقت
الحاجة والخصيان مكرمون عند الاكابر خصوصا فى دار الفور فان
لهم فيها سطوة واى سطوة والكلمة النافذة والقوة ومقام ومقال
وحال لا يماثله حال حتى ان لهم هناك منصبين جليلين لا يتولاهما
غير خصى احدهما منصب الابوة والثانى منصب الباب واقول
ان منصب الباب غير مختص بدار الفور بل فى تونس وفى قسطنطينية
كذلك واصل الخصيان الذين فى دار فور من بلد رُوكَا يخصونهم
هناك ويأتون بهم الى دار فور على سبيل الهدية لكنهم كثيرون
جدا ومنهم من يُخْصَى فى دار فور ولقد رايت حين كنت هناك
غلاما حسن الوجه جميل الصورة فى نحو الثمانية عشر خُصِىَ
فى دار فور وسببه انه كان من خَدَم السلطان محمد فضل
واحبَّ غلمانه الذين ربوا فى البيت وكان له سعدٌ قائم تحبه
النساء لقضاء اوطارهن غير الخنا وكان اسمه سليمان تير فحسده
اقرانه ونموا عليه عند السلطان فغضب عليه واراد قتله
فاشار عليه بعض وزرائه بخصيه وقال له من حيث ان الامر

كذلك اقطع ما يوذيك به ولا تقتله فخصاه وعاش واجتمعت
عليه وكان ذا منصب جميل وابهة حسنة الا ان السلطان
كان لا يالفه لصلاحه ولما قيل فيه ولقد سمعت من ثقات انه
احبل امراة وظهر حملها فسئلت فقالت من سليمان تير فغضب
عليه السلطان وخصاه وبعد ان برئ اعطاه المراة وولدها
وقد ذكرنا سابقا ان الشيخ محمد كرا كان اتهم بما اتهم به سليمان
تير فخصى نفسه بيده دفعا للريب فحظي عند السلطان
وصار ما صار من امره **نكتة** مما وقع من عتوهم وتجبرهم
ان اجتمع بعض امراء الغور في محل انشراح ونزهة وانبساط
وكان فيهم خصي فجعلوا ياكلون ويشربون والخصي كواحد منهم
فاتفق ان واحدا من هولاء الامراء معه منديل من حرير فابرزه في
المجلس وقال هل تعلمون لماذا يصلح هذا المنديل فقال احدهم هو
يصلح لمسح العرق وقال الاخر هو يصلح للتجمل والزينة وقال الاخر
هو يصلح لان يجعل على صدر انثى جميلة وطفق كل واحد يقول
ما بدا له وصاحب المنديل يقول لا ولما اعياهم امره قيل له قل
لنا انت لماذا يصلح فقال هذا يصلح للمسح بعد الجماع فاستحسنوا
قوله وسكتوا فما راعهم الا ان قام الخصي من بينهم صالتا

سيفه يروم قتل صاحب المنديل وقال له أتعرض بي الى مقطوع
لابد من قتلك فقاموا اليه وتلطفوا به وهو لا يرجع عن قوله
حتى ارضوه بخيولهم كلها وكان الخصي للخليفة ابن السلطان تيراب
الذين اسلفنا ذكرهما ومن عتوهم ان الشيخ محمد أُوْرْدِكَّا كان
في ايام السلطان تيراب في منصب الابوة ومن عادة الاب ان
يتوجه لبلاده ومحل حكمه في كل سنة في فصل الربيع ويجمع اهل
البلاد في يوم واحد ويعرض الرجال ويرى العساكر فاتفق انه جمعهم
في يوم شديد الحر في رحبة واسعة امام داره ولم يخرج لهم حتى
فاتت القائلة فخرج في ابهته راكبا جواده والعبيد يظللونه من
حر الشمس ويجلبون له الهوا بالمراوح وخرج العسكر وصفوا
الناس صفوفا كدايرة وهو واقف ينظرهم وقد اشتد الحر وامر
الناس بالجثي على ركبهم وسلاحهم ودرقهم في ايديهم فكان الانسان
منهم لا يستطيع الجثي لشدة حر الرمضا وسال العرق وكثر
القلق ومكث مليا لا يامر بامر ولا ينهى عن شي وعطش
الناس واخذ منهم حر الشمس اكبر ماخذ وهم صابرون على
ما قضاه الله عليهم حتى مات بعضهم من العطش ولما راى
قلق العالم وتحيرهم اعجبه ذلك وضحك وقال بلسان الفور

نَتُو نَتُو نَتُو يوما عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا وكررها مرتين او ثلاثا وكان
العالم المجتمع في تلك الجَدّد كالى العرض ما ينوف عن زُهاء عشرين
الفا وكان فيهم رجل صالح يقال له الشيخ حسن الكوُ فبرز وقال
باعلا صوته اسكتّ يا كافر ثلاثا فاخذه الرُعب من الشيخ
المذكور وولى هاربا ورفع الشيخ يديه الى السمآء وقال اللهم ارحم
عبادك فما تم كلامه حتى ارتفع السحاب مثل الجبال ونزل المطر وتفرق
الناس وكان يوما مشهورا وبسبب غضب الشيخ انه مَثَّلَ
نفسه بالإله ومَثَّلَ عرض الناس عليه بعرضهم للحساب ومَثَّل
شدة حر الشمس بشدة حر يوم القيامة ولذلك استشهد بقوله
نَتُو بالاية الكريمة ونَ بمعنى هذا وتُو بمعنى يوم والباقي هو نص الاية
الكريمة نادرة حكى ان الشيخ محمد أورْدِكا المذكور كان قليل
العقل ومن قلة عقله انه لما تولى في منصب الأُبُوَّة امره السلطان
تيراب ان يقرأ ليتعلم القراءة والكتابة فاحضر فقيها يعلمه
فكتب له حروف الهجآء وصار يقرء عليه في كل يوم واستمر
على ذلك مدة ايام ثم انه ذات يوم طلب المصحف فجيء به له
فتصفحه ونظر في السطور فراى واوًا مفردةً فعرفها وقال
للفقيه إنْماكْ واوِ يعني اليس هذه واو فقال الفقيه نعم فقال قد

ختمتُ القران وامر بذبح الذبائح وضرب الطبول وصنع
وليمةً عظيمة فعُدّتْ هذه من طيشه وخفة عقله اهـ
ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول ومع كثرة الخصيان في دار
السلطان لم يَسْلَم من الدنس لان النسآء شياطين لا يغلبهن
غالب سيما وقد قام عذرهن بداعي كثرتهن في بيت السلطان
وهن في سن الشَباب والراحة وحُسْن الماكل والملبس
فللشهوة فيهن نصيب اوفر ولما سُجِنّ في هذا السجن
تحيلن على دخول الرجال بكل حيلة فمنهن من تصاحِب من
الرجال من الخَدَمة الذين بالباب ومنهن من لها عجايز ياتينها
بالرجال بحيلة وهي ان العجوز تتامل في الفتيان حتى ترى الشاب
الجميل الذى لا نبات بعَرَضَيْه فتتحيل عليه بلطف حتى تاخذه
الى دارها ومن المعلوم ان شبان السودان لا يحلقون
رووسهم بل يوفرونها فتصير الوفرة لهم كشعر النسآء
وتجعل وفرته ظفائر كظفائر النسا وتُلبِسه حُليّا كحليهن
من عقود وعمائمَ ومدارع ومجبور وتلبسه دُرّاعةً وفردة وثوبا
بحيث لا يشك رائيهِ انه امراة وتدخله دار السلطان
بين نسآء فمتى ولج ذهب خوفها وسلمته لمن ادخلته برسمها

فيمكث ما شاء الله ان يمكث فان ستر الله عليه خرج كما دخل
وان عثر عليه قتل ولا يعثر عليه الا باسباب منها ان تعلم امرة
احدى ضرائرها فتطلبه منها فتابى هي بخلا به او لا يرضى هو ان
يذهب فَحَ يحملها الغيظ على ان تفتن عليه فيعثر عليه ومنها
ان السلطان يامر بالتفتيش فيُحضِر الطواشية كلهم ويفتش
معهم البيوت ومن وجدوه قتلوه ومنها انه يزهق من طول
المكث فيخرج وحده فيعثر عليه البوابون وهو خارج فيقتلونه
وان ستر الله عليه خرج واغلب من يدخل بالصفة التي ذكرناها
لا يخرج الا بالليل او مع نسآء كثيرة وهو في وسطهن ومن العجائز
من يتحيل في خروج النسآء من بيت السلطان بان يُنكِّرْن
المراة منهن بثياب مِهْنة قَذِرة ويخرجنها امام الناس جهارا
فاذا عثر بها البواب او احد الخصيان قيل له هذه امراة مسكينة
كانت دخلت معنا تلتمس معروفا ومنهن من يُدلِّس
عليها الخصيان وذلك لا يكون الا اذا علم الخصي انه ان عرض
انفتح له مَهْوىً فقتل فيه فَحَ يسكت قهْراً عنه وتدخل
المراة وتخرج وتدخل من شاءت ولم تخش باسا ومن ذلك
ما وقع من بعض محاظي السلطان صابون مع تُرْقُنْكْ محمد

ابن

ابن عمها وسنذكر ذلك في سيرة السلطان صابون سلطان
دار الوداي ان شاء الله تعالى واعلم ان نساء السودان كثيرات
الشبق والغلمة اكثر من غيرهن لامور الاول لفرط حرارة الاقليم
الثاني لكثرة مخالطتهن للرجال الثالث لعدم صونهن واستقرارهن
في البيوت فمن ذلك ترى المراة منهن لا تقنع بزوج ولا بخليل واحد
على حد قول الشاعر

من الهزج

ايا من ليس يرضيها خليل ولا الفا خليل كل عام
اراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

الرابع لعدم اقتصار ازواجهن عليهن لان الرجل منهم ان كان ذا
قدرة نكح من الحرائر اربعا وتسرى بغيرهن من السراري وكل ذلك
على قدر حاله والنساء شقايق الرجال والنفس واحدة في الشهوة
والطبع خصوصا وعندهن من الغيرة ما لا مزيد عليه فيتحيلن
على الاجتماع بغير زوجهن وياخذ كل منهن في ضروب من الحيل
تتوصل بذلك الى مرغوبها وان كان لا يقدر على التسري طمح نظره
الى غير امراته فمتى علمت امراته بذلك حداها حادي الغيرة على الاجتماع
بغيره الخامس العادة لانهن من صغرهن قد تعودن الاجتماع
مع اترابهن من الذكور حتى كبرن على ذلك والعادة اذا استحكمت

صارت طبعا فلذلك اذا تزوجت لا يمكنها الاقتصار على زوج واحد
الا من رحم الله ومن حيث ان هذا الطبع مركوز فيهن يصدر منهن
ما يصدر فلذلك لا يُرى منهن من اقتصرت على بعلها الا القليل
وكلما تقادم الزمن كلما كثر الفساد عندهم **نادرة** ومن المجرب
في دارفور ان النار اذا اشتعلت في دور واشتد وقدُها وعجزوا عنه
نادوا هل من طاهرة فتاتي امراة عجوز لم تزنَ قط فتخْرج كُنْفوسها
وتشير به للنار فتطفى بارادة الله تعالى وهذا من مجرباتهم وحين
كنت هناك وقع حريق في بيت جدة السلطان واشتد وحضر
السلطان بنفسه وارباب دولته فما امكنهم اطفاؤه ونادى منادي
السلطان هل من طاهرة وتكرر الندا في البلد فما قدرت امراة تاتي
لذلك الحريق ومن هنا يعلم انه لا يوجد الآن فيهن طاهرة لكن
سمعت بان ذلك قد يوجد في نسآء اعراب باديتهم واما نسآء
السودان فقل ان يوجد فيهن طاهرة لان المراة منهم حيث لا
عقل يردعها ولا خوف يزجرها ولا دين تراعيه تفعل ما ارادت بل قد
تفتخر بكثرة الاصحاب وتقول لو كنت قبيحة ما جاءني احد ولولاني
من الحسن بمكان ما الفني الرجال وارتكبوا من شاني الاهوال ومن
العجب ان في بلاد العرب اذا اسنت المراة او كان لها ولد جليل ذو

شهرة

شهرة يمنعها ذلك عن ارتكاب الزنا وعن التطلع للرجال اما لعلمها
بعدم الرغبة فيها ان كانت مسنة او لخوفها على مقام ولدها
وجلالة قدره الا نساء السودان فقد حكى لي من هو اعز اصحابي
وصونا لصحبته لا اذكر اسمه ان خال السلطان محمد فضل المسمى محمد
تيتل زوجته اخته وهي امبوس ام السلطان وعمرها بنحو خمس وثلاثين
سنة بامراة من بيتها وصنعت له مهرجانا عظيما هرع الناس للفرجة
عليه فاخبرني انه كان من جملة المتفرجين قال بينما انا واقف اذ جاءت
ام السلطان ومعها سرب من النساء كانهن الغزلان وهي تمشي
امامهن وهن خلفها وهي كانت جارية بشعة المنظر مشوهة
الخلق دنية الاصل لانه لا يوجد في سكان دار الفور ادنى اصلا من
البيقو الذين هي منهم فصار كل من الواقفين يتعجب من صنع الله تعالى
ان قدم هذه المراة مع ما هي عليه من قبح الذات والاصل على من هن
احسن وجها واصلا وذاتا وبهاء وجمالا قال فدخلت على اخيها
تيتل وكان وقت بنائه بعرسه فمكثت عنده برهة ثم خرجت قال
فلم نشعر الا برنين الخلاخل والحلي وعبق الطيب فعلمنا انها خارجة
فوقفنا صفا حتى اذا خرجت لم اشعر بها الا وقد قبضت على يدي
وجذبتني للذهاب معها فاردت الامتناع وكاني تعاصيت فدفعني

النسآء اللاتى خلفها وكرهتُ ان يشعر الناس بذلك فمشيت معها
محاذيا لها وهى بجانبى قابضة على فلما كنا فى اثناء الطريق قالت انا
تعبت مع انه لم يكن بين بيت اخيها وبيتها اكثر من مائة خطوة وقد
بلغنى انها قبل اتصالها بالسلطان كانت من اقل الجوارى المبتذلات
للمهنة فكانت تاتى بالمآء والحطب على راسها من الخلآء والآن تتعب
من مشى مائة خطوة قال فقلت لها من كثرة ما عانيت فى هذا اليوم
قال ثم دخلنا الدار والخصيان واقفون على الباب لا يجترى احد منهم
ان يتكلم وقد عرفونى معها فلما وصلتْ الى حجرتها دخلت فدخلت
معها فاطلقتْ يدى فجلستُ على فراش هناك وانطرحتْ هى
على سريرها تتقلب يمنة ويسرة وتهز منجورها بيديها ثم قالت
لى ان بى صداعا فقلت لها لا باس عليك قالت فاقرا لى عليه
لعله يذهب فجئت اليها وقد علمتُ ان ذلك حيلة منها المقصودها
وان الكبر يمنعها ان تقول لى هيت لك مع ان جميع من كان معها
من النسآء ذهب ولم يبق الا انا وهى وهناك جارية جالسة
خارج الباب ان احتاجت الى شىء دعتها له قال فلما اكثرت من
التقلب ولم تر منى ميلا اليها دعتنى لاقرأ على صدغها فحين
وضعتُ يدى على صدغها وابتدات القراءة ارتعشتْ تحت

يدي وصارت تضطرب اضطراب المذبوح وتتاوّه فشممت منها
رائحة الطيب فانعشتني واخذني ما ياخذ الرجل من النشاط ففهمت
ان اعلوها فادركني خوف من ابنها السلطان لانه متى وجد مع امه
احدا قتله وقد تكرر منه ذلك مرارا ويهجم عليها بغير استئذان لكنها
قد رصدت له اناسا يخبرونها بمجيئه فان كان عندها احد تحيلت
في اخراجه قال وخفت ايضا لاني كنت سمعت انها مصابة بداء
الحصر وهو المعبر به عند الحكماء بالسيلان الابيض اعني ان كل من
واقعها ابتلي به سيما وقد شاهدت من مرض به منها قال فحين
ادركني الخوف من هاتين الجهتين برد ما بي قليلا وكانت قد اطلعت
على حالي اولا فلما رات مني الفتور ظنت اني جائع فدعت بجارية لها
اسمها زِرَاع القادر وقالت لها ائت بطعام جميل فاتت الجارية
باناءين في احدهما حمام مقلوّ في السمن وفي الاخر فطير بالعسل
وقالت لي كل قال فابيت واعتذرت باني غير جائع فحلفت عليّ
فتناولت من الطعام واعجبني وكنت في تلك الليلة محتاجا وبينما
انا اكل اذ سمعت حركات عنيفة وكركبة وجاء الخدم يهرعون ويقولون
ان السلطان قد اتى فقالت خذوا هذا واخرجوه من الباب الثاني
فاخذني الجوار واسرعوا في المشي حتى اخرجوني من الزريبة ومن لطف

الله تعالى ان السلطان لم يدخل عليها من الباب الذى عادته الدخول
منه بل الى الباب المذكور واوقف عليه حرسا ودار حتى اتى للباب الذى
خرجت منه لانى بمجرد خروجى وانفصالى عن الباب رايت نواصى الخيل
قد اقبلت فوقفت على بعد ادرى ما يكون فسمعته يقول للبوابين
من خرج الآن من هنا فقالوا لا احد فقال احد الفرسان انا رايت
انسانا انفصل من هنا واظنه كان هنا فقال جميعهم ما راينا احدا كل
ذلك وانا واقف اسمع وحمدت الله الذى اخرجنى قبل وصولهم
والا لو وصلوا الى الباب قبل خروجى كنت اول قتيل فحين سمعت
منه هذه القصة تعجبت غاية العجب وعلمت ان الخصيان لا
ينفعون الا مع عدم غرض النسآء ومتى كان للمراة غرض لا يقدر
الخصى ان يصنع شيا فانظر يا اخى كيف وقعت هذه القصة من هذه
المراة مع انها ام ملك ولو وقعت من غيرها لكان للكلام فيها مجال
فكيف بهذه وبالجملة فالنسآء لا خير فيهن الا من حفظها الله ورحم
الله من قال

من الطويل

ففيهن من تسوى ثمانين بكرة　　وفيهن من تغلو بجلد حواره
وفيهن من تاتى الفتى وهو معسر　　فيضحى وكل الخير فى صحن داره
وفيهن من تاتى الفتى وهو مُوسِرٌ　　فيصبح لم يملك عليق حماره

وفيهن

وفيهن من لم يستر الله عرضها   اذا غاب عنها الزوج راحت لجاره
فلا رحم الرحمن خائنة النسآء   واحرق كل الخائنات بناره

وليعلم ان كل مصيبة تقع اصلها النسآء فكم بسببهن قتلت ملوك وخربت ممالك وسفكت دماء فهن لنا شياطين على حد قول الشاعر

ان النسآء شياطين خُلقن لنا   نعوذ بالله من شر الشياطين

غريبة مقتضى انهم جعلوا الخصيان لصيانة الحريم عن الرجال ان الخصيان امنآء عليهن من طرف السيد والامر بخلاف ذلك فقد راينا منهم من عنده عدة نسآء يتمتع بهن واول من رايت عنده ذلك محمد كُرّا الذى اسلفنا ذكره وحكى لى من أَثِقُ به انه لما راى الغلب عليه فى قتال السلطان محمد فضل كان عنده امراة من اجمل النسآء فذبحها بالليل قبل موته لئلا يُحظى بها غيره وهذه نهاية الغيرة ورايت فى دار فور وفى الواداى كثيرا من الخصيان كل منهم حائز نسآء عديدة وسالت من اهل الخبرة ما يصنعون بهن وهم كهن من حيث ان اعضاء التناسل مفقودة فقيل لى انهم يساحقون النسآء ويشتد بهم الحال وقت المساحقة حتى انه يعضّ الانثى وقت الانزال عضا مولما وكنت اذ ذاك لجهلى بعلم الطب أُصدّق ذلك لكن الآن لا

اصدقه لان وظيفة العضو قد فقدت بفقده والعلة تدور مع
المعلول وجودا وعدما وكنت سالت اهل الخبرة عن كيفية
الخصى فاخبرني بعضهم انه يوتى بمن يراد الفعل به فيضبط ضبطا
جيدا وتمسك المذاكير وتستاصل بموسى حاد ويوضع في ثقب
مجرى البول انبوبة صغيرة من صفيح لئلا ينسد ويكون قد
سخن السمن على النار تسخينا جيدا حتى غلى ثم يكوى به محل القطع
وبعد ان يكون محل القطع جرحا حديديا ينقلب جرحا ناريا ثم
يداوى بالتغيير عليه بالتفتيك والاربطة حتى يُشفى او يموت ولا
يشفى منه الا القليل فان قيل ان في هذا تعذيبا للحيوان
الناطق وقطعا للتناسل المامور بكثرته شرعا فهو حرام قلت
نعم قد صَرَّح غير واحد من العلماء بحُرمته خصوصا جلال الدين
السيوطي رحمه الله فانه صرح بالتحريم في كتابه الذي الفه في حرمة
خِدْمة الخصيان لِضَريح سيد ولد عدنان لكن الحرمة على
الفاعل وانما يخصي الخصيان قوم من المجوس وياتون بهم الى
بلاد الاسلام فيبيعونهم ويهادون بهم ولا يُخصَى على يد
المسلمين منهم الا القليل النادر واما استخدامهم بعد الخصى
فلا ضرر فيه بل فيه ثواب عظيم لانهم لو لم يستخدموا لحصل

لهم

لهم الضرر من وجهين الاول مما وقع عليهم من الخصي الموجب
لفقد اللذة العظيمة وقطع التناسل والثاني من ضيق المعيشة
فان قيل اذا كان الامرآء كالملوك ومن يجري مجراهم يجمعون كثيرا من
النسآء في دورهم وكلهن شابات ومن المعلوم ان الغيرة موجودة
فيهن كما هي موجودة في الرجال لانهن شقائقهم فكيف يعاشرن
بعضهن خصوصا اذا احب الرجل واحدة منهن واعرض عن غيرها
قلتُ ان العداوة واقعة بينهن على قدر احوالهن فكل منهن تتمنى
ان يخلُ لها وجه زوجها ولا يالف سواها لكن لما كُنّ تحت قهر
الزوج خصوصا ان كان ملكا يُخفين البغضآء ويظهرن المودة
وهذه عادتهن في اخفآء ما يُبطنّ واظهار ضده ولا يَظْهَر ما
اخفت المراة منهن الا اذا زاد خوفها وملكت رُشْدَها وح تظهر
ماكان كامنا في صدرها فان قيل ما رتبة نسآء السودان في
الجمال قلتُ اعلم ان نسآء السودان على اقسام في ذلك ومن
المعلوم ان كل قبيلة يوجد فيها الجميل والقبيح لكن هناك قبائل
يوجد فيها الجمال اكثر واخرى يوجد فيها النشوة اكثر واقل قبيلة
في دار الفور بالجمال هم التَمُورْكَة لانهم وحشيون اهل جبال وسوء
معاش وكذا الكَرَاكِرِيت وقد ذكرنا سابقا ان قبيلة البِرْتِي

242

والبدوب اجمل نسآء من غيرها ويليها قبيلة البيقو والبرقو والمية والتنجور وانشوه قبائل الفور نسآء اعجام الفور ويليهم الداجو والبرقد والمسابيط كان في دار الوادائ قبيلتي ابت سنون وملنقا ومننقا اجمل الوادائ نسآء ويليهم الكوكة والمية وكنشرة واقبحها نسآء التاما ويليها البرقد والمسابيط والداجو ولا يقدر الانسان ان يساوى بين جمال اهل السودان وغيرهم من اهل بلادنا لاختلاف اللون **تنبيه** اجمل اهل بلاد السودان عموما من مشرقها لمغربها نسآء عفنو ويليهم اقرمة وبرنو وبستار واوسطهم الوادائ ويليهم الفور واقبحهم التنبو والكتكو وبالجملة فالجمال يوجد في كل قبيلة لكن قد يقل في واحدة ويكثر في اخرى وسبحان من خص من شآء بما شآء لا رب غيره ولا معبود سواه فما كل اسمر مسكا ولا كل احمر ياقوتا ولا كل اسود زبادا ولا كل لمّاع ماسا وان شئت قلت ما كل اسود فحما ولا كل احمر لحما ولا كل ابيض جيرا فقد يوجد في الاسود والاسمر من الجمال ما لا يوجد في الابيض الشاهق وكانّي بقائل يقول وهل تستوى الظلمات والنور او الظل والحرور لكن من الناس من تعشق في السمر حيث قال

وفي

من الطويل

وفي السمر معنًى لو تأملت حسنه لما عشقت عيناك بيضا ولا حمرا

واحب بعضهم السواد وبالغ حتى قال

من الوافر

أُحِبُّ لاجلها السودان حتى أُحِبّ لاجلها سود الكلاب

وكنت قديما مُغرمًا بهذا المذهب فقلت

من الهزج

يلوموني على حبي لسودا وما علموا السيادة في السواد

فقلت لهم دعوني لا تلوموا فان السودَ سادوا بالسواد

وجُلّ البيض لولا الحاجباتِ وخالُ الخدّ حالكُ في السواد

لما عُشِقوا ولا نُظِروا بعينٍ ولكنّ الفضيلةَ في السواد

وفي الاول السواد بمعنى السودد وفي الثاني بمعنى المال وفي الثالث بمعنى السواد الحقيقي وفي الرابع العالم الكثير وقال بعضهم

من البسيط

قالوا تعشقتها سودا فقلت لهم لونُ الغوالي ولون المسكِ والعُودِ

إني امرءٌ ليس حبُّ البيضِ مكرُمةً عندي ولو خلَتْ الدنيا من السُودِ

وقال الفاضل الشيخ عبد الرحمن الصفتي

من الكامل

بالروح اسمرُ نقطةٌ من لونِهِ تكسو البَياضَ من الجمالِ شِعارا

ولو استقلّ من البياضِ بمثلها لا اعتاضَ من ثوبِ الملاحةِ عارا

ما مِن سُلافتِهِ سَكِرتُ وانما تركتْ سَوالِفُهُ العقولَ حَيارا

حَسَدَ المحاسنُ بعضها حتى اشتهَتْ كلُّ المحاسنِ أن تكونَ عِذارا

وكنت عارضته بقصيدة منها قولي

من الرجز والكامل احق

الحقُّ ابيض دعْ مقالةَ معشرٍ   قد عاندوا واستكبروا استكبارا

وقال الصفتي ايضا

من البسيط

قالوا تعشقْتَها سمراً فقلتُ لهم   لونُ الغوالي ولونُ المسكِ والحَدَقِ

وما تركتُ بياضَ البيضِ عن غلَطٍ   إنّي من الشيبِ والاكفانِ في فَرَقِ

وتغالى بعضهم في مدح البياض وذم السواد بكلام يطول وقال من عاند في ذلك عميتْ بصيرتُه عن قوله تعالى فمحونا ايةَ الليل وجعلنا ايةَ النهار مُبْصِرةً ولكلٍّ وجهةٌ هو مُوَلّيها وللناس فيما يعشقون مذاهب

فصل في امراض السودان والماكولات وصحة الاقاليم والصيد وبعض الحيوانات

يجب على العبْد انْ يعلم ان الله خص كل اقليم بما لا يوجد في غيره وجعل في كل قبيلة خاصية لا توجد في غيرها ولذا اذا تغرب انسان من بلده لاخرى يكون هواؤها مخالف لهواء بلده تحصل له منشقات فيمرض حين يتغير عليه الهواء فربما مات وان لم يمت يطول مرضه ولا يصح جسمه حتى يعتاد بهواء البلد التي سكن فيها بعد طول المدة ولما كان الامر كذلك كان الاولاد الذين يتناسلون من ام واب فوراويين مثلا اطول اعمارا واقوى

بنيةً

بنيةً ولذلك ترى الرجل له عشرة من الولد واكثر أقوياآ أصحاآ
وكذا اعراب البادية هناك لا يموت الرجل منهم حتى يرى من ولده
عددا كثيرا فلو انعكس الامر بان تزوج فوراوي عربية او عربي فوراوية
ترى سلالته ضعيفة نحيفة لا يعيش منها الا ما قل وندر
وهذا مما يدل على ان في البلد والجنس خاصية لا توجد في غيرها
لان كل ولد يوجد من ابوين من نوع واحد وبلد واحد كان أقوى
بنيةً واعدل صحةً وترى من انعكس فيه الامر ضعيفا فاسد
اللون نحيفا ورايتهم في دار فور ودار وادای يستعينون على
صحة الطفل باخذ الدم فياخذون الطفل حين يستكمل اربعين
يوما من ولادته ويشرطون بطنه من الجهتين اعني اليمنى
واليسرى تشاريط كثيرة وينزل منه دم غزير وحين يستكمل
ثلاثة اشهر يفعلون به ذلك وان لم يُفعل به ربما هاج عليه
الدم فقتله واكثر امراض الاطفال عندهم المرض المسمى ابو لسان
وهو داء يعترى الطفل في غلصمته اى عند اللهات فتحدث له فيها
زائدة كلسان العصفور عند اصل
اللسان فيعالجونها بالقطع وصورة
الالة التي يقطعونها بها هكذا

وهي حديدة مركبة في يد من خشب ومعها قطعة خشبة ناعمة
فيدخل الطبيب الخشبة اولا حتى يوصلها الى المحل الذي فيه
الزائدة ويكون العليل قد ضبط ضبطا جيدا ثم يدخل الحديدة حتى
يصل راسها المعوج الى اصل الزائدة من الجهة الاخرى وتبقى الزائدة
بين الحديدة والخشبة ويتكأ عليها معا فتنقطع الزائدة بينهما
فيخرج الحديدة والخشبة معا فيرى على الخشبة قطعة لحم صغيرة
ويكون قد استحضر على قليل من النطرون وسحق جيدا بين حجرين ثم
يبل الرجل اصبعه ويجعله على المسحوق فيلتصق به ويدخله في فم
العليل بعد ان يكون قد ادخل الخشبة ان كان الطفل قد أثغر لكن
لا يوصلها الى محل الالم بل حتى تتجاوز اسنان العليل ثم يدعك محل
القطع بالمسحوق الذي على اصبعه دعكا جيدا فيبرء العليل بذلك
واذا ترك ابو اللسان المذكور أنحل جسم الطفل ونشأ عنه اسهال
عجيب فيكون سببا في قتله ويليه مرض اخر يسمى عندهم أم صُقُع
ولا يعتري الا الاطفال ايضا وهي استرخاء يقع في اللهاة وبثرة تحدث
فيها فلا يشرب العليل اللبن ولا ياكل ويصفر لونه فيدعون
له بالطبيب فياتي ويسحق النطرون كما تقدم ويضع الخشبة
وحدها في فم العليل ويدخل اصبعه فيرفع لهاته ويفقسا

البثرة

247

البثرة التي توجد فينزل منها دم وقيح ثم يغمس اصبعه مبلولا
بريقه في النطرون ويحك به البثرة واللهاة لكن يفعل ذلك ثلاثة
ايام فيبرء العليل وقد يقع الاسهال المفرط لكن ينظر في الطفل فان
كان ابن سنين ووجدوا المقعدة تبرز من محلها حكوها بشفقة
حتى فقئوا ما فيها من البثور وينزل منها دم كثير وقللوا ما كله
فيبرأ وان كان صغيرا كابن سبعة اشهر او ثمانية او نحوها كووه
حول السرة اربع كيات هكذا
اعني تكون السرة في الوسط ويكون الكي اعلاها واسفلها وايمنها
وايسرها وقد يعتري الاطفال المرض المسمى بالغزيل وهو مرض
ناشئ عن اصابة في المخ يترك الطفل يعبث بيديه ورجليه على
غير الحالة المالوفة واهل مصر كاهل تونس يقولون انه من الجان
حين يترك الصبي وحده في محل يعتريه هذا الحادث فيقتل في
مصر وتونس وبلاد العرب اطفالا كثيرة فاما اهل مصر يستعينون
في علاجه بالكتابات لاعتقادهم انه من الجان فياتون بمن له
شهرة في الرقى والعزائم والاقسام فيكتب العليل ويرقى
وهذا قد يصادف ان العليل يخو له وقد لا ينجع واما اهل
السودان فيعالجونه بالكي في الجبهة بان ياتوا بلب قصبة

من قصب الدخن وبلا مسوت بها النار حتى تاخذ فيها وتبقى
لها زهرة كزهرة الشمعة التي تُقَطّ فيكوون العليل بها فيبرء
لوقته ومن امراض الاطفال هناك أبُو صَفّير وهو مرض يعترى
الطفل فيفسد لونه ويصفر صفرة ظاهرة وهو المسمى في كتب
الطب باليرقان الاصفر وهناك امراض عامة الصغير والكبير فيها
على حد سواء فمنها الوِرْدَة وهي الحمّى ولا يكاد ينجو منها احد في
كل سنة وتتسلطن عندهم في ايام الخريف واول الربيع المسمى
عندهم بالدَرَتّ وهو وقت خريفنا وتتنوع فمنها حمى الوِرْدِ التى
تاتى في كل يوم في ساعة معينة ومنها حمى الغِب وهي التى تاتى يوما
ويغيب يوما ومنها حمى التثليث وهي التى تاتى بعد كل يومين
ومنها حمى الرِبْع وهي التى تاتى بعد كل ثلاثة ايام وهي اقوى انواع الحمى
واقل منها بدرجة حمى التثليث ومنها الحمى المُطبِقة وهي التى لا
ترتفع عن صاحبها الا بالشفاء او بالموت وتسمى في مصر بالنُوشة
وهي في عرف الاطباء الآن التهاب معدىّ معوى وكلها عند اهل
السودان تسمى بالوِرْدة لا يميزون فيها ومن الامراض العامة
الوبائية عندهم الجُدَرِى وهو عندهم كالطاعون في مصر
ويشتد خوفهم منه لانه قَتّال جدا وكل من مرض به منهم

اخرجوه

اخرجوه من البلد الى محل اخر في الخلآء وبنوا له عشة تسمى عندهم
بالكَرَّابَة وتركوا عنده من يخدمه ممن يكون قد مرض بالجدرى
وكلما مرض اخر نقلوه اليه وهكذا وهذا هو الكُرَنْتِينة بعينها
تنبيه اخوف اهل السودان من الجدرى اعراب باديتهم لان الجدرى
ان دخل في حي من احيائهم افناه فلذلك تراهم اخوف الناس منه
ولقد اخبرني رجل من اكابر البِرْقِد يقال له عثمان وَدْ عَلّوان انه كان
مرض بالجدرى وقاسى ما قاسى ثم شفاه الله فلما قشر جُدَرِيُّه
وقبل ان يندمل صار يوذيه الذباب فكان يتلثم لاجل ذلك قال
بينما انا ذات يوم متلثم واقف على باب دارى اذ رايت اعرابيا قد
جاء يمشي مشية الخائف فلما راني اقبل على حتى دنا مني وسلم على
ثم قال أَمَانَةٌ عليك هل في حلتكم هذه جدرى فقلت كفانا الله
شر الامانة ورفعت اللثام عن وجهي فحين راني صاح صيحة
عظيمة وسقط الى الارض فجاء لصيحته اخوانه من الاعراب فرفعوه
وذهبوا به وكنت انا حين جآء اخوانه فررت لئلا يقتلوني
فبلغني بعد ذلك انه مات بعد ثلاثة ايام ومن خرافات اهل
السودان انهم يقولون ان الجدرى حيوان لا يشاهد الا اثره
يعلق بالانسان فيقتله وسمعت من كثير منهم انه راى اثره

ويتواطئون على ذلك ويصدق بعضهم بعضا وسالتهم من اثره
كيف هو فقال اثره نُكَتٌ مستديرة متوالية هكذا ...... على
سطر واحد فكل بيت اصبحنا ورأينا ذلك الاثر دخل فيه نجد اهلَه
قد اصيبوا **عجيبة** اخبرني القاضي الدليل قاضي القضاة بمملكة
الوادائ حين جاء الى القاهرة سنة ١٢٥٧ ان المرض المسمى بالهيضة
واهل مصر سموه الهوا الاصفر الذى كان اتى الى مصر من الحجاز
سنة ١٢٤٧ ذهب الى بلادهم واخربها وقتل منها عالما كثيرا وكنا نظن
انه لا يصل الى هناك فسبحان الفعّال لما يريد لا معقِّب لحكمه
ومن الامراض العامة الكثيرة الحصول عندهم المرض الافرنجي ويسمى
عندهم بالجِقَّيْل وكثرته بينهم لكثرة الفساد وليس له عندهم
دواء الا الكي وصفة هذا الكي انهم ياتون بحديدة وهي المسماة عندهم
بالحَشَّاشة وهذه الحديدة مستطيلة مفرطحة عرضها بنحو
قيراطين وطولها بنحو خمسة قراريط او ستة فيحموها بالنار حتى
تحمر ولها صورة انبوبة مركبة في وسطها عرضا فاذا احمرت الحديدة
اخرجوها من النار وصبوا على الانبوبة ماءً قليلا ثم يدخلون في
تلك الانبوبة عودا يرفعونها به ويكوون به المحل الذى ظهر فيه
الداء من غير استثناء ومتى ما شُهِد هذا الداء على احد وله اهل

كووه

كووه ولو قهرا عنه وبهذه المعالجة شفاه الله باقرب زمن وهذا
المرض في كُرْدُفَال اكثر من دار فور ودار فور اكثر من الواداى حتى انه فى
الواداى لا يسمع بانسان مرض بهذا الداء الا نادرًا وسبب كثرته
فى كردفال ان من اصيب منهم به يعتقد انه كلما اعدا غيره به يخف
عنه ماهو فيه ولم يدر انه لو اعدا مائة الف لم ينقص مما هو فيه
شئ فترى المريض منهم سواء كان امراة او رجلا يعدى خلقا كثيرا
فلذلك كثر عندهم وفى دار فور وان كان كثيرا لكنه لما كان منهم من
لا يستحى ان يراه الناس مريضا فيعدى غيره وهو قليل ومنهم من
يستحى من ذلك فيجلس فى بيته حتى يبرء وهو كثير فقل عندهم واما
فى الواداى كل من مرض به لزم محله حتى يبرء فكان وجوده نادرًا ومنه
الحَصَر وهو السيلان الابيض ومثله الهَبُوب وهو ريح ينعقد
فى البطن السفلى من المراة او الرجل واكثر ما يوجد فى النسآء
ويقولون انهما مُعْدِيَانِ ومن الامراض الفاشية عندهم الجُذام
وهو تاكُلُ مارِنِ الانف واطراف الاصابع وكذلك البرص الا انه
اقل ومنها ابو الصفوف وهو ذات الجَنْب وعلاجه عندهم
بالتشريط على الاضلاع فيشرطون اربعة صفوف او خمسة كل
صف اربع شرطات او خمس هكـــذا

⁂ ⁂ ⁂
⁂ ⁂ ⁂
⁂ ⁂ ⁂
⁂ ⁂ ⁂
⁂ ⁂ ⁂

ويدعكون المحل بعد التشريط بمسحوق النطرون فينزل من الفتحات
دم كثير فيبرء المصاب ومنها **الفرنديت** وهو كثير عندهم ويسمى
في مصر بالفرتيت وهو ورم يحدث في الساق او اليد او في محل اخر
فيتكون فيه قيح فيبعج ويخرج من محل البعج خيط ابيض طويل اشبه
بالعصب الا انه غير متين كالعصب والظاهر انه حيوان لانه
يخرج ويدخل وعلاجه البعج والتدفية بورق العشر المدهون بالسمن
المسخن على النار ومن الامراض العضوية عندهم **السوتية** وهي
مرض يخص الركبة وهو ورم كالفرنديت الا انه لا يظهر له خيط
ويتكون داخله قيح كثير ولا يبرأ حتى يبعج المحل بعجا غائرا ثلاثة
صفوف في كل صف ثلاث بعجات او اربع فينزل منها قيح كثير
وبالتدهين بالسمن والتدفية يبرء العليل ومنها **الذقري**
وهو مرض يخص الساق على طولها وهو ورم كورم السوتية الا ان
هذا يمتد على قصبة الساق وذاك مقصور على الركبة وعلاجه
كعلاج السوتية الا ان البعج يكون صفين من وحشية الساق
وصفين من إنسيتها ومن الامراض عندهم التي تصيب الاطفال
الحصبا والبرجك وهي القرمزية ومن الامراض العامة وجع
الطحال اعني كبره و **الاستسقاء** بانواعه واغلب الامراض

عندهم

عندهم الا الطاعون والسلّ فلا يوجدان وان وجد السل
فنادر واما الجراحة فمتقدمة بينهم لكثرة الفتن والحروب
فتراهم يخيطون الجروح حتى ان من خرجت امعاؤه يردّونها
ويخيطون عليها ويبرء وكذا يداوون الشجاج بانواع وهناك
ناس يسمون الشلاّكين يعملون عملية الكتراتا من العين مع
المهارة التامة ولكن لا اعلم كيفية العملية ولا الالات المستعملة
عندهم لذلك واعرف منهم رجلا شهيرا يسمى الحاج نور غير انهم
لا يستعملون البتر ولا القطع ولا الاستئصال وامراض الادرة
قليلة عندهم هذا ما انتهى اليه علمي في ذلك واطباؤهم مسنوهم
فلا تجد فيهم طبيبا شابا الا نادرا ومن برع في صناعة الطب تهرع
اليه الناس ولو من مسافة ايام ويكرمونه اكراما تاما واكثر
علاجهم التشريط والكي ولا يستعملون من الباطن الا التمرهندي
والعسل النحل والسمن البقري عجيبة اخبرني شيخي الفقيه
مدني الفوتاوي عليه سحائب الرحمة انه كان اصيب بالنقرس
الذي هو وجع المفاصل وهو المسمى في كتب الطب بداء الملوك
وان اعرابيا من البادية وصف له الوقوف في السمن البقري فقال
امرت باحضار كثير من السمن البقري وسخن على النار حتى ذاب

ذوبانا تاما فنزل عن النار وترك الى ان هدأ وصار يتحمله الانسان
وربط الحبل في سقف البيت وصارت طرفاه بيدي وأفرغ السمن
في قصعة كبيرة وغسلت رجلي ووقفت في السمن ومسكت
الحبل المذكور فكان معينا لي على طول الوقوف قال فلم اشعر الا والسمن
يسري في جسمي كسريان السم غير انه اولا صعد الى ساقي ثم الى
ركبتي ثم الى فخذي ثم سرى في النصف الاعلا فصرت أحس به
يصعد في جسمي شيا فشيا حتى وصل الى عنقي فاخذني دوار وغشي
علي وكدت اسقط فتلقاني الخدم ودثروني في ثيابي واضجعوني
على فراشي وانا لا اشعر بشي من ذلك فقلت نهاري كله وليلي كذلك
ثم افقت عند الصباح وانا ناشط كانما حللت من عقال ورايت
انه خرج مني عرق كثير كريه الرايحة وبذلك شفاني الله واخبرني غير
واحد ان اهل البادية كذا يفعلون حتى بلغ هذا الخبر مبلغ التواتر
ولكونهم يتعاطون السحر كثيرا يتداوون بالكتابة وعندهم اناس
مشهورون بذلك واكثرهم شهرة فلانا وكيفية الولادة عندهم
انه اذا اخذ المراة الطلق اتاها بعض العجائز من النساء وربطوا لها
حبلا في سقف البيت فتمسكه وهي واقفة وتعتمد عليه كلما
اشتد بها الوجع وتفرج بين رجليها حتى يسقط المولود فتتلقاه

احدى

احدى النسآء الحاضرات وتقطع سُرَّهُ و تَضجُعن النُفَسَآء على
فراشها فاذا تم للولد اسبوع عملوا له عقيقة كل انسان على
قدر حاله فتجتمع النساء عند النفساء والرجال مع الرجل ويكون قد
ذبح شاة فتاكل النسآء والرجال لحم الشاة ويسمون المولود ثم
يتفرقون ويطعمون النفساء في ذلك الاسبوع عند الصباح المديدة
وهي الحريرة بلغة اهل مصر والحَسُوُّ بلغة اهل المغرب والكَرَيْمْ
بلغة الافرنج وعند الظهر لحمَ دُجاجة ان كانوا اغنياء فان كانوا
فقراء المديدة ايضا وهي مركبة من دقيق الدُخْن ودقيق التَبَلْدِي
او اللَجَلِيج فان كانت من اللجليج كان بها مرار وان كانت من التبلدي
كانت حامضة فان تم للمولود شهران او ثلاثة حملته امه على
ظهرها وربطته بثوبها ويسمى ذلك الحمل قُوقُو فتحمله كذلك
وتذهب الى شؤونها من زرع وماء وحطب حتى يشب
ومن عادتهن انهن يُرضعن اولادهن حولين فاقل كالاسلاميين
ولا يُزَوِّجْنَ بناتِهم الا اذا بلغت البنت الحُلُمَ وعرفت منفعة
الرجال ولقد مكثتُ عندهم سبع سنين ما رايت عروسا
تزوجت قبل بلوغها وانْ عقِدَ عقدها قبل البلوغ لا يبنى
بها الرجل الا بعد بلوغها لان عادتهم ان الرجل يملك ويترك

مدة فنهم من لا يبني بعرسه الا بعد سنتين ومنهم بعد ثلاث
والمستعجل منهم يبني بعد سنة لانهم لا يملكون عليها الا إذا
نهزت البلوغ هذا في البكر واما الثيب فيبني بها الرجل يوم
ملاكه اوغده واما قراة القران فمتاخرة جدا لانهم لا يقرؤون
القران الا بالليل في المكاتب فيكون الصبي في النهار سارحا بماشيته
من غنم او بقر وبعد ان يرجع في المساء ياخذ لوحه ويذهب الى
المكتب وعلى كل صبي الاتيان بالحطب يوما فيقيدون النار
ويحيطون بها فيستضئون بضوئها وعلى ذلك الضوء يحفظون
ويكتبون وحفظهم غير جيد فلذلك قل من يحفظ القران منهم
حفظا جيدا واما قراة العلوم فمتاخرة ايض لعدم العلماء واكثر
قراتهم للفقه والتوحيد واما المعقول فقليل جدا ومع قلته لا
يقرؤون الا قليلا من النحو واما المعاني والبيان والبديع والمنطق
والعروض فلا يعرفون منه الا الاسم ومن يعرفه منهم يكون
قد تغرب لبلد اخر كمصر وتلقاه فيه فاذا رجع الى بلده كان
هو العالم واكثر ما يعانونه الروحاني والسحر ويسمون علم
السحر علم الطب ومن مهر فيه سمي طبابي وهذا العلم يوجد
عند الفلان اكثر من غيرهم وقد نذكر ما وقع من الفقيه مالك في

اولاد

اولاد السلاطين وسحره اياهم حتى رجعوا الى الفاشر بعدما
هربوا منه وما وقع من الفقيه تمرّو تنبيه اعلم ان دارفور
وان كانت كلها اقليما واحدا ومملكة واحدة هواؤها يختلف
واصحها القوز فلذلك تجد من فيه من اعراب البادية اقوياء
اجرياء لسلامة ارضه من العفونات والوخم لكن ماؤه قليل فقد
ذكرنا سابقا ان منهم من بينه وبين الماء مسافة يومين واكثر
ويليه في الصحة بلاد الزغاوة المسماة بدار الريح فلذلك تجد الزغاوة
والبديّات القاطنين بها في غاية القوة وسلامة الاعضاء
وارداها هواء الصعيد لكثرة مياهها خصوصا جبال مرّة ووخمها
وعفونتها لكن لا تكون ارضه وخيمة الا على من لم يعتدها واما
المولودون فيها تراهم اصحاء اقوياء لكن عندهم الحمى كثيرة واردى
من الصعيد المدن واقواها الفاشر ويليه كوبيه وكبكابية
واما سلا وفنقرو وبيكا ونتالا فاوخم الاماكن كلها لكثرة الرطوبة
عندهم واستمرار الامطار لانها لا تنقطع في السنة الا مدة شهرين
او ثلاثة ومع ما في دار الفور مما ذكرناه من الامراض كل منهم يحب
وطنه ويالف سكنه واذا تحول الى غيره يبكي عليه ويتمنى الرجوع
اليه وهذه غريزة جُبل عليها الانسان وانطبع عليها الجنان

من قديم الزمان فلذلك كان المصطفى صلعم يحن الى مكة حنين
المشتاق ولولا ان الله امره بسكنى المدينة لاقام بمكة بعد الفتح
بالاتفاق لكن من حيث ان امراض بلاد السودان لم تكن وبائية قتالة
كانت اعمارهم اطول من اعمار غيرهم فلذلك تجد فيهم المسنين حتى تجد
من تجاوز المائة وعشرين واما ابناء السبعين والثمانين والتسعين
فلا يكاد ان يحصرهم العد ولا يوقف لكثرتهم على حد هذا مع ما
ابتليوا به من الفتن والحروب والمحن لان كل قبيلتين منهم بينهما
دم مسفوك وثار مطالب به غير متروك كما بين البرتي والزيادية
وبني عمران والميمة وفلاتا والمساليط والمسيرية الحمر والرزيقات
والمجانين وبني جرار والزغاوة والمحاميد مما لا يكاد يحصى هذا
خلاف فتن الملوك وخلاف ما يصير من القتل في مجلس الشراب
او في المعاندة على الكواعب الاتراب ولولا ذلك لكانوا في الكثرة
كياجوج وماجوج وضاق بهم الفضاء والمروج فان قلت اذا كان
الامر كما ذكر فما بال النساء العجايز قليلة مع انهن لا يقاتلن
ولا يحضرن حروبا فلو كان ما ذكر صحيحا في عدم كثرة الرجال كان
وجود النسا المسنات كثيرا مع انهن مثلهم او اقل قلت لما
كن يجزن على من قتل لهن من الرجال ويتحملن بعدهم الضر والنكال

كن عُرْضَة للامراض المُرْدِيَة الجالبة للمنية بسبب ما يحصل
لهن من الانفعالات النفسانية ومع ذلك هن اكثر من الرجال
المسنين ولقد كنت في بلدة اقل عمارا وسكانا وهي ابو الجُدول
ورايت فيها من المسنين والمسنات كثيرا وكلما دخلت حلة
ارى فيها اكثر من ذلك مع ان معيشتهم في غاية الانحطاط ولو تناول
منها احد من اهل بلادنا مرة واحدة لذهب منه النشاط لان
اكثر مآكلهم اما مُرّة او متعفنة ويرون ان هذه هي النِعْمة المستحسنة
وكنت حين حللت ببلادهم ولم اعتد باعتيادهم صنعوا في الدار
وَيْكَة ودعوني ان اكل منها فابيت ولما سمع الذي بذلك قال لي
حيث لم ترض ان تاكل من هذا الأُدُم لم جئت هنا وصار متحيرا
فكان يتكلف ويصنع لي ارزا بلبن ولما توجهت الى الفاشر ونزلت
في بيت الفقيه مالك الفوتاوي حضر العشآء فرايت الادم مرا
فسالت ما هذا فقيل لي هذه وَيْكَة الهجليج فابيت ان اكل منها
فجاؤوني بادم اخر فشممت منه رائحة منتنة فقلت ما لهذا منتن
فقيل لي هذه ويكة الدَوْدَرِي وهي جيدة عندهم فابيت ان اكل
منها فاخبر الفقيه مالك بذلك فارسل لي لبنا حليبا عليه عسل
فاكلت منه ولما حضر في ديوانه للسمر قال لي لم تاكل من وَيْكَة

اللجليج والدودري فقلت له احداها مرة وثانيتهما متعفنة
فقال هذا هو الطعام الذي يصلح في بلادنا ومن لم ياكل هكذا
يخشى على نفسه من الامراض والدودري ويكة تتخذ من عظام
الغنم والبقر وسائر الحيوانات وهو انهم ياخذون عظم الركبة
وعظم الصدر ويجردون ما عليها من اللحم ثم يضعون العظام في
خابية ويتركونها اياما حتى تعفن فيخرجونها ويهرسونها في هاون
حتى ينهرس العظم في اللحم ويصنعونه كرات في جرم البرتقان
الكبير فاذا ارادوا الطبخ اخذوا قطعة من كرة وذوبوها في الماء
فان كان فيها قطع من عظم صفوها من مصفاة ثم صبوا ذلك
الماء في القدر ووضعوه على النار حتى يصير له قوام فياتون
بقدر صغير يقطعون فيه قليلا من البصل ويقلونه في قليل
من السمن ويضيفونه لذلك ويضعون فيه شيا من الملح
والفلفل والكمبا ان وجدت وهذا طعام لا يوجد الا في بيوت
امرآء الفور واما ويكة اللجليج فلا يخلو اما ان تكون من الورق
او من الثمر فالتي من الورق هي انهم يجنون الوريقات الطرية الحديثة
ويدقونها وتوضع في القدر على النار وتحرك بالمسواط حتى تمتزج
مع ما فيه من الماء والدهن وان كانت من الثمر فكيفيتها انهم

ياخذون

ياخذون الثمر وينقعونه في الماء ثم يهرسونه باليد حتى يذهب
لحمه كله في الماء وياخذون ذلك الماء ويصفونه في قدر فان كانوا
فقراء وضعوا عليه قليلا من الشحم واكلوا وان كانوا اغنياء
قادوا النار حتى يصير له قوام ثم عملوا تقلية كالتي ذكرناها في
الدَوْدري واضافوا لها لحما مدقوقا من القديد وصبوا فيها
الماء وتركوا الجميع على النار حتى يحصل الاستزاج التام فتنزل عن
النار وهذه من اعظم ماكلهم هذا طعام اغنيائهم واما فقراؤهم
فقد ذكرنا سابقا انهم ياكلون الدخن بغير تقشير وان ادامهم
قبيح جدا لانه اما كَوَلْ او ورق الهجليج الصغير الطري المسمى عندهم
بالنَيلُمُو او ثُفْل السمسم او ثمر الهجليج الاخضر المسمى عَنْقَلُو او ثمره
الناضج وملح كل مما ذكر الرماد المسمى بالكَنْبُو لقلة الملح وغُلُوِّه
واترف الفقراء من تكون له شياه او بقرة يحلب لبنها وياخذ زبده
وياتدم بمخيضه ولا يعرفون اللحم الا بعد اشهر ان ذبحت في البلد
بقرة او ثور واقتسموها فياخذ الفقير منهم قسما على قدر حاله
بامداد من الدخن لا بشيء اخر ولذلك تجد اكثر شبانهم يعانون
القنيص وقد ذكرنا سابقا ايضا انه في كل سبت يضرب الورناك
طبله وتخرج الشبان كلهم معه للصيد فكل منهم ياتي في المساء

بما تيسر معه لان غاباتهم فيها كثير من الحيوانات الوحشية
فاكثر ما يصيدونه الارنب ثم الغزال ثم ابو الحصين ثم بقر
الوحش وان وجدوا تَيْتَلاً مريضا او اخذوه على غِرَّة قتلوه
واقتسموا لحمه والتيتل حيوان وحشي على صورة البقر الاهلي
الا انه اصغر جرما فاعظمه كالعجل وله قرنان صاعدان مائلان
قليلا اما للخلف او للامام طولهما بنحو شبرين واقل ومع وحشيته
فيه نوع بُلادة فلا يفر الا من ناس كثيرين واما من رجُلين او
ثلاثة رجال فلا يفر بل يثبت مكانه وينظر اليهم نظر المتامل ومن
عادة الفور انهم اذا راوه ينادونه بصوتٍ عالٍ يا تيتل يا كافر
فيصير شاخصا اليهم كانه غير مكترث بهم فلا يبرح من مكانه
الا اذا يدنون اليه دنوًّا كليًّا ثم يمشي رويدا رويدا فان
راهم جدوا في طلبه هرول والفرق بين التيتل وبقر الوحش
المعتاد ان التيتل وان كان نوعا من بقر الوحش الا انه اصغر
جسما وقرونه تنبت معتدلة كقرن الغزال وبين القرنين من
اعلا انفراج كثير ولون التيتل اصفر كله واما البقر الوحشي فمنهم
الاسود والاصفر والابلق الذي لونه مختلط ببياض كثير وقرونه
كقرون البقر الاهلي في الغلظ والاعوجاج وجسمه كجسم البقر ايضا

وبهذا

وبهذا تعلم ان التيتل نوع من البقر وبينه وبين البقر الفروق
المذكورة وهناك اناس مشغولون بصيد الحيوانات لا حرفة
لهم سواها وكل منهم قد اعد لذلك عدّة فاما الشبان
فيستعينون على الصيد بالكلاب والسفاريك لاغير واما
الحداثون فيحتالون ومنهم طائفة الصيادين المذكورين لا حرفة
لهم سواها وهم على قسمين منهم من يتمحض لصيد ذوات الاربع
كالغزال وبقر الوحش والفيل والجاموس والضباع والسباع
والخرتيت ونحوها وهولاء يجتمعون فرقا فرقا كل فرقة منهم
خمسة انفار اوستة فياتون للطريق التي يمر عليها الفيل وغيره
حين وروده على الماء ويحفرون فيها حفرة عميقة اطول من
قامة ويدقون في مركزها وتدا مدبب الراس حاد السن كالرمح
ويصلّبون على الحفرة اعوادا ضعيفة ويغطونها بالحشيش
ثم يغطون الحشيش بالتراب فياتي الفيلة او السباع او بقر
الوحش او الجاموس او الخرتيت واردة للماء فتمر على تلك الحفرة
فمتى ما ثقل على الاعواد الوطء تكسرت تحت ارجلهم وسقط
في الحفرة منها حيوان او اثنان فمتى نزل الحيوان بثقله على الوتد
الذي في المركز دخل ذلك الوتد في لحمه فلا يقدر ان يتحرك حتى

ياتي صاحب الحفرة فيتمم قتله وياخذ لحمه بعد سلخ جلده
فيعملون اللحم قديدا وهو المسمى عندهم بالشراميط لانهم
يشرمطونه اي يقطعونه سيورا وياكلون منه طريا فان
كان فيلا اخذوا سنه وجلده وقددوا لحمه وان كان خرتيتا
اخذوا قرنه وجلده وقددوا لحمه وهذا القديد ياكلون منه
ويبيعون منه وكل فرقة لها جماعة في البلد يفتقدونهم في
كل اسبوع وياتونهم بما يحتاجونه من الزاد وغيره ويكون
معهم جمل يحملون ما يجدونه عندهم من القديد والجلود والقرون
وسن الفيل فياتون بالجلود فيعملون منها الدرق والسياط
ويبيعون العاج وقرن الخرتيت والسياط للتجار ويبيعون
الدرق للعسكر وهم قوم لا عهد لهم ويسمون الدَرَامِدَة
فلا يناكحونهم ابدا ولا يتزوج الدَرْمُودِي الا من جنسه ومنهم
من يتحيل على الصيد بان ياتي لمحل الوحوش وياتي بحبل من
قدمتين ويجعله خرتة واسعة فاذا مر عليه شيء من
الوحش ودخلت رجله في الخرتة وهي دائرة اشبه بالعروة
فرفع الوحش رجله انخرطت عليه وهي ماكنة الاوتاد فلا يقدر
الوحش على قطعها ولا قلعها فيمكث حتى ياتون اليه

فيقتلونه

265

فيقتلونه ومنهم من يعلو على شجرة يقيل تحتها الوحش ويكون
معه حربة او حربتان من الحراب
الواسعة الحادة التي هي هكذا
فيمكث في اعلا الشجرة حتى ياتي
الوحش ويقيل ويهدأ فينظر
لمن هو قريب منه ويطعنه وهو نائم في بطنه فتنفر باقي الوحوش
التي معه ويمكث المطعون فينزل اليه الصياد ويتمم قتله ومنهم
من يتمحض لصيد الطير واحسن طير يصاد عندهم الحُبارى وهو
طائر عظيم اكبر من الدُجاج الرومي لونه ابيض يميل الى الاصفرار والخضرة
يسمن في ايام الدرت سمنا مفرطا ويكون لحمه طريا لطيفا وهذا
يالف دودا معروفا عندهم وحشرات صغيرة فياتي الصياد
بذاك الدود او الحشرات ويكون معه خيط قد فتله من
العصب فتلا جيدا وهو رفيع لا يكاد ان يرى للطائر ويقصد
المحال التي يصيد فيها فمتى راى الصياد الحبارى في محل ربط حشرة
او دودة في خيط وربط الخيط في اسفل شجرة ويذهب الى الحبارى
فيسوقها وفي الحبارى بلادة لا تكاد تطير حتى يقرب الانسان
ان يمسكها فيسوقها لجهة الحشرة او الدودة حتى تراها فمتى

ما راتها هرعت اليها وابتلعتها ولما صارت الحشرة في حوصلتها
وارادت تذهب يمنعها الخيط من الذهاب فياتي الصياد
فيذبحها ويضعها معه ويربط في الخيط حشرة اخرى ان كان
هناك حبارى ويوجد ايضا طير اخر يسمى ابا طَنْطَرة وهو ابيض
وهو طائر اكبر من الحبارى بقليل وله في عنقه كيس طويل مخروطي
الشكل اسفله واسع واعلاه ضيق يبتلع الحشرات ايضا كالحبارى
ومنهم من يصيد الطيور الصغيرة بالشِباك وهذا اقل الدرامدة
كسبا لكونه يغرم جبًّا اذ العصافير وابو موسى وامثالها لا تقع
الا على الحبوب فياتي في المحل الذي يريد الصيد فيه بحيث يكون
قرب نهر او بركة وينصب شبكته وهي شبكة مربعة وصورتها
هكذا

ولها اربعة اوتاد وتدان منها

مربوطان

مربوطان لِصُقَ ركنيها ووتدان مربوطان في حبلين طويلين في
ركنيها الاخرين فيدق الاوتاد في الارض وفي قرب احد اركانها
الوحشي حبل متين طويل جدا فينصب الشبكة ويبذُرُ الحبَّ
امامها وياخذ طرف الحبل الطويل ويمكث بعيدا عنه فمتى نزلت
الطيور وكثرت على الحب كفأ الشبكة عليها بالحبل الذي في يده
وعيون الشبكة ضيقة جدا فلا يخرج منها عصفور ولا يفلت
منها شي فياتي صاحب الشبكة وياخذ الطيور منها فان كان
فيها ما هو غالي الثمن كالدُّرَّة او البَبَّغَا ونحوه اخذ ريش جناحيه
وتركه في مِكْتَلِهِ وان لم يكن فيها ذلك ذبحها كلها وبذر حبا اخر
وحين كنت هناك كانت لي شبكة وكنت اصطاد بها في بيتي
فطالما شبعت من العصافير بصيدي بها وهناك من هو مغرم
بصيد القرود والنسانس في الجبال ولا اعرف كيفية اصطيادهم
بها واحسن من ذلك كله الصيد بالبارود لان الانسان هناك
متى ما كان معه بندقة جيدة يشبع من لحوم الحيوانات بغير
مشقة ومن الاغنياء من يشتري من الدرامدة عبدا ولا يكلفه
الا بالصيد فلما نصح ذلك العبد اشبع سيده من اللحم ولقد
رايت عند شيخنا الفقيه مدني عبدا يسمى سعيدا مسنا فاخبرني

انه صياد واطعمنى لحم غزال وذكر انه من صيده وانه لابد له فى كل
جمعة ان ياتى له باللحم مرتين اوثلاثا فصرت اتمنى ان يكون لى عبد مثله
فما عثرت عليه وقسم متمحض لصيد الزراف والنعام وهم اعراب
البادية كالمحاميد والزبدة والعريقات بدار الوادای والمجانين
والزيادية وبنى جرار والعريقات بدار الفور وكل من هولآء يصطاد
على الخيل فاكثرهم صيدا اسبقهم جوادا ثم ان الانسان منهم اذا راى
صيدا وتبعه لا يقفو اثره بل يباريه حتى يحاذيه ومتى تمكن من فريسته
عقرها فاما النعام وان كان شديد العدو فيوجد من يلحقه واما
الزراف فلا يكاد يلحقه فى العدو فرس ولذلك لا يلحقه الا الفرس
الذى يمر كالريح واعراب البادية فى دارفور ودار وادای منعّمون
فيما يشتهون لا يحتاجون الا الى الدخن والذرة والملبوسات
لكن يشترون ما يحتاجونه من ذلك بما زاد عن كفايتهم من
السمن والعسل والمواشى وجلود الصيد والبقر والابل حتى انهم
يجلبون لدار الوادای ولدار الفور الاجربة والقرب وبطط وحبال
مصنوعة من سيور الجلد ويسمون هذه الحبال الجلدية بالوجج
والسياط وغير ذلك واما السمن فمن انعامهم والعسل فمن
الاشجار لان النحل يعشش فيها وهم يجتنونه والصيد كثير فلا ترى

ريش

ريش النعام عندهم لا قيمة له وكذا قرن الخرتيت وحين كنت
في دار الوداي جاء بعض التجار من فزان يطلب ريش النعام وطلب
من الشريف احمد الفاسي الذي توزر بعد ابي ان يكتب له كتابا الى
الشيخ شَوْشَو شيخ المحاميد بالوصية عليه وان يامر الاعراب
بالصيد له برفق في الثمن وكان معه خمسون ريالا من الفرانْسَا
فكتب له الشريف بذلك فاخذ الكتاب وتوجه الى المحاميد بدليل
من العرب ومكث هناك ما شاء الله ان يمكث ولما جاء اخبرنا
بانه حين وصل الى حيهم وسال عن بيت الشيخ دل عليه فنزل
في اكرم ضيافة وارحب نزلٍ ولما اراهم كتاب الشريف زاد الشيخ
في اكرامه وبالغ في التلطف واكبره وافرد له بيتا من الشعر بفرشه
وجميع ما يحتاجه ووكل وصيفا ووصيفة لقضاء مهماته وكان
ذلك التاجر اخذ معه هدية للشيخ المذكور فقدمها له فقبلها
منه واثابه عليها ثم ان التاجر سلم للشيخ الخمسين ريالا فطلب
الشيخ العرب وقال لهم هذا رجل غريب اضافني والتجاء الي ويريد
ريش النعام فمن كان له ارب في الريالات فليغدُ للصيد من
الصباح وكل من اتى بجلد ظليم فله نصف ريال ومن اتى بربداء فله
ربع ريال فاهتز العرب لمطلبه واصبحوا قانصين ففي يوم واحد

جاؤا بنحو عشرين ظليما فمكث عندهم نحو من عشرين يوما
فجمع فيها نحو مائة جلد ظليم وحملها له الشيخ على ابله وزوده
بزاد كثير وكان من جملة ما جاء به دهن النعام فانه جاء منه
بكثير واتى ومعه من العسل والكُنْياكُنيا والسَرْنَه والكَرْنوشى
كثير وباع في وارة الظليم بثلاثة ريالات ولم يبق معه الا نحو عشرة
من الجلود وربح ربحا كثيرا واما الزراف لا نفع في المتجر الا جلوده
يبيعونها واما لحمه فياكلونه طريا وقديدا ويوجد عند العرب من
الارز والدِفْرة والكُوَرَيْب والهَجْليج والترهندى والعسل والكرنو
والسرنة ما لا يوجد عند غيرهم واما اللبن فلا قيمة له عندهم
لكثرته ياخذون منه السمن ويرمون رائبه حتى ان من اتى الى
احيائهم وخصوصا احياء الرزيقات ومسيرية الحمر والحبّانية يجد
الغدرات والبرك القريبة منهم كلها لبنا

فصل في معاملة اهل دار فور

قد تقرر في علم التوحيد
ان الحق تعالت اسماؤه غني عن المحل والمخصص فهو صاحب
الغنا المطلق لا يحتاج الى احد من خلقه وجميع الخلائق لفضله
محتاجون ولنواله سائلون وعلى ابواب رحمته مزدحمون فنظر
اليهم بعين رحمته ووهب لكل منهم ما يقوم به وبعائلته وفضّل

بعضهم

بعضهم على بعض في الرزق فجعل منهم الملوك ومنهم الغني ومنهم
الصعلوك وجعل لهم اسبابا يتبعونها في طلب الارزاق وامر
بالسعي والاجتهاد خوف الاملاق ومن عظيم منّته ان جعل
البيع والشرآء حلالا بين الناس لينالوا ما في نفوسهم ويذهب
عنهم الباس فجعل في البلاد المتمدنة النقدين قرة للعين يتنالون
بهما ما يحتاجونه من امور معاشهم ويضطرون اليه في ارتياشهم
وخص سبحانه وتعالى كل مملكة بسكة معروفة ودراهم ودنانير
بينهم مالوفة لكن لمّا كانت اهل السودان في بُوُن عن التمدن
العظيم وفي ظلمة وحشية كالليل البهيم كان اغلبهم لا يميز
الذهب من النحاس ولا القصدير من الرصاص حتى من كان
في بلادهم معدن الذهب يبيعونه تبرا ويرون ان بيعه كذلك
احرى وسيما مملكة دارفور ليس بها شي من المعادن الا ما
جلب اليها من الاقطار حتى ان اعظم حلي نسآئهم كما تقدم من
انواع الاحجار فهم جديرون ان يكونوا بمعزل عن المعاملة بالفضة
والنضار لكن لما وطئت بلادهم التجار وتمصرت بالمتاجر فيها
الامصار احتالوا الى سكة بها يتعاملون ويشترون بها ما يشتهون
فانقسموا في ذلك اقساما واذهب كل قسم منهم بما اصطلح

عليه من المعاملة اولاً فاولها الفاشر وهو مقر السلطنة وتخت
المملكة جعلوا من القصدير خواتيم يشترون بها ما يحتاجونه
من لحم ودجاج وطيب وحطب وخضراوات وغير ذلك وتسمى
بالفوراوية تارنيه وهي على قسمين غليظة وتسمى تارنية تونقانية
ورفيعة وتسمى تارنيه بيّنا يتعاملون بها في سفاسف امورهم كما
ذكرنا والامور المهمة يتعاملون فيها بالتكاكي جمع تُكّية وهي شقة
من غزل قطن طولها عشرة اذرع وعرضها ذراع وهي على نوعين
شيكه وهو منسوج خفيف غير مندمج وكنكات ومنسوجها
ثقيل مندمج فمن الاول كل اربع تكاكي بريال فرانسا ومن الثاني كل
اثنين ونصف بريال فرانسه وما عدا ذلك فبيعهم كله استبدال
شي بشي والامور العظام عندهم تباع بالرقيق فيقال هذا الفرس
بسداسيين او بثلاثة سداسيا والسداسي عندهم العبد الذي
اذا قيس بالشبر من كعبه الى شحمة اذنه كان طوله ستة اشبار
والسداسية كذلك وقيمة السداسي من التكاكي ثلاثون تُكيه ومن
الشواتر الزرق ستة والبيض ثمانية ومن البقر ستة ومن الريالات
فرانسا عشرة ريالات وكل انسان يشتري بما عنده ولا يعرفون
المحبوب ولا القرش ولا الفرانك ولا الخيرية ولا شي من معاملات

اهل

اهل المدن سوى الريال الفرانسا المسمى عندهم ابا مدفع واما
اهل كوبيه وكبكابيه وصرف الدجاج فانهم يتعاملون بالحرش
وهو خرز ليس بالغليظ ولا بالرفيع منه اخضر ومنه ازرق يعمل
سبحا كل سبحة مائة حبة وقد قدمنا الشرح عليه في حلى النسآء
وزينتهن فيتعاملون به في سفاسف الامور عوضا عن التارنيه
في الفاشر ومن العجايب ان التارنيه في هذه الاسواق الثلاثة
لا تسقى شربة مآء بل المعاملة بالحرش من خمسة حبات الى
مائة ومن سبحة الى عشرة الى ما لا نهاية له وقيمة التكية عندهم
ثمان سبح وبقية الاحوال كالفاشر واما قرلي وما ولاها فيتعاملون
بالفلقو وهو ملح صناعي مستخرج ترابا من الارض ويصبون
عليه المآء على غالب ظني لرسوب الاوساخ والاتربة ويصفى
ويقطرون مآءه لتقصر هذا الماء ويتلقون المقطر منه في قوالب
كالاصابع فيجمد بعد برودته ويصير كالاصابع وقد شاهدت
محال استخراج هذا الملح ورايت اواني التقطير ويشابهون
البرام الافرنجية ولا نعلم من اوصل هذه الصناعة اليهم واهل
البلد لا يعلمون ايضا بل قصارى امرهم اذا سئلوا وقال لهم قائل
من علمكم هذه الصناعة ان يقولوا شيء وجدنا آبائنا يفعلونه

ففعلناه ولا نعرف اول من صنعه ولقد عاملت بهذا الملح
واشتريته وله لذة عجيبة في طعمه تخالف لذة الملح الطبيعي
الا انه غير شفاف وفيه سمرة وانواع الملح في دارفور ثلاثة
زغاوي وهو ملح طبيعي يخرج من بئر الزغاوي وقد قدمنا ذكره
وميدوبي وهو ملح طبيعي ايضا الا انه لونه احمر كالدم وقد
يستخرج قطعا كبارا كالحجار الطاحون في العظم والاستدارة
وثقله لا يحمل الجمل منه الا حجرين وله طعم لذيذ اكثر من النوعين
الاخرين واغلا ثمنا منهما ولا نعلم ما سبب احمراره وبالجملة
فاغلا الاملاح الميدوبي واوسطها الفلقو وادناها الزغاوي
فاهل سوق قرلي وما والاها يتعاملون بالملح الفلقو في سفاسف
امورهم كالحرش في كُوَبْنَهْ والتارنيهْ في الفاشر ولا يباع عندهم الملح
بكيل ولا وزن بل بالاصابع فيباع هذا الشي بفلقو به بفلقوتين
بثلاثة فلقويات وهكذا وباقي الامورهم كغيرهم واما سوق
كُبَيْتا فيتعاملون فيه بالدخان ويسمى بلغتهم تابا كما يسمونه
الافرنج وهذا الاتفاق من العجائب ولا خصوصية لاهل دارفور
بل جميع السودان يسمون الدخان تابا واما اهل فزان واهل
طرابلس المغرب فيسمونه تبغا وفي سنة ١٢٣٢ رايت قصيدة

لبعض

لبعض البكريين في حل شرب الدخان واظن تاريخ كتابتها في
وسط القرن التاسع من الهجرة يقول فيها

من الطويل
وقد اظهر الله القدير بمصرنا نباتا يسمى التنبغ من غير مرية
بتاء مثناة وباء موحد وغين وضبط الغين فيها بفتحة

ومنها

شرحه
ومن يدعي التحريم جهلا فقل له باي دليل ام باية آية
وليس بها سكر ولا الله رمها فقولك بالتحريم من اي وجهة

ومنها

شرحه
فان تنتشق دخانها فترى الشفا فلا تنس باسم الله اول مصة
وقل بعد ذاك الحمد لله وحده لحمدك للمولى زيادة نعمة

انتهى وهذا التابا هو اقماع اهرامية الشكل مصنوعة من ورق
الدخان بعد دقه وهو اخضر في مهراس من خشب حتى يصير
كالعجين ويجعلونه اقماعا ويجففونها في الشمس وبعد جفافها
يبرزونها الى سوقهم ويتعاملون بها في سفاسف امورهم وهذا
الدخان قوي الرائحة يكاد اذا شمه انسان ان ياخذه الدوار ومن
هذه الاقماع منها ما هو كبير ومنها ما هو صغير فكبيرها كاكبر
الكمثرى وصغيرها كصغيرها واما كريو والريال والشعيرية

276

فانهم يتعاملون فيها بالرُبَط وهي ربط غزل من قطن طولها
عشرة اذرع وفيها عشرون فتلة لاغير فيتعاملون بالربط
في سفاسف امورهم ويتعاملون في الامور التافهة جدا بالقطن
كما يجتنى من شجرته اى بغلافته التي تخرج منها فيتعاملون بقطع
منه كاوقية واوقيتين وثلاث اواق على سبيل الحدس والتخمين
لا بالوزن والامور المهمة كباقي الاسواق واما سوق تُنْبُكْتُو وما
والاها فمعاملتهم بالبصل يشترون به جميع امورهم التافهة
والقطن ايض والربط وباقي امورهم بالتكاكي ولا يعرفون
الشواتر ولا الريالات واما سوق راس الفيل فبالحشاشات
وهي قطع من حديد مصنوع
صفايح ولها انبوبة وصورتها هكذا
فيدخلون في طرفها الانبوبي
قضيبا ويحرثون بها الزرع فتقطع الحشيش الذي في الزرع
ولذلك سميت الحشاشة فيتعاملون بها في سفاسف
امورهم وتافهها من حشاشة الى اثنين الى عشرين وما زاد
على ذلك فبالتكاكي والشواتر كباقي الاسواق واما تموركه
فمعاملتهم بدمالج النحاس وهي في مهمات امورهم وبالخدورى

سفاسف

سفاسف امورهم وقد تقدم تعريف الدمالج والخذور في حلي

النساء فلا اعادة واما اهل القوز فيتعاملون بالدخن في

سفاسف امورهم كلها كقبضة وحفنة وحفنتين الى نصف

مدّ الى مد وباقي امورهم المهمة بالتكاكي والريالات كباقي الاسواق

واكثر ما يتعاملون به البقر فيقولون هذا الفرس بعشر بقرات

او بعشرين فانظر ايها المتامل الى اهل مملكة واحدة كيف تنوعت

معاملاتها واختلفت احوالها فترى هولاء يرون شيا حسنا

وهولاء يرونه قبيحا والملك لا يحكم عليهم باجراء معاملة واحدة

في جميع الاسواق بل ابقى كل قوم على ما اعتادوا فسبحان الفعال

لما يريد ولنمسك عنان القلم عن الركض في ميدان المعاملات

لان ما ذكرناه فيه كفاية في الاعتبارات باب في ما

ينبت في دارفور من النبات وفي السحر والتعزيم وضرب الرمل وغير ذلك

اعلم ان الغني عن المتى والاين والكيف والمنزه عن الجور والظلم

والحيف قسم الاشيا وعدّلها وانزل كلا منها منزلها فجعل

في البلاد الشمالية البرد الشديد وفي الجنوبية الحر الذي ما

عليه من مزيد لكن لرحمته بعباده منّ على اهل الشمال بالدفء

بالملابس وبالاكنات التي لا يبرد فيها المجالس ونظر لاهل الجنوب
بعين الاسعاف والتلطيف فجعل المطر ينزل عليهم وقت اشتداد
المصيف ولما كانت ارض الفور من هذا القبيل وفي وقت الصيف
يشتد فيها الغليل كان مدرار الوبل مطفيا لوهج ذلك الحرور
لطفا من العزيز الغفور فيزرعون على مطر الصيف ويسمون
ذلك الفصل بالخريف فلذلك على ظني لا يزرعون برًّا ولا شعيرا
ولا فولا ولا عدسا ولا حمصا ولا ينبت عندهم المشمش ولا
الخوخ ولا التفاح ولا الرمان ولا الزيتون ولا البرقوق ولا
الكمثرى ولا الترنج ولا الليمون الحلو ولا البرتقان ولا اللوز
ولا البندق ولا الفستق ولا الجوز ولا الزعرور ونحو ذلك بل
يزرعون الدُخْن وهو حب صغير اصغر منه يقتاتون
هم ودوابهم ومواشيهم فهو الغذاء الرئيس عندهم ويزرعون
الذُرة على اختلاف انواعه ويسمى عندهم المَارِيْق وهو انواع
فنوع منه يسمى العَزِير وهو الذرة الحمرا ونوع يسمى أبَا
شَلُوْلُو وهو الذرة البيضا ونوع يسمى أبَا أبَاظ وهو الذرة
المعروفة في مصر بالذرة الشامي ولا يزرع القمح عندهم الا في
جبل مَرّة لكثرة الامطار فيه او في كوبيه وكبكابية ويسقونه من

الابار

الابار حتى يتم نضجه كما تقدم ذلك **والدُخْن** عندهم نوعان نوع
يسمى **دِنْبِي** وهو ما يزرعه اعجام الفور في الجبال وغيرها وهو
حب كالدخن المعتاد الا انه يميل الى البياض وسنبلهُ اغلظ منه
وينضج زرعه قبله بنحو عشرين يوما وهو قليل في سهل دار
فور ولا يالفونه كالدخن الاصفر واما انواع الذرة فلا يالفون
منها الا الابيض ومع أُلفتهم له لا يكثرون من تناوله واما **ابو
اباط** فيزرعون منه قليلا للشهوة فياكلونه مشويا ولا يخزنون
منه حبا واما **العَزِير** فهو مبغوض عندهم لا ياكله الا الفقراء عند
الاضطرار وينبت عندهم في البرك والغدران **ارز** ينبت بدون
زارع فيجمعون منه ما قدروا عليه في ايام الربيع فيطبخونه
باللبن من قبيل الترفّه وعندهم نوع اخر يقرب من الارز وليس بارز
ويسمى **بالدِفْرَة** وهو حب صغير اصغر من حب الارز وفيه بعض
قرطمة شديد البياض يالفونه اكثر من الارز ويزرعون من
السمسم شيا كثيرا ومن العجيب انهم لا ينتفعون منه
بزيت بل ياكلونه حبا ويطبخون منه في اطعمتهم كما ان العسل
النحلي كثير عندهم ولا ينتفعون بشمعه بل ياخذون العسل
ويرمون الشمع وهم احوج الانام اليه والى زيت السمسم لانهم

يستصبحون في بيوتهم بالحطب ومع كثرة الحطب عندهم لا يفحّمون منه فحما ينفعهم ولا يعرفونه ويزرعون اللوبيا والبطيخ مع الدخن سواء فاما اللوبيا فهي كاللوبيا بارض مصر الا انها اكبر لانها عندهم تقرب من حب الفول المصري واما البطيخ فاكثره صغير الحجم كالبطيخ الذي يكون في اخر فصل البطيخ في المقثاة واذا كسر يكون غير نضيج لكن الذي في دار الفور مع صغره نضيج ولهم في البطيخ ثلاث منافع الاولى انهم ياكلون منه حال نضجه كما ناكل بطيخنا ويشربون ماءه كذلك الثانية انهم ياخذون البطيخة وينزعون قشرها بالسكين ثم يقطعونها اربع قطع ويتركونها حتى تجف فيخزنون منه من هذا القبيل شيا كثيرا وفي وقت الاحتياج يدقونه في مهراس من خشب حتى يصير دقيقا فيعملون منه حَسُوًّا يشرب وتسمى عندهم مديدة وهي المسماة بعرف الأُورُوبّا بالكريمة وربما اكلوا منه بغير دق ولا طبخ الثالثة انهم يجمعون من البزر شيا كثيرا ويخزنونه ويدقونه وقت الاحتياج وينسفون قشره ويأخذون اللب فيطبخونه في أُدُمهم او يعملون منه الكريمة ايضا ويزرعون البصل والثوم والفلفل وهو حب

والكُسْبَرة وحب الرشاد فى كوبيه وكبكابية وفى اودية
جبال الفور كما تقدم ويزرعون القرع بانواعه ويزرعون نوعا
من القثآء وفى كوبيه وكبكابية يزرعون الخيار والفقوس
الطويل والباذنجان والملوخية والبامية وفى غيرها لا
وهناك واد بين البلد المسمة بمربوطة والفاشر يسمى وادى
الكُوع يفيض وقت الخريف من كثرة الامطار فلا يعبره الا من يعرف
السباحة وفيه تيار شديد فاذا فاض هذا الوادى وطفا الماء على
شاطئيه ثم نضب ينبت فيه من البامية شى كثير فيهرعون
اليه من الجهات القريبة له ويجمعون تلك البامية ويجففونها
ويدّخرونها لادمهم العام كلها وهذا الوادى يشق دارفور بالعرض
من اولها الى اخرها ونشاؤه من جبال مرة وعلى شاطئيه سياج
من شجر السنط واذا فاض يعم من كل جهة من جهتيه ما
ينوف عن فرسخين الا فى بعض المحال ضايقته الرمال وسعته
فى بعض المحال كخليج مصر وفى بعضها اوسع بمرتين يسافر
المسافر على شاطيه نحو خمسة عشر يوما وانما ذكرت انه
بين مربوطة والفاشر لانى مررت به كثيرا من هناك والا فهو ممتد
كما ذكرت ويزرعون فولا قرونه تكون تحت التراب وليس

كالفول المسمى فى مصر السنارى الأن لان ذلك فيه الوان عجيبة
من احمر ناصع واصفر وابيض وبنى كما تقدم ذلك **واما الاشجار**
فليس عندهم من الاشجار المعروفة الا **النخل** وهو فى كوبيه وكبكابية
وسرف الدجاج ونملية كما تقدم ذلك فى التكلم على جبل مرة وفى نملية
بعض شجر من **الموز** وفى قرلى شجرات من **الليمون** الحامض وبقية
الاشجار الموجودة هناك كلها نابتة طبيعة فى الخلاء فاعظمها منفعة
الهجليج وله نوعان الهجليج الاصفر والهجليج الاحمر وذلك بحسب
لون ثمرها وهذا الثمر كالبسر الغليط والهجليج شجر يعظم كما يعظم
الجميز فى ارض مصر اوراقه بيضية قليلا وله ثمر حلو الطعم ببعض
مرارة وله رائحة خاصة به ولهذا الثمر غلاف يكون عليه وهو قشرة
ليست بالغليظة ولا بالرفيعة فينزعونها ويمصون الثمر مصا لانه
خشب مكسو بشئ كالطلاء يمتص ويبل بالماء فاذا ذهب صار
الخشب اى نواه ابيض وهو غلاف لشئ كالصنوبر هيئة وبياضا
وهو بزر الا انه اكبر منه حجما لكنه مر الطعم فيعطنونه فى الماء نحو
ثلاثة ايام ويغيرون ماءه فى كل يوم فتذهب مرارته وح بعضهم
يملحه بالملح وبعضهم يقلوه وبعضهم يطبخه بالعسل واذا كان
مملوحا كان طعمه كطعم اللوز المملوح وهناك نوع ثانى من الهجليج

وهو

وهو الهجليج الاحمر فياخذون لبّه بعد نضجه ويضيفون عليه الصمغ
ويعجنونه به فيصير حلوًا مرًّا لذيذًا وعلى الاطلاق ياكلون ثمر الهجليج
على كيفيات مختلفة ولشجر الهجليج هذا منافع لا توجد عندهم في
غيره من الاشجار لا يرمون منه شيا بل ينتفعون بجميع اجزائه فاما
ورق فانهم يطبخون الطري الغض منه في ادمهم واذا كان بانسان
جراح فيه دود يمضغون من هذه الورق حتى يصير كالعجين وينفخونه
في الجرح فينقى من الدود وينظف من اللحم النتن وياخذ في البرء واذا
أُخذ ثمر الهجليج وهو اخضر وهرس في مهراس حتى صار كالعجين نفع
كالصابون في غسل الثياب فان له رغوة كالصابون يُنقي الاوساخ
وينظف الثياب المغسولة به الا انه يصفّرها قليلا واذا لم يكن
وقت الثمر توخذ جذور الشجرة وتدق ويغسل بها فتفعل ذلك
وخشبه يستصبح به في البيوت بالليل عوضا عن السراج لانه لا
دخان له ومن خشبه تعمل الواح القرآءة ومن رماده يعمل الكَنْبو
وهو ملح سائل يوخذ من الرماد المذكور ويطبخ به الا ان به مرارا
وذلك عند اعوازهم للملح لقلته وغلوه **والنَبْق** وهو نوعان
عربي وكَرْنو والثاني اكبر حجما من الاول واكثر لحما ويخالفه في اللون
فان النبق المعتاد العربي اذا نضج احمر لونه والكرْنو اذا نضج اصفر

وهذا انفع من الاول ومن منافعه ان الثمر عجينه يمسك اطلاق
البطن وقبل ما يُدَق ويعجن يُنحت جلدته الظاهرة ثم يعملون
منه اقراصا ويجففونها وياكلونها واذا كسر نواه يوجد فيه
بزرتان في مسكنين والعرب ياخذون هذا البزر الصغير ويجففونه
في الشمس ثم يطبخونه بالعسل فيصير لذيذا ويبيعونه في دار
الفور ويسمى كَنْيكَنيا فيوكل كالحلوى واذا مضغ من به دود القرح
من ورق النبق الكرنو وازدرد ريقه قتل دود القرح واخرجه ميتا
والتبلدى وهو شجر عظيم ضخم اجوف الجذع ينبت في الفيافي
واهل البادية اذا اشتد بهم العطش في غير وقت الامطار ياتون
الى التبلدى فيجدون في تجويفه ماء مجتمعا من المطر فيشربون منه
ويذهب أُوامهم ولهذا الشجر ثمر مستطيل كبير كاللوز وفي باطنه
بزر احمر كحب الترمس في الحجم وكبزر الخروب في اللون الا انه فيه
دقيق ابيض حامض الطعم يستفّ منه فيوجد مرا والاستفاف
منه على الريق يقبض اطلاق البطن وتعمل منه الكريمة مع الدقيق
فتصير لذيذة وشجر الدُلب وهو المسمى في عرف مصر بالجوز
الهندى الا ان هذا الشجر لا يوجد في جميع دار فور بل لا يوجد الا في
الجهة الجنوبية منها ويسمى في عرف الفور بالدَليب وهو شجر

طوال

طوال كالنخل او اطول وينتج جوزا كبيرا اذا كسر غلافه وجد ما في
باطنه في غاية اللذة لاسيما قبل تمام نضجه فانه يكون كاللبن
مع الحلاوة واللذة ومن اشجارهم **الحُمَيْض** وهو شجر شايك
كاضخم ما يكون وله ثمر كالتفاح الكبير الا ان له عجما وفيه حموضة
لذيذة ولونه ابيض يميل الى الصفرة ومن اشجارهم **الدوم** وهو
شجر معروف في صعيد مصر ويسمى بالمُقْل ايضا ومن اشجارهم
العَنْدُرَاب وهو شجر متوسط في الطول والغلظ يحمل
ثمرا اشبه بعنب الذئب الا انه احمر قاني الحمرة ولا عجم فيه
وهذا الثمر حلو الطعم جدا ينضج في اول فصل الدرت اي الربيع
بلغتهم وهو اول فصل الخريف عندنا ومن اشجارهم **القِدَّيْم**
وهو شجر اشبه شجر الرمان يحمل ثمرا صغيرا اذا فلقتين عليه جلدة
حمرا ناصعة الحمرة في غاية الحلاوة وعجمه كبير ولا اجد له شبيها
في فواكهنا امثله به ومن اشجارهم شجر **المُخَيْط** وهو شجر صغير
يحمل ثمرا كالنبق فيه مرار فيوخذ وينقع في الماء اياما فتذهب
مرارته فيرش عليه الملح ويطبخ ويوكل ومن الناس من يجففه بعد
النقع ويسحقه حتى يصير دقيقا وتعمل منه عصيدة وهذا الفعل
خاص بايام الغلاء واشتداد الكرب ومن اشجارهم **اللولو** وهو

شجر يقرب من شجر الجوز المسمى بعين الجمل يحمل ثمرا اكثر ابى فروة الان ثمر
ابى فروة فيه تفرطح وهذا كحب البندق لكنه اكبر من البندق فى
الحجم يساوى حجم ابى فروة وابو فروة هو المسمى فى بلاد الترك بالكستنا
وفى تونس بالقصطل ولهذا الثمر لب دسم ولا يوجد الا فى الجهة
الجنوبية فى اخر دارفور اى فى جهة بلاد الفرتيت واهل تلك الناحية
يعصرون منه زيتا ولقد رايته ووجدته اكثر شبها بالشيرج
فى الهيئة وبزيت الزيتون فى الطعم فيدهنون منه ويجعلونه
أُدْما فى اطعمتهم ويوجد الخَرُّوب والجُمَّيز لكنهما رديئين لا
ينفعان بشى ويزرعون القُطْن بنوعيه البلدى ويسمى عندهم
بالعربى والهندى ويسمى عندهم بلوى وينتفعون منه اتم
المنافع لان منه كسا وبهم وبه معاملتهم كما قدمنا ذلك فى باب
المعاملات واما الاشجار التى لا يوكل لها ثمر فكثيرة جدا تكاد ان لا
تدخل تحت حصر ولكن نذكر اشهرها وانفعها فنقول من
انفعها العُشَر وهو شجر قصير متعدد الفروع جذعه مكسو
بشى ابيض كالشحم اذا ضغط بين الاصابع يتفتت ورقه كبير واذا
كسر يخرج منه عصارة بيضا كاللبن وله ثمر كالكرة باطنه ممتلئ
بشى كالزغب او الوبر يتطاير فى الهوا لخفته ولهذا الشجر منافع منها

ان

ان عصارته اذا وضعت على جلد حيوان ازالت شعره ويكون
لحائه فتوجد فيه خيوط رفيعة كالحرير فتجمع ويفتل منها خيوط
تنفع لخرز القرب ويفتل من اللحاء حبال فتنفع للربط والحمل
والوبر الذى فى الثمر تسد به خروق القرب ومن عادتهم اذا سرقوا
حمارا او فرسا وارادوا تغير شعر موضع منه يدهنون المحل الذى
يريدون تغيره بهذه العصارة فيذهب الشعر ويخلفه شعر
ابيض فيشتبه على اربابه لكن منهم من يعرف ذلك للاعتياد به
وخشبه خفيف كخشب الفقل ورايتهم يسودون البارود بفحمه
وفى اسبتالية ابى زعبل شجرة منه وفى الصعيد كثير منه ايضا ومنها
شجر يسمى الحشاب وهو شجر ذو شوك ومنه يوخذ الصمغ
العربى ولقد رايته واجتنيت منه الصمغ لينا يمتد كالعلك
وينبت فى الاماكن المعطشة الرملية ومنها السنط
وهو شجر القرظ وهو شايك ضخم ومنها الطلح وهو من فصيلة
السنط والطلح شجر يعلو اكثر من قامة ولحاؤه احمر وله شوك
طويلة كالابر وورقه مركب من وريقات صغيرة والسيال شجر
طويل يعلو اكثر من قامة لكن اصغر من الطلح ولون قشره اخضر
يضرب الى البياض وله شوك ابيض واوراقه مركبة كل ورقة من

وريقات صغيرة ومنها **الكِتر** وهو شجر ذو شوك وفروع كثيرة
وشوكه كالسنّارة وله صمغ يجتنى منه لكن صمغ الحشاب
اغلا واحسن منه ومنها **اللَوُوت** وهو شجر صغير ذو شوك
صغير وفروع كثيرة فيه اخضرار لا يفارقه وان جف اذا قشر
لحاؤه وتشم منه رايحة كريهة خاصة ومنها **القَفَل** وهو
شجر ليس بالكبير ولا بالصغير لكن اكثره ينبت فى الجبال ومنها
الحَراز وهو شجر هائل الضخم والكبر ذو شوك يعظم جذعه حتى
لا يحتنقه الرجلان اذا مدا باعيهما ظله ظليل حتى ان منه
ما يجلس فى ظله مائة رجل واكثر وبالجملة فالاشجار التى لا يوكل
لها ثمر تنفع فى امور أُخَر فانهم يقطعون منها الاخشاب
لبيوتهم اما السنط فقرَظُه للدباغ وشعبه الطويلة عمد لبيوتهم
واما اللَوُوت فلحاؤه يربطون به سقف البيوت وفروعه يجعلونها
فى السقوف وفى الصريف والصريف عندهم عوض عن الحايط عندنا
واما الكِتر والحَشاب فياخذون منها الصمغ واحيانا يقطعون
شوكهما يجعلون منه الزرايب لمواشيهم ولبيوتهم لان لكل بيت
زريبة غالبا وهى كناية عن السور وصريفا وهو كناية عن الحايط
والبيوت فى الوسط اشبه شى بالخيم والطوزلُك المضروب حولها

والبيوت

والبيوت إما من قصب الدخن أو من قصب رفيع يسمى
المَرْهَبَيْب والثاني لا يعمل إلا للأغنياء وأكابر الدولة وهو قصب
ناعم قليل الكعوب رفيع كالسمار أبيض يميل إلى الصفرة ذكي الرائحة خصوصا
بعد نزول المطر واعلم أن النبات في بلاد السودان كثير لا يحصي
أفراده العدّ ولا يوقف له على نهاية ولا حدّ ولا أعرف منه إلا ما
اشتهر وذاع وملأت شهرته البقاع لأني كنت إذ ذاك في سن
الشباب والجهل سابل عليّ جلباب لكن لكثرة مخالطتي بهم
وأسفاري معهم عرفت ما عرفته بالاسم ولا أقدر أن أميزه تميزا
كليا فمنه شجر الشاو وهو شجر كبير وصغير وصغيره أكثر من كبيره
وهذا الصغير أطول من القامة وقشوره خضر بالنسبة للكبير
لأن قشرة كبيرة مغبّرة أعني أن لونها أغبر وهو اللون الذي يقرب
للبياض وليس أبيض ناصعا ويحمل في إبّان حمله عناقيد تأكل منها
أهل السودان وهذه العناقيد فيها حب كأصغر العنب ما
نضج منه يكون أسود وما قرب للنُضْج يكون أحمر وما لم يقرب
منه يكون أخضر وطعمه حلو فيه بعض حرافة وورقه يغلب
على ظني أنه بيضي أو يقرب من أن يكون بيضيا أخضر الظاهر
والباطن والبَطّوم شجر كبير هائل المنظر أغبر اللون غليظ

السساق صلب الخشب اوراقه صغيرة بيضية فى حوافيها تسنن
وترى قشرة السا ق من اسفل مشققة تشقوقا غير منتظمة
وثمره كثمر الشا و وعناقيده ايضا الا ان هذا الحبه اذناب طويلة
ولا يوكل ثمره وهو اصغر من ثمر الشا و وتعلو سا قه اكثر من
قامتين ويتفرع فروعا كثيرة واما الأَبْنُوس فهو شجر متوسط
وقشرته خضرا داكنة والابنوس قلبه فاذا الحِيَّتْ القشرة
انكشفت عن عود اسود الا انه يكون سواده خفيفا وهو
اخضر فكلما يبس ازداد سوادا واحسن الابنوس ما اخذ من
الجذور وهذا النبات لا يوجد فى دار الفور وانما يجلب من دار
الفرتيت اليها والجُوخَان او الجُوغَان كذلك الا ان الجوخان
له ثمر كالبندق فى الحجم حلو الطعم فيه بعض يبوسة كالغضروف
واما الجَعْجَع فهو شجر متوسط ايضا ولون ساقه يميل الى
الحمرة وفروعه ليست كثيرة التفرع وفيه شوك طويل واذناب
اوراقه قصيرة فربما ظن انها ملتصقة بالفروع لقصر اذنابها
وهذه الاوراق مستديرة مسننة تسننا غائرا وثمره كثمر
الزعرور وفيه مساكن الا انه غضروفى او فيه خشبية واغلب
ظنى ان فى كل ثمرة اربعة مساكن بينها حواجز واما دار فرتيت وهم

مجوس السودان المحاذون لجنوب دار فور فينبت فيها القنا
ومنها يصنعون اعواد حرابهم واكثر اعواد حراب اهل الدولة فى
دار فور من القنا وهو جيل جدا ويجلب من دار فرتيت واما النباتات
التى فيها الخواص فمنها شجرة كيلي وهى شجرة متوسطة لا شوك
فيها تثمر ثمرا كالزعرور الا انه خشبى يوخذ الثمر وينقع فى المآء ويسقى
المتهوم ولون هذا الثمر كلون الرمان الحامض اذا جف والشعلو
وهو شجر نصف خشبى كثير الفروع لينها ورفيعها تمتد فروعه
وتشتبك ببعضها متراكمة حتى تصير الشجرة وحدها كالاكمة
وله ثمر كالبلح الكبير الاخضر ولا عجم ولا نوى فيه وفيه عصارة
لبنيه ببعض لزوجة لطعمه بعض حلاوة ابتدآء وحرافة انتهاء
اخضر لا يفارقه لون الخضرة ولو جف اذا مضغه شارب
الخمر ازال ريحتها وقد تقدم ذلك ومنها دَقَرَة وهو نبات
حشيشى ينبت فى الاراضى الصلبة اوراقه رقيقة فيها نوع
استدارة اذا دق الورق فى هاون وعصر ماؤه فى العين الرمدا
المتورمة بالتهاب حاد ثلاثة ايام صباحا ومسآء ابرأه ولقد
كنت فى سوق نُمْلِيَه فى غير روية الجبل ومسكت بيدى الفلفل
وصرت اعبث به ثم هبت ريح فقذيت عيناىَ فدعكتهما

بيدى ونسيت امر الفلفل فتالمت الما عظيما والتهبا فى الحال
وورما فركبت وسافرت فلم اقدر على الركوب من شدة الالم
فدخلت فى بلدة وبت عند امراة عجوز فيها فلم اكتحل بنوم
وانقلب الجفنان وغلظا حتى خشيت على عينى من العما وصرت
لا اعرف ما ينقذنى من ذلك فلما اصبح الصباح جائتنى عجوز ونظرت
عينى وتوجعت لى ثم قالت هذا امر سهل ثم دعت بابنة لها
صغيرة تكاد ان تكون ابنة سبع سنين او ثمانية وقالت لها
بلغة الفور اذهبى الى اسفل الجبل وائتينى باوراق من النبات المسمى
دقرة فذهبت الصبية وغابت قليلا ثم جاءت ومعها اوراق
كثيرة فاخذتها العجوز ودقت بعضها بين حجرين حتى صار
كالعجين وامرت بفتح عينى ومسك يدى ثم عصرت فى عينى من
عصارة النبات المذكور فنزل فى عينى باردا ثم ابتدا ياكل بغير الم
حتى كانما فى عينى دود واريد ادعكهما بيدى فلا استطيع للضبط
على فعانيت من ذلك مشقة حتى اضمحل الاكلان وجاءنى النوم
فنمت واستغرقت فى نومى مدة عظيمة فلم افق الا قرب
العصر فاحسست فى عينى خفة وذهب الالم ولما كان من
الليل جاءت وعصرت لى من تلك العصارة وبت بانعم ليلة وفى

الصباح

293

الصباح عصرت لى منها ايضا فانفتحت عيناى وكانى لم ارمد
بهما فذبحت اذ ذاك كبشا سمينا وليمة لشفاءى واعطيت
العجوز جديا سمينا وغالب النبات والشجر يُثمر فى اخر زمن الخريف
وهو الصيف عندنا لانهم يسمون صيفنا خريفا وخريفنا دَرَتًا
وفى عرفهم يعنون به الربيع وربيعنا صيفا ولم يوافقونا الا فى
الشتآء فان الشتاء عندهم هو الشتاء عندنا وفى الصيف
الحقيقى تُمطِر السمآء عندهم ويزرعون لان اول سقوط المطر
عندهم فى الجوزآء ويسمونه الرُشاش وفى السرطان تنفتح
عزالى السحاب ويكثر المطر وتمتلأ الاودية وبذلك تعلم سبب
زيادة النيل المبارك ومما يوكد ان كثرة الامطار عند اهل السودان
هى السبب فى كثرة نيل مصر ما وقع من الاتفاق ان ١٢٥٣ سنة
هجرية وقع فى مصر غلاء عظيم حتى ابيع الاردب من القمح بمائة
وخمسين غرشا بل اكثر وسببه عدم فيضان النيل كعادته
وكنت متشككا هل وقع ذلك بارض السودان ام لا وبقيت
على الشك الى ١٢٥٧ سنة فجاء القاض الدليل قاضى القضاة
بمملكة الوادى فاخبرنى انه فى تلك السنة قل القطر حتى اجدبت
الارض وغلَتْ الاقوات واكلت الناس الجِيَفَ والكلاب وهو

294

اتفاق عجيب ادل دليل على ان زيادة بحر النيل من امطار تلك البلاد
ولله في ذلك حكمة لا يعلمها الا هو وفي وقت الرشاش يكثر
هبوب الرياح والموتفكات واكثر مجيئها في اوقات العصر واذا هبت
ترى من بُعد كالسحاب فتارة تكون حمرا وقد سدت الافق من
الجهة التي تاتي منها وغالب الموتفكات تاتي من قبل المشرق ونادرا
ان تاتي من الجنوب وفي مجيئها من الشرق تحمل رملا كثيرا من القوز
الذي تمر عليه وكل موتفكة تاتي بمعية مطر لان قبل ذهابها يرعد
الرعد وبعد الرشاش ينزل المطر برعد قوي حتى انه ربما نزلت منه
صواعق فضرّت ولقد رايت صاعقة نزلت على شجرة هجليج
فكسرت منها فرعا عظيما وساخت في الارض واخرى نزلت
على بيت فدخلت نار من خلال البيت واصابت رجلا فاحرقت
ذراعه وساخت في الارض وسمعت منهم ان من كان معه
حديد لا تقربه الصاعقة وهذا خلاف راي الافرنج وفي فصل صيفهم
الذي نسميه ربيعا تكثر الزوابع والسراب في الارض ولا اعلم ارضا
يكثر فيها الزوابع والسراب كارض السودان واحسن المطر عندهم
واهناه ما يقع بالليل والناس نيام وهو وان كان يحصل فيه رعد
الا انه لا يضر كما يضر الرعد الذي ياتي بالنهار ويكثر قوس قزح

عندهم

عندهم في وقت نزول المطر حتى انه يكون في الساعة الواحدة
في اربعة محال او خمسة منها ما يكون كالقوس ومنها ما يكون
على خط مستقيم وهو قليل واكثره يكون على خط منحني والرشاش
عندهم نحو خمسة عشر يوما وفيه يزرعون الدخن والذرة بانواعه
واطول خريف عندهم ستون يوما غير ايام الرشاش واوسطه
ستون يوما بايام الرشاش واقله لا حد له واغلبه ان يكون
خمسة واربعين او خمسين يوما واقل من ذلك قحط وجدب فهو
كالعدم الا ان جاءت في تلك المدة امطار غزيرة روت الارض ريا
عظيما خصوصا عند آخر الفصل وختام الزرع واذا طالت مدة
الخريف وكثرت امطاره سموه خريف التيمان واسماء الشهور
في بلاد الفور والوادي بالعربية فلا يعرفون الاشهر الرومية
ولا القبطية ولا الاعجمية فاهل العلم منهم يسمونها كما سمتها
العرب قديما بالاسماء المشهورة الآن كمحرم وصفر وربيع الخ واما
عوام الناس فيسمون الشهور باسماء اخر وهذه الاسماء وان
كان معناها عربيا لكنها مستهجنة ويبدؤن في حساب
السنة بشوال لكن باسم آخر فيسمون شوالا بالفطر وذي
القعدة فطرين وذي الحجة بالضحية ومحرما بالضحيتين

وصفر بالوحيد وربيعا الاول بالكرامة وربيعا الثاني بالتوم وجمادى
الاول بالتومين وجمادى الثاني بسابق التيمات ولم يسلم من
التغيير الارجب ورمضان فيقولون رجبا ويسمون شعبان
القصير ورمضان رمضان انتهى وبالجملة فخواص النبات في دار فور
عجيبة حتى اني اخشى ان ذكرتها يكذبوني ولا اجد لي شاهدا على ذلك
واكثر الخواص في الجذور وهناك معلمون نباتيون لهم تلامذة
عديدة اكثر اوقاتهم مسافرون يصعدون اعالي الجبال ويتخللون
بطون الاودية يحفرون على النبات ويعلمون تلامذتهم وهولاء
القوم يسمون بالمعراقيين ولهم في دار فور شنآن ولهم معاندة
مع بعضهم كل منهم يريد ان يرتفع صيته وجميع الجذور التي ياخذونها
يضعونها في قرون الغنم بل وفي قرون البقر وهي على انواع منها
ماهو للمحبة والقبول والجذور التي لذلك تسمى نارة وكان
في ايامنا اشهر الناس بها رجل يسمى بكرلوكو وكان مقره بجديد
السيل وكان من عشق صبية وامتنعت عليه بغضا فيه
ذهب الى بكرلوكو فاخذ منه نارة ودلك بها وجهه ويديه وذهب
الى محبوبته ومسح بيده على كتفها او شي من جسمها فوقع حبه
في قلبها بحيث لا تقدر تفارقه فيفعل بها ما يريد وان خطبها

وابا

وابا ابواها فرت معه حيث يريد وتزوجته قهرا عنهما ومن كان
له حاجة بباب الملك وخشي ان لا تقضى وذهب الى بكرلوكو واخذ
منه قطعة من النارة ودلك بشي منها بين كفيه ومسح على وجهه
احبه الملك وقضى حاجته وان كان ضامرا له سوءً واشتهر
بكرلوكو بهذا الامر حتى ان النسآء ليغنين به ويقلن

بكرلوكو أبَا
بنتين بسدَا

ومعناه ان بكرلوكو ان اراد ان يرخص مهور البنات يجعل الرجل
يتزوج بنتين بسداء واحدٍ والسدا هو عشرة اذرع غزلا قياما
ومما اتفق لي في ذلك انه في يوم من الايام جائني رجل معه نارة
يدّعي انها عظيمة جدا وانه اخذها من بكرلوكو وعرفها علي للشرآء
فقلت له يا هذا انما يحتاج الى النارة من تبغضه النسآء وانا في
شبابي هذا وتيسير حالي لو اردت ابنة الملك لما تعذرت عليّ
فكيف بغيرها ويحتاج اليها من يخشى سطوة الملك وانا في
امن من ذلك لاني غريب وشريف ولي عند الملك حرمة فاعرضها
على غيري فهو اولى بها مني لاني انا في نفسي نارة فما اصنع بالنارة هـ
ومنها ما يستعمل للمضرة وهو على انواع نوع يستعمل لقتل العدو

وكيفية ذلك ان يوخذ الجذر الذى فيه خاصية القتل ويغرز فى
ظل راس المراد قتله ففى الحال يتاثر ويلتهب المخ ويبقى الشخص
لايعى شيا فان لم يتدارك سريعا بضد ما فعل له مات واذا
اريد ابطال عضو منه يغرز الجذر فى ظل العضو المراد ابطاله كاليد
او الرجل ففى الحال يتالم العضو ويلتهب وينتفخ وربما حدثت فيه
غدة كغدة الطاعون وان لم يتدارك سريعا ينفتح وينتهى
بفقد احساس العصب وبطلان الوظايف كلها واذا اريد ان
يصاب بالدوار وبالقىء هناك جذور توضع على الجمر ويتلقى
دخانها ولو فى كم الثوب ويطبق عليه طبقا جيدا ويتوجه
للشخص المقصود فيفتح كمَ الثوب ونحوه بقرب انفه فتسطع
رايحة دخان الجذر فى انفه فيقع فى الحال حتى تبقى رجلاه اعلامن
راسه فان لم يتدارك فى الحال بقى كذلك اياما ومنها جذور
خاصيتها جلبُ النوم وهذه الجذور تستعملها السارقون
وتجعلها فى قرون فيدخل السارق بالليل على المحل واهله
مستيقظون فيُشير اليهم بالقرن الذى فيه الجذر ثلاث
مرات فيضرب الله على اذانهم فلا يعون شياً فيدخل السارق
وياخذ مايريد اخذه وربما ذبح الشاة وسلخها وشوا من

لحمها

لحمها واكل ووضع في يد كل من ارباب المحل قطعة من الكبد ثم اخذ
ما اراد وخرج وبعد خروجه من الدار يفيقون ويسال بعضهم
بعضا عن الرجل الذي كانوا راوه فكل منهم يقول رايته ولا ادري ما
فعل فاذا بحثوا في محلهم يرون انه ما ترك لهم شيا وقد فاز بما
اخذ فيعضون انامله تلهفا وقد امتنع عليهم وبالجملة فهذا
الامر في دار فور مشهور لا ينكر وكنت سالت عن تلك الخواص
استاذي الفقيه مدني الفوتاوي اخا الفقيه مالك الذي تقدم ذكره
فاخبرني ان الكتب المنزلة على ادم وشيث وابراهيم وغيره من
الانبياء دفنت في الارض وابنت الله هذه النباتات في المحل
الذي دفنت فيه وانتشر بزرها بهبوب الرياح في الارض فعم
نباتها وانتشر واستفيدت منها هذه الخواص بالتجربة
اقول وهذا نوع من انواع السحر وضرب من ضروبه ومنها نوع
يعمل بالكتابة والتعزيم على الاملاك العلوية والسفلية ومن
هذا النوع تظهر امور كثيرة خارقة للعادة لقد اخبرني الثقاة بدار
فوران في محاربة الخليفة للسلطان عبد الرحمن كان للخليفة عدة
رجال يقوسون بالبندق فسحرهم جماعة السلطان حتى ان البارود
كان يخرج من البندق كالمبلول لا يسمع له صوت ورصاصه كان لا

يضر و بندق جماعة السلطان بعكسه فى الصوت والضرر
ومما وقع من هذا القبيل ان لما توفى السلطان عبد الرحمن
وولى ابنه السلطان محمد فضل مكانه ابى عليه اولاد السلاطين
كاولاد السلطان تيراب واولاد السلطان ابى القاسم واولاد
الخليفة واولاد السلطان عمر وخرجوا عن الطاعة وركبوا خيولهم
وخرجوا الى القرى وجيشوا جيشا عظيما فخشى الشيخ محمد
كرّا من خلل يقع فى البلاد فدعى بالفقيه مالك الفوتاوى واعلمه
بما يخشاه من غائلة هذا الامر فضمن له ان ياتى بهم الى بين
يديه أذلاء فاخرج الشيخ محمد كرّا جيشا لنظر الملك محمد دلدن
ابن عمة السلطان محمد فضل وذهب الفقيه مالك فعمل من
سحره ما عمل وكانت اولاد السلاطين فى محل بينه وبين الفاشر
مسيرة يومين فلما عمل فيهم السحر ركبوا خيولهم عند المسا خوفا
من الملك محمد دلدن ان يهجم عليهم بجيشه وارادوا البعد
فعموا عن الطريق وباتوا ليلتهم تلك سارين الى جهة الفاشر
والملك دلدن فى اثرهم فما اصبحوا الا وهم تحت الفاشر ولما اصبح
الصباح وراوا انفسهم بقرب الفاشر ندموا على سريانهم
وسمع بهم الشيخ محمد كرّا فارسل لهم جيشا وحينما وصل الجيش

اليهم

اليهم اطبق عليهم جيش الملك محمد دَلْدَن لانه فى اثرهم ولما صاروا
بين العسكرين انهزمت الناس الذين كانوا التفوا عليهم وبقيت
اولاد السلاطين فى نفر قليل فقبض عليهم الملك محمد دلدن وتوجه
بهم الى الشيخ محمد كرّا فامر بهم الى السجن واكتفى شرهم وكان ذلك
من السحر ولولاه لجاسوا خلال دارفور وعاثوا فيها واتسع الخرق
على الراقع والمخصوص بالاعمال السحرية فى دارفور هم قبيلة الفُلَّان
ولقد رايت منهم رجلا يسمى الفقيه تَمُرُّو بفتح المثناة الفوقية
وضم الميم واخره راء مشددة مضمومة يذكرون عنه امور
عجيبة ويفيضون ذكرها مع التصديق لها حتى بلغت هناك
مبلغ التواتر الذى يمتنع تكذيبه فمنها ما اخبرنى به الثقة من
فقهاء دارفور انه سافر مع الفقيه تَمُرُّو المذكور من جديد كريو
الى الفاشر ورجع معه الى جديد كريو فقال لما كنا فى اثناء الطريق
اشتد علينا حر الشمس وكان الفقيه تمرّو راكبا على جمل فاخذ
ملحفته وفردها ثم رجع وضمها بين يديه وقرا عليها بعض اسماء
ثم قذفها الى اعلا فانفرد على راسه كانها ظلّة وظللته هو وصاحبه
من حر الشمس كانها ممسوكة من اطرافها بين رجُلَيْن تتبعهما
اينما توجها كالمظلة وهذا الامر من اغرب ما يسمع واعجبه

ومنها بينما هما سائران فى سفرهما ذاك اذ نزل عليهما المطر
فقال الفقيه تمرو لخادم كان معهما ائتنى بقبضة من التراب
فناوله اياها فاخذها بيده وقرا عليها بعض كلمات ثم نثر التراب
حول راسه فانقشع السحاب وصار المطر ينزل عن يمينهما
ويسارهما وهما يمشيان فى اليبس لا تنزل عليهما قطرة وممّا
بلغنى ان المساليط اقتتلوا مع الفُلّان فى بعض الاحيان وهزموهم
واقتفوا اثرهم ليستاصلوهم فعمل الفلّان شيا من سحرهم
فسحروا اعين المساليط حتى انهم كانوا يرون اثر الذهاب معكوسا
كانه اثر المجيء ولقد بلغنى من شيخنا الفقيه مدنى الفوتاوى
عليه سحائب الرحمة ان ملك البرنو كان له كاتب جليل القدر على
غاية من التقوى والصلاح فجاء اليه الوزير الاعظم وقال له ان الملك
يامرك ان تكتب كتابا لفلان مضمونه كذا وكذا فابى الكاتب عليه
وقال لا اكتب الا ان يقول لى السلطان بنفسه او يرسل لى
علامة تدل على صدق رسوله فذهب الوزير الى السلطان واخبره
بما قاله الكاتب فدعاه السلطان وقال له قد اذنتك ان كلما
قال لك وزيرى هذا اكتب لكذا وكذا على لسانى ان تكتب له
وكان الخاتم الذى تختم به الاوامر السلطانية مع الكاتب المذكور

فامتثل

303

فامتثل امره وصار يكتب له كلما اراد حتى انه جآء اليه يوم من الايام
وقال له ان الملك يامرك ان تكتب الى فلان الملك ان يتوجه الى
العامل فلان ويقتله ويستصفي امواله ويرسلها صحبة راسه
فكتب له ذلك والسلطان لا يعلم بشيء من ذلك فما راعه الا
وقد امتلأت البطحاء بالاموال والرقيق والبقر والابل والغنم
وراس شخص موضوعة على سن رمح فسال السلطان عن الخبر
فاخبر ان هذا راس فلان وهذا ماله وقد قُتل حسبما امرتَ
فانكر السلطان ودعا بالكاتب وقال من امر بقتل فلان واستصفا
امواله فقال له انت فقال له في اي وقت امرتُك بذلك قال في
الوقت الفلاني جآءني وزيرك فلان وقال لي اكتب الى فلان العامل
بالجهة الفلانية ان يتوجه الى فلان العامل بالجهة الفلانية
ويقطع راسه ويرسلها على رمح ويرسل امواله كلها فقال
لم أأمُرْه بذلك وكيف مع عقلك وحسن تدبيرك انك كتبت
له بغير استئذان مني فقال ايدك الله مولانا انك قد دعوتني
في اليوم الفلاني وقلت لي كلما قال لك وزيري هذا اكتب لكذا
اوكذا على لساني فاكتب له فامتثلت امرك من ذلك الوقت
وصرت اكتب له كلما امرني به فغضب السلطان وقال اني

304

لم آمرك ان تكتب له في مثل هذا الامر المهم بل امرتك ان تكتب
له في الامور التي لا ضرر فيها على الدولة أو مثل هذا الامر يكون بغير
استئذان فقال الكاتب ان مولانا لم يستثنِ امرا من الامور حين
امرني بطاعته فزاد غضب السلطان وامر بالقبض على الكاتب
فلم يقدر احد على القبض عليه وما ذاك الا انه كل من مد اليه يدا
ليقبض عليه تيبّس فلا يقدر ان يثنيها وتصير كانها قطعة خشب
فلما راى السلطان ذلك قال له اعفُ عن هؤلاء فقال لا اعفو عنهم
الا ان اعفاني السلطان من الخدمة فاعفاه من الخدمة وعفا عنهم
هو ايضا فلانت ايديهم ورجعت كما كانت وهذا مصداق قوله
صلى الله عليه وسلم من خاف من الله خاف منه كل شيء
ومن لم يخف الله خوّفه الله من كل شيء ﻫ ومما ينخرط في سلك
هذه الاعجائب ما شاع على السنة اهل دارفور من ان هناك
قبيلتين من رعايا الفور احداهما تسمى مسلاط والثانية تيموركه
يتشكلان باشكال الحيوانات لكن المشهور ان مسلاط تتشكل
بشكل الضبع والهر والكلب واما تيموركه فتتشكل بشكل السبع
لا غير والعجب من ذا ان هذه القبيلة يقولون عنها ان الميت
منها يقوم بعد ثلاثة ايام من قبره ويتوجه الى بلد اخر ويتزوج بها

ويعيش

ويعيش زمنا ولقد اشيع على السنة اهل دار فوران للسلطان
طائفة من هذه القبيلة يرسلها في مهمات اموره وان لها ملكا
حاكما عليها ويبالغون في هذه الطائفة حتى انهم يقولون انها
تتشكل بجميع انواع التشكلات حتى الرجل منهم اذا ضاق عليه
المجال وخاف من الضبط عليه يبقى ريحا ولقد ادركت حاكم هذه
الطائفة وكان يسمى على كُرْتُب وكان رجلا مسنا ضعيف الحركة
من فقرآء الجند لا يظهر عليه اثر الثروة ثم انه مات ووُلّي ابنه مكانه
وكان شابا جسيما وخْش الخلقة لكن يظهر عليه اثر الثروة
وكان يركب العتاق من الخيل وله خدم وأُبَّهة فانعقدت بيني
وبينه صحبة وذهبت الى داره عدة مرار وكان يسمى عبد الله كُرْتُب
فاتفق انى خلوتُ به في بعض المرار وسالته عما تقول فيه الناس
من التشكل وانه يسافر مسيرة عشرة ايام في برهة فشاغلني
بكلام اخر ولم يفدني بشيء فتركته في ذلك الوقت وسالته ثانيا
في وقت اخر فتبسم وقال سبحان الله ما كنت اظن انك تصدق
هذا القول ثم شاغلني بغير ذلك حتى خرجت من عنده ثم انكر
معرفتي بعد ذلك وصار يمر علي ولا يلتفت لجهتي وتركته انا ايضا
لما رايت من تنكره ولا اعلم لذلك سببا سوى تكرار سواله في

هذا الشان ولقد سافرت للغزو مع ملك من الملوك اسمه
عبد الكريم بن خَميس عرمان وكان ابوه من اعظم وزرآء السلطان
ونقم عليه وابّد سجنه حتى مات وصار ولده خادما للدولة حتى
أُرسِل للغزو في الفرتيت وكان لي عليه دين فذهبت معه
لاستوفاه منه فتوغلنا في بلاد الفرتيت مدة ثلاثة اشهر وكنا
في محل لا يوجد فيه شيء من البقول ولا الخضروات فدعاني ذات
يوم من الايام فلما دخلت عنده وجدت بصلا اخضر وفقّوسا
وكل منهما كانما اخذ من مَقثاته الآن فسالته عنهما ومن اين وصلا
له فقال من دارفور فسالته عمن اتى له بهما وكيف بقيا طريَّين مع
بعد المسافة سيما الفقوس فانه كان غضًّا بالكلية فقال قد
جيء بهما في اقل زمن وانظر الى تاريخ هذا المكتوب فاخذت
المكتوب منه ونظرت اليه فاذا هو من بعض احبابه بدارفور وتاريخه
صبيحة ذلك اليوم فبهتُّ وصرت متعجبا من ذلك فلما راى
عجابي قال لا تعجبْ فان معنا جماعةً من التيموركه وفيهم قوة
التشكل يذهبون الى ابعد محل في اقرب زمن فقلت اريد ان تريني
اناسا منهم فقال لك ذلك ثم لما قفلنا نريد دارفور ووصلنا اليها
بتنا بظاهر بلد من بلاد التيموركه نسيت اسمها ولما كان عند

الصبح

الصباح جآءنا اناس كثيرون يسلمون على الملك وانا جالس معه
فرحب بهم واكرمهم وكسا رُؤَسَاءَهم ثيابا حسنة ففرحوا بذلك
ولما اردنا الرحيل قال رئيسهم إنّا نوصيكم ان رايتم في طريقكم
سباعا فلا تمسّوها بسوء لان جميع ما ترونه من السباع في هذه
الجهة منا فقال الملك اذ ذاك نحن نريد ان نسمع من بعض اصحابك
الآن فقال سمعا وطاعة ثم ندب ثلاثة انفار منهم سماهم فقاموا
وتوجهوا الى الخلآء فغابوا قليلا ثم سمعنا زئير اسد عظيم ازعج
القلوب وافزع الدواب فقالوا هذا صوت فلان سموه ثم
سكت وزءر اسد اخر يقرب منه ثلاث زءرات فقالوا هذا فلان
ثم سكت وسمع بعد ذلك زئير اعظم من الزئيرين السابقين
حتى كادت ان تنخلع القلوب لسماعه فقالوا هذا صوت فلان
سموه واعظموا امره ثم بعد قليل جاءوا على هيئتهم الادمية وقبلوا
يد الملك ففرح بهم واكرمهم وح كساهم ثيابا فاخرة وودّعناهم
وارتحلنا وح قال لي الملك هولآء الطائفة هم الذين اتونا بالبصل
والفقوس ونحن في اخر دار فرتيت م ومما يلحق بهذه العجايب
ما يقوله الرمّالون حين يضربون تخت الرمل لانهم يقولون
كلاما وقع للانسان لا يعلم به احد الا الله تعالى ويقولون على امور

تقع كانه يراها بعينه فمما دعاني الى صدق اقوالهم اني حين
اردت الانتقال من دارفور والسفر الى دار وادای كان في البلدة التي
كنت فيها رجل يقال له سالم له صهر في بلد اخري يقال له اسحاق
ماهر في علم الرمل وكنت ضيق الصدر لتعسر امور السفر علي
فقال لي سالم المذكور هل لك في ان تتوجه معي الى صهري اسحاق يضرب
لك الرمل ويقول لك ما يظهر له فاجبته لذلك وتوجهت معه لبلدة
صهره المذكور فدخلنا ها ضحي فرايناه غايبا في زرعه فصبرنا حتى
قدم فرحب بنا واكرمنا واتى لنا بغذاء حسن ثم قال له صهره سالم
ان الشريف قد جاء يلتمس منك ان تضرب له رملا فقال السمع
والطاعة وضرب الرمل وقال لي كلاما كنت اكذّبه فيه فوالله
لقد وقع جميع ما قاله وكانه تكلم من اللوح المحفوظ لم يخطئ
في كلمة فمن ذلك انه قال لي انك ستذهب الى دار وداي عن
قريب بجميع اهل بيتك ما عدا امراة ابيك فانها لا تذهب
معك وكنت اكذبه واقول كيف لا تذهب مع انها احوج الناس
للذهاب فصدّق الله قوله فلم تذهب معنا وعملت علينا
حيلة وهي انها بقيت معنا حتى كانت ليلة الرحيل ففرت
وتركت ابنتها بنت سبع سنين فلما اصبحنا طلبناها فلم

نجد

نجد لها اثرا وسافرنا ولم نستقر لها على خبر ومن ذلك انه قال
لى ليلة قدومك على بيت ابيك ياتونك بجارية صفتها كذا وكذا
فوقع كما قال ومنها انه قال لى لا تجتمع بابيك فى دار ودى فكان
كذلك ولم اجتمع معه الا فى تونس ومنها انه قال لى ان بيت ابيك
حيطانه حمر كانها طليت بمُغْرَة فرايتها كذلك والمُغْرَة نوع حجر لونه
احمر هش يسحقونه ناعما فيطلى به البيوت ويصنعون به
ايضا الحبر الاحمر يخلط مع الصمغ فى الماء ومنها انه قال لى انك تركب
هناك جوادا اخضر فكان كذلك وقال لى ان السلطان ينعم عليك
بجوار وغيرها فكان كما ذكر ومن اعجب ما وقع حين كنا عنده جاته
نسوة يتخاصمن مع بعضهن ويريدن ان يضرب لهن رملا يظهر
به مالا ضائعا لتعلم كل منهن من اخذه فضرب الرمل وقال قد
ضاع لكن خرز احمر منظوم فى خيط وهو مخبا فى رتاج البيت الفلانى
فقامت امراة واتت به من الرتاج المذكور كما قال لكن لم يقل من
الاخذة له منهن وله فى خط الرمل باع طويل ومن هذا القبيل
ما حدثنى به عمى السيد احمد زَرُّوق ان والدى عليه سحائب
الرحمة والرضوان لما كان صحبة المرحوم السلطان محمد صابون
فى محاربة جبل تامة ضاع له جمل بازل وارسل العبيد والخدم ليفتشوا

علیه فذهبوا وغابوا طویلا ثم رجعوا بالخیبة فیئس المرحوم والدی
منه وکان ممن صحبه رجل یعرف خط الرمل فقال له بعض الحاضرین
انك رجل رمال فان کنت عارفا بیّن لنا الجمل یاتی ام لا فضرب الخط
وقال ان الجمل ها هنا غیر بعید فقوموا وانظروه فی ابل جیرانـنا
فذهبت العبید الی ابل الجیران فوجدوا الجمل بارکا فی وسطها وعرفوه
وجاؤا به الی محله وهذه غایة الاتقان فی علم الرمل ومن هذا
القبیل ایضا ما حکی لی بعض الاشراف فی دار ودای ان جماعة من
العلماء کانوا مجتمعین فی محل وفیهم من یعرف علم الرمل معرفة
خبیر وفیهم من یدعیه فتذاکروا فی علم الرمل والذی یدعیه
یقول انا ضربت الرمل لفلان الملك ولفلان القاید واخبرتهما
بکذا وکذا فطلب منه احد الحاضرین ان یضرب له فضرب
وقال کلاما لا یغنی شیا فالتفت العارف الی الخط المضروب
وتامله ثم قال انی مبشرك انك فی غد تقبض من السلطان
ستین راس رقیق وکان الامر کما قال واذا انجر الکلام الی علم
الرمل فلنذکر منه نبذة یقف بها المتامل علی ماهیته واشکاله
واسمائه والاشکال السعیدة والنحسة والمتوسطة
فنقول اما اشکاله فهی ستة عشر شکلا اولها **الطریق**

وصورته

وصورته هـــــــكذا .... ⁘

وهي جيدة لمن اراد السفر واجود منها لمن
يسال عن قدوم الغائب وردية لمن كان مريضا فانها تدل على
طريقه للقبر وثانيها **الجماعة** وصورتها هكذا ....
وهو شكل سعيد الا في المريض فانـه
يدل على اجتماع الناس لجنازته وثالثها **اللحيان**
وصورته هـــــكذا ....
وهو شكل سعيد في جميع الاحوال ورابعها
النكيس وصورتـه هـــكذا ....
وهو شكل نحس في جميع الاحوال الا في
الحامل فانها تلد ذكرا وخامسها **الإجتمـــاع**
وصورته هـــــكذا ....
وهو شكل سعيد في جميع الاعمال الا في قبض
الدراهم وسادسها **العقلة** وصورته هكذا ....
وهو شكل نحس الا في السوال عن الحامل
وسابعها **العتبة الداخلة** وصورته هكذا ....
وهو شكل سعيد في جميع الاحوال فمن

كان اول خطه هذا الشكل او ثانيه ان كان مغموما زال غمه
وان كان مترقبا لمجي غائب قدم عليه سريعا وان كان معسرا
زال عسره وثامنها **العتبة الخارجة** وصورته
هكذا ......

وهو شكل نحس يدل على موت المريض
وتعطيل الحاجة واضطراب الامور وطلاق الزوجة وتاسعها
القبض الداخل وصورته هكذا ......

وهو شكل ممتزج يدل على قبض
الدراهم والظفر بالعدو ولكنه يدل على موت المريض
وحبس المطلوب للحاكم وعاشرها **القبض الخارج**
وصورته هكذا ......

وهو شكل يدل على عدم رجوع ما
خرج من اليد وذهاب الابق واباق الرقيق لكنه يدل على
الخلاص من الحبس وعلى السفر والانتقال من مكان
لاخر وحادي عشرها **البياض** وصورته
هكذا ......

وهو شكل جيد في كل الاحوال الا في

المريض

المريض فانه يدل على الكفن وثانى عشرها **الحُمْرة** وصورته
هـــكذا ....

وهو شكل يدل على اهراق الدما وعلى
القبر للمريض لكنه سعيد للحامل فانها تلد ذكرا ويدل على
الثياب الحمر كان البياض يدل على الثياب البيض وثالث عشرها
الجَوْدَلة وصورته هـــكذا ....

وهو شكل سعيد يدل على الفرح والسرور
وان الحامل تلد انثى وان الامر ياتى على احسن حال ورابع
عشرها **نَقِى الخَدّ** وصورته هكذا ....

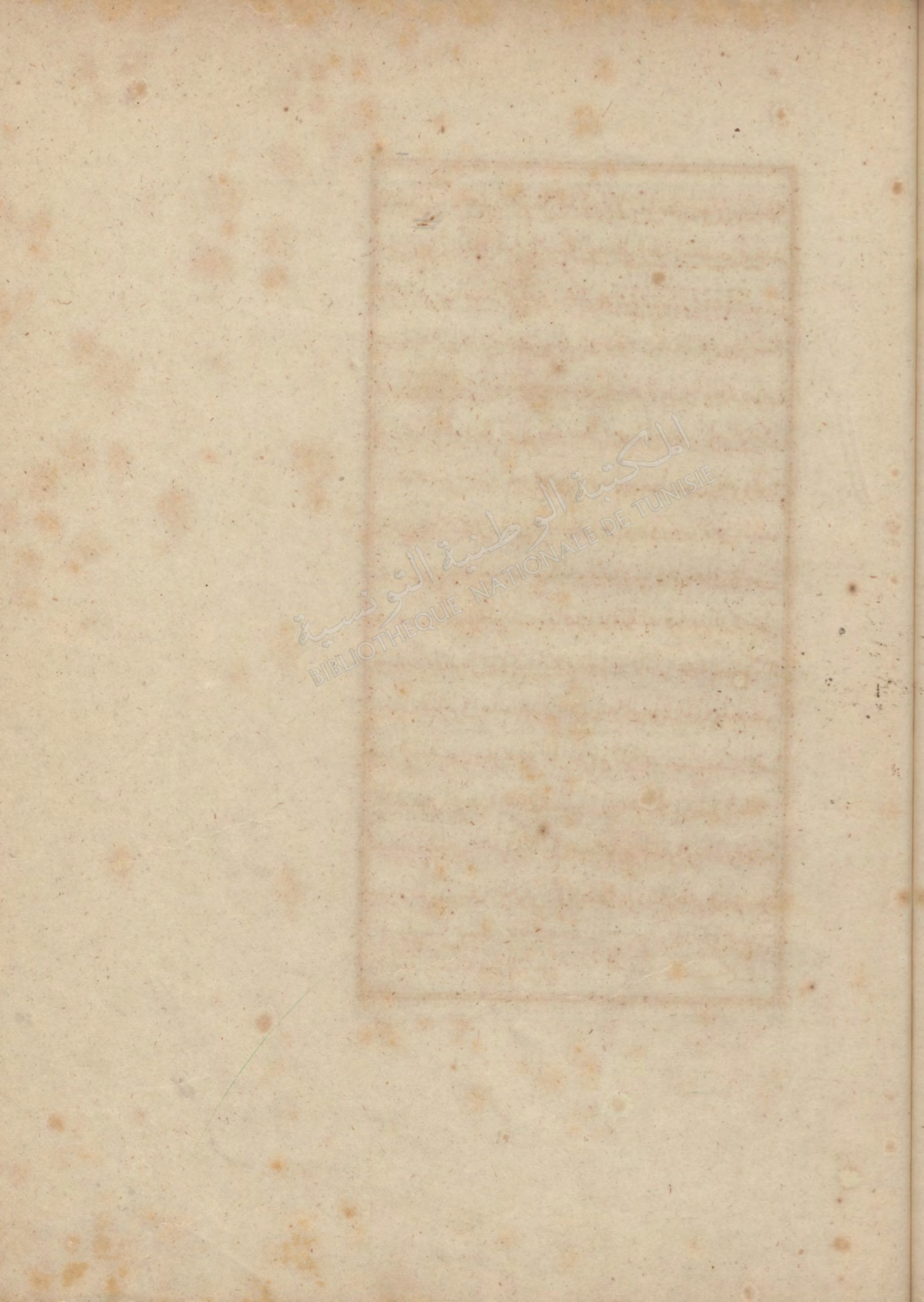
وهو شكل نحس ويدل على الشباب
والعدو المجهول وطول المكث فى الحبس وقبض روح المريض وخامس
عشرها **النُصرة الداخلة** وصورته هكذا ....

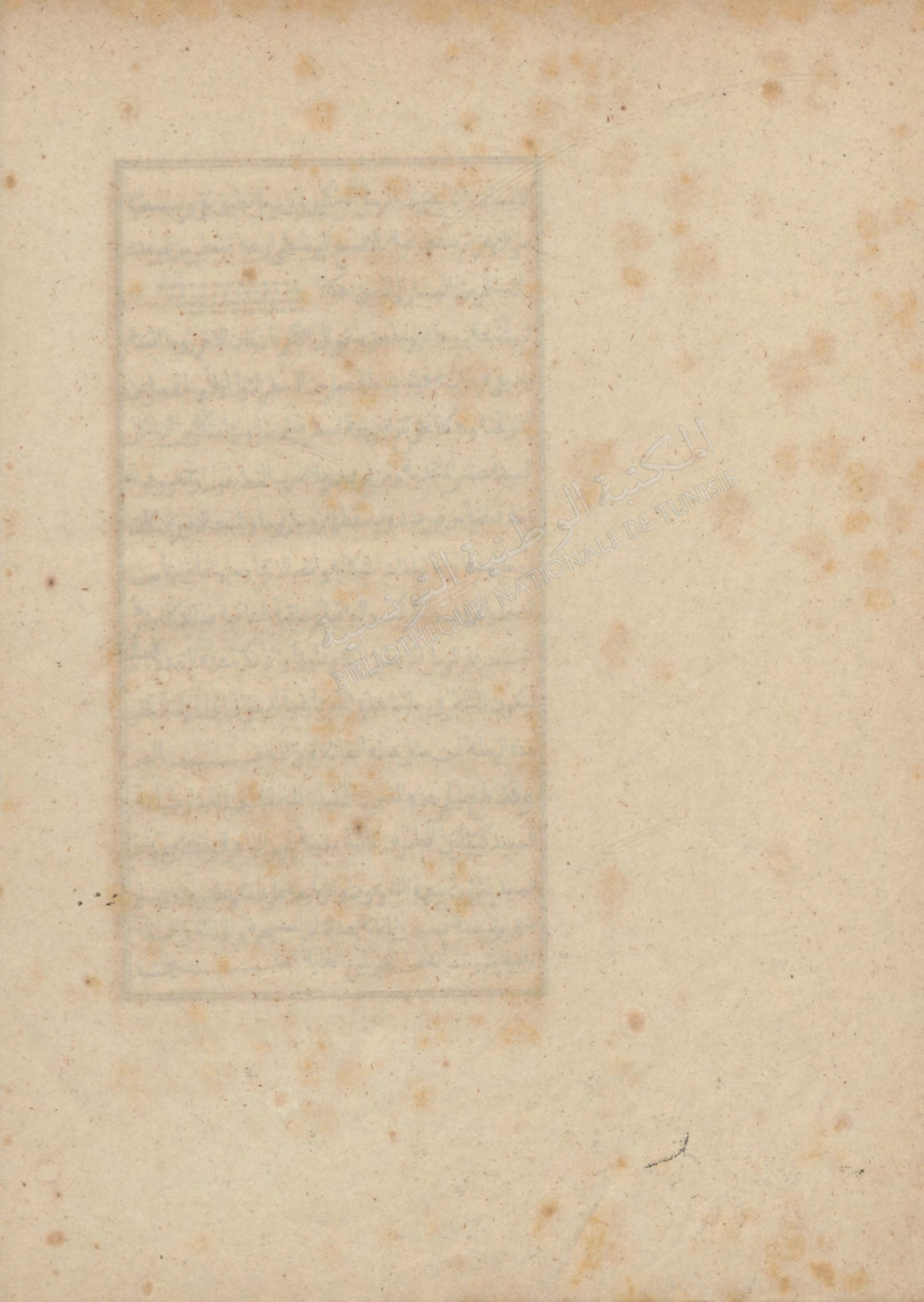
وهو شكل سعيد يدل على النصر والظفر
وقضا الحاجة ونجاة المريض والمسجون والحامل وسادس عشرها
النُصرة الخارجة وصورته هكذا ....

وهو شكل يدل على امور حميدة الا فى
محاربة العدو فانه يدل على انهزام الجيش وعدم الظفر به فاذا اراد

الانسان ان يضرب الرمل المذكور ياتي برمل نظيف نقي ويبسطه
على الارض ثم ينقط فيه بالاصبع الوسطى اربعة اسطر من غير عدد
بالاسطر من اليسار الى اليمين هكذا ::::::::::::::::::::
ثم يتتبعه زوجا فزوجا حتى ينتهي الى الآخر فان كان الاخر زوجا اثبته
وان بقي فردا اثبته فيثبت ما تحصل من السطر الاول اولاً وما تحصل من
الثاني تحته وهكذا حتى تتم الاربعة اسطر فيتحصل منها شكل من الاشكال
الستة عشر المتقدمة ومن لم يجد رملا ضرب الخط بفول او حمص وهو انه
ياخذ قبضة من غير عدد ويسقطها زوجا زوجا ويثبت الاخير ان كان
زوجا او فردا واما تولدات اشكاله واتصالاتها وما يتعلق بها من
الاسما والحروف والكواكب والعاقبة وعاقبة العاقبة فذلك كله منوط
بمؤلفات علم الرمل فلا نطيل الكلام عليها وانما ذكرنا هذه النبذة اليسيرة
ليكون للناظر في رحلتنا هذه المام بماهية الرمل في الجملة ولئلا تخلو
هذه الرحلة عن مثل هذه الفائدة والله عـــــالم

وقد طبع بالحجر هذه النسخة الجليلة المنمقة الجميلة بدار طباعة
السيد كَيْنِيلَيْن الفاخرة الكائنة بمدينة پاريز الباهرة وذلك برسم وخط
السيد پَيْرُون بنعمة الله وعون وكمل طبعه على ذمته ونظره وهمته في سلخ
شهر نونبر سنة خمسين وثمانمائة بعد الالف المسيحية والحمد لله في البدء
والنهاية ونسأله من الخير بلوغ الغاية امـــــين





« *Chose* dont la magnificence est admirable, est sublime, *chose* à laquelle nous croyons, sur la parole révélée par le Koran le livre de la toute sagesse ;

« *Chose* dont le nom est tracé par quatre lettres, en poésie ; rappelle-toi le dans son emploi prosodique et métrique.

« Je m'arrête ici ; j'attends de toi une réponse précise, belle comme le sens du mot de mon énigme. Que Dieu te maintienne dans tes hautes pensées de bien. »

— Page 423, ligne 2 : « ... conjugable dans tous les temps, » c'est-à-dire qui a son emploi régulier dans les cas voulus au *refa* et au *nasb*.

— Page 38, ligne 25, lisez Adnân, au lieu de Adouân.

— Page 47. Dans la lettre de Mohammed Kourra deux ou trois membres de phrases sont passés : mais ici, de même que dans plusieurs autres endroits du volume, le texte arabe est facile à comprendre, et, pour cette raison, je me dispense, comme je m'en dispenserai ailleurs, de donner la traduction des passages ou membres de phrases omis, ou éliminés à dessein.

— Page 112, ligne 9, au lieu de « Dieu ne t'écouterait pas... » lisez : « Dieu ne m'écouterait pas... »

— Page 119, à la ligne 18, le renvoi à la note F, de la page 425, est omis. Cette note est la traduction du passage ومن عاميته الخ jusqu'aux mots وكان فى شهر رمضان الخ.

— Page 168, ligne 5, après le mot « résistant ! » mettez : « O toi qui disperses les montagnes (et leurs habitants), sans avoir besoin, pour cela, du secours de l'or ! » (*Dyouân*, administration ; — état ou registre où sont inscrites les troupes stipendiées, &c.)

— Page 176, ligne 9, au lieu de « singulier de *doumloudj*, » lisez : dont le singulier est *doumloudj*.

— Page 231 ; les neuf premières lignes ne sont pas en accord avec le texte arabe.

Perron

Novembre 1850.

appartiennent les grandes choses comme choses qui te sont naturelles (et faciles).

« Donne, donne sans cesse les productions de ta pensée, ce sont autant de perles précieuses que nul ne peut revendiquer. »

— Le logogriphe suivant commence, dans le texte arabe, par :

« Allons! dis à qui est riche de science, à qui (sait y voir et) devine facilement le logogriphe, et en découvre le mystère :

« Voyons! je t'en prie : Quel est le mot de trois lettres... &c

. . . .

« Par la transposition de ses lettres, tu peux, regarde bien, composer trois mots ; c'est chose vraiment remarquable!

« Savoir ; un qui a deux sens &c. »

— Page 422, ligne 3 :

« Allons! dis à qui a la perfection et l'intelligence du langage, et à qui le Seigneur des cieux a fait don de la Science :

« Quel est, je te prie, toi homme d'un esprit supérieur, etc.....

« Elle devient malade, mon cher ami, à mesure que &c........

« ...... Synonime de ghadâ (le matin); sois intelligent et pénétrant. (Certainement tu me comprends, tu m'as deviné.)

« Il suffit (j'en ai dit assez), je me suis assez expliqué ; donne moi la solution. Du reste, le mot est dans notre sainte révélation (le Koran). Réfléchis un moment. J'ai fini. »

— Voici encore un de mes logogriphes ; il est sur le mot Sémâ, le ciel :

« O toi qui t'es élevé au ciel de la science et de la sagesse, toi dont la générosité descend sur les hommes comme la pluie des nuages,

« Devine nous quel est le nom de la chose dont l'aspect est pur et clair, dont la beauté est passée en proverbe chez les arabes et chez les barbares ;

« Chose immensément élevée, où n'auront asile que ceux qui aiment celui dont la puissance a créé les zéphirs ;

« Chose à laquelle appartiennent les flambeaux étincelants qui nous guident dans les ténèbres de la nuit ;

ter, j'étais inquiet de mon dénûment absolu.»

— Note C, se rapportant à la page 28, et placée à la pag. 420
«... réviseur des traductions à l'école vétérinaire fondée auprès de l'école de médecine par le Souverain, prince du bonheur (Mohammed Aly). Voici le logogriphe:

« Dis-moi, mon cher Kessâb, maître (accapareur, kessâb) en science et en piété, toi qui es un océan des connaissances qui sont si douces et si agréables aux hommes,

« Voici un mot &c. — Au quatrième vers: « Il a un synonime &c.» — Au 7.e vers: « Et bien entendu, mon cher ami, tous ces mots &c.» — Au 8.e vers: «... j'en suis sûr, toi intelligence remarquable de notre époque; je te demande donc quel est le mot (de mon logogriphe).»

— Page 421, ligne 6: « Maintenant donne-moi le mot de l'énigme; ne te laisses pas demander, mon vertueux ami, la solution (car je suis sûr que tu la tiens).»

Dans la réponse du cheykh Moustafa Kessâb, les cinq premiers vers et les deux derniers ont été retranchés presque en entier:

« Toi, homme de science et d'esprit, aimé de tous pour tes vertus, tes qualités, tes talents,

« Toi qui par ton profond savoir es connu à l'Orient et à l'Occident, tu nous surprends par l'aisance de tes vers,

« Et pourquoi n'en serait-il pas ainsi? Mon ami, en effet, a tout l'art des poètes; il a à ses ordres ce qui échappe et manque à tous.

« Certes! ni Kouss, ni Imrou-l-Kays n'auraient pu jadis mesurer un langage qui, à l'égal du sien, eût ému et enflammé les désirs des amants.

« Tes vers me sont venus comme un doux zéphir. Qui prétendrait en pouvoir composer de pareils, serait certainement un menteur.»

Les deux derniers vers sont:

« Voilà le mot de ton logogriphe, mon cher Mohammed El-Tounsy, toi le guide et le modèle des hommes, toi à qui

Observations.

J'étais encore en Egypte lorsque Mr. Jomard publia la traduction de ce voyage, que je lui avais envoyée. Il parut à propos de retrancher quelques longueurs, deux ou trois passages trop lestes, des répétitions, des expressions synonimiques, qui plaisent aux arabes et que le lecteur français réprouve. Je rétablis ici le plus important, afin d'être utile aux arabisants encore peu versés dans les études arabes. Certaines inexactitudes de concordance entre le texte et la traduction qui d'ailleurs a été imprimée ainsi surtout en vue du public, seront facilement appréciées par les arabisants spéciaux.

Dans ma traduction, j'ai relégué à la fin du volume, sous le titre de notes, les digressions qui interrompent trop longuement le récit. Dans le texte arabe, je les ai laissées à leur place, afin de présenter la relation originale telle qu'elle est.

— Aux notes et éclaircissements, page 405, ligne 19, avant les mots « En Egypte &c. », doit être restitué le passage suivant: « Abou-l-Câcem El-Haryry a raison de condamner les pièces d'or comme chose inutile si celui qui les possède ne les fait pas circuler:

« C'est un mal attaché à la nature même des pièces d'or,

« Qu'elles ne servent, dans les moments de nécessité et de péril,

« Que quand elles fuient de ta main comme un esclave qui s'échappe.

« Honneur à toi qui sais (les dépenser et) les jetter par-dessus les monts!

« Honneur à toi si, tes dinâr te chuchotant leurs cajoleries à l'oreille,

« Tu leur dis résolument et sans détour:

« Je ne veux pas de votre intimité; filez. »

A Tunis est en usage ce dicton populaire: « Mets de l'or à la gueule du malheur, tu le fais taire. » En Egypte &c.

— Page 23 du texte français, ligne 18, au lieu de: « J'étais réduit &c. » il faut: « Je ne savais où trouver de quoi subsis-

Voyage au Dârfour

ou

l'aiguisement de l'esprit par le voyage au Soudan et parmi les arabes du centre de l'Afrique,

par

le cheykh Mohammed ibn-Omar el-Tounsy,

Autographié et publié

par

M. Perron.

Paris

chez Benjamin Duprat

libraire de l'institut de France, de la bibliothèque nationale, de la société asiatique de Paris, &c.

Rue du cloître Saint-Benoît, N° 7.

1850.

Imprimerie lithographique de Kaeppelin,

17, Quai Voltaire.

بيان الغلط الذى وجد فى هذا الكتاب

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢	١٠	سروا	سيروا
٣	٤	الادبية	الادبية حتى
٣	٥	عشيرته	عشيرته التى تُؤْوِيه
٣	١٢	وصفرت	ولما صفرت
٤	١٢	ونقد	وفقد
٥	٢	واحانه	واحسانه
٥	٩	من حبون	من عيون
٦	١٧	كما	كما يعلم
٨	١٧	حدث	يحدث
١٠	٩	لماه	لماله
١٠	١٤	نيابها	انيابها
١٠	١٧	الضن	الظن
١٣	١٣	سقط البيت الرابع وهو	

كأنَّمَا مِنَ القُلُوبِ نُقْرَتُهْ ... به يَقُولُ مَنْ حَوَتْهُ صُرَّتُهْ

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٣	١٥	نُضْرَتُهْ	نُصْرَتُهْ
١٣	١٥	استبتّت	استتبّت
٢٢	٦	الجلولى و	الجلولى وكيف
٢٣	٨	والحيلة	والحيلة أن
٢٦	٢	حعل	جعل
٢٧	٧	واين	واين هذا
٢٩	٥	الانام من	الانام عن

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٤	٩	وضعها	وضعها على
٤٠	١٦	تعرّب	تغرّب
٤٣	٢	جاز	حاز
٤٥	٣	رلت	زلت
٤٦	٢	خرجنا	ضربنا
٥١	١٧	فرس	فارس
٥٣	٩	كتيرون	كثيرون
٥٢	٩	الجارحين	الخارجين
٥٤	١٥	تجابوا	تحابوا
٥٩	١	عليه	على
٦٥	١٤	بعيد	بعيدا
٦٩	١٠	معنًا	معنى
٦٩	١٤	مجونا	مجون
٧٣	١٧	صنعتما	صنعتما
٧٦	٩	ترتينب	ترتيب
٧٧	٩	قلوا	قولوا
٧٧	١٢	في	وفي
٧٧	١٤	النتياس	السياس
٧٨	٩	مث	من
٧٩	٩	محمد	احمد
٨٠	١٣	فلملسع	فلماسع
٩٦	١	فلامره	فلاموه

صفحة	سطر	خطا	صواب
٩٦	١٥	اميبا	امينًا
١٠٦	١٣	حله	تحله
١٠٩	١٧	يذب عنهم	يذب عنهم عند السلطان كلما وقع منهم امر مع اعدائهم من القبايل الاخر
١٢٠	٢	اقوى	اقوى
١٣٠	١٣	ودارابادیما	ودارابادیما انما كانت مساحتها نحو عشرة ايام لان ابادیما يحكم على اثنى عشر ملكا كل ملك له ايالة مستقلة وباديما
١٣٧	١	يتعرص	يتعرض
١٤٣	١٦	التفتن	التفنن
١٤٤و١٤٥	١٤	اعجب	اعجب
١٤٥	٥	كَال	گال
١٤٥	٩	كجتّي	كِتِّي
١٥٣	١٠	لفطوا	لفظوا
١٥٧	١٠	مريص	مريض
١٥٨	١	الناس	اناس
١٦١	١٢	خوجه	جوخه
١٦٣و١٧٢	١١و٣	بعص	بعض
١٧٩	٢٠	عاليااما	عاليا
١٨٧	٥	يحافطون	يحافظون
١٩٢	٨	الصفر	الصغر
١٩٦	١	نوافخ	نوافج

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٩٧	٤	يهاب	يهان
٢٠٨	٧	من النساء	من النساء متزينات والشبان من الرجال فى اكمل زينة يقدرون عليها وتصطف النساء
٢١١	١٢	فى الداير‍ة	فى الداير‍ة على نظم نقرات الطبل ويكونون ايضا كداير‍ة
٢١٦	١٠	عنه	عند
٢٢١	١٥	دجاجا	دجاجا.
٢٥٦	٨	فيستضئون	فيستضيؤون
٢٨١	١	والكسبر‍ة	صغير والكسبر‍ة
٢٨٩	١١	كبير‍ة	كبير‍ةٍ
٢٩٢	٣	بنوم	بنوم وبت باقبح ليلة
٢٩٤	١٤	والسراب	ويُرى السراب
٣١٤	١٥	العاخر‍ة	الفاخر‍ة
٣١٤	١٦	فى سلخ	فى سلخ

م



